

# **THE BOOK WAS DRENCHED**

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190215**

UNIVERSAL  
LIBRARY







٢٠٥٧

# أبطال مصر

تأليف

عبد الحكيم الشبراوي

سنة ١٩٢٢ - ١٣٤٠





# اهداء الكتاب

الى مليكنا المفدى صاحب الجلالة احمد فؤاد الاول خلد  
الله ملكه وادام سلطانه  
فى عهدك الميمون استروحت مصر نسحات الجرية وذاقت  
حلاوة الاستقلال وفى ظل رعايتكم الظليل وفق رجال عاملون  
الى خدمة قضية البلاد . وانما بمددك وعونك وفقوا وبحولك  
وقوتك اعتموا وصمموا وبهمتكم العالية خاضوا الغمار وساوروا  
الاخطار . وبعزيمتك الماھنية ابتدروا فى سبيل رفعة الاوطان  
غاية المجد والفخار . فان كان لهم فى ذلك فضل فمن معين مواھبك  
الغزيرة مغترفه ومستقاه . ومنك واليك فى كل حال مبتدؤه  
ومنتهاه .

فاليك يا مليك البلاد اتقدم باهداء هذا الكتاب المضمن  
كلمات صدق واخلاص عن اولئك الرجال ابطال دولتك - حاملي  
رايتك . ومنفذي مشيئتك . ولا بسي مطارف فضلك ونعمتك .  
وانى اضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يصون دولتك  
وبحوظ سلطانتك وبقبيك لرعاياك المخلصين ذخراً عتيداً . وظلاً  
مديداً . وروضاً مريماً . وكهفناً منيعاً . وان يقر عينك وعميون

المصريين جميعاً بولى عهدك المفدى الامير فاروق كعبة آمالنا  
ومطمح امانينا.

ليحى جلالة الملك فؤاد الاول وولى عهده الامير فاروق  
ورجال دوائته المخلصون .

عبدكم الخاضع  
محمد السباعي



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول  
واهب الحرية والاستقلال ومانح الدستور





حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا  
رئيس الوفد الرسمي





حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا  
رئيس لجنة الدستور





حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا  
رئيس اول وزارة مصرية في عهد الاستقلال



## مقدمة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان عصور النهضات في كل امة لا تزال مملوءة بعظائم الحوادث مزدانة بعظماء الرجال والحقيقة ان كل حركة او نهضة تعتري الشعوب الساكنة المطمئنة فتحدث فيها تطورا او انقلابا انما هي في الحقيقة نوع من الزلزال فلا عجب اذا رأيت هيكل الامة قد تفجر عما يستكن في جوفه من ملكات ومواهب وفضائل ومناقب وتفتحت كنوزه فباحث بخفايا بدائعها وبرزت خبايا ودائمها . وهناك يقذف المنجم ياقوته وعقايانه . ويافظ اللج لؤلؤه ومرجانه . وهناك تظهر خول الرجال . وعظماء الابطال .

وانك الفحول والعظماء من جلة رجال الامة يبرزون على مسرح النهضة فيلعب كل دوره الذي اعدته له الفطرة والطبيعة وهيأته لتمثيله الظروف والاحوال .

لكل رواية دورها العصيب المسمى في الاصطلاح التمثيلي ازمة الرواية او « قمتها » حيث يبلغ السيل الربى ويصعد الترمومتر

الى درجة الغليان ويجاس القدر على منصة الحكم وينصب الميزان .  
واذ ذاك تتشوف ابصار وتشرئب اعناق وتحقق افئدة وتبهر  
انفاس ويلوى القلق والاشفاق اوتار القلوب ويقوم الشعب بين  
الخوف والرجاء على سراط الشك المرهف الذليق . الاملس  
الزليق . المعلق فوق هاوية التلف والخسار يؤمون لدى نهاية هذا  
السراط وادنى السعادة والنعم مسترشدين فى مآزق هذه الرحلة  
الخطرة المخوفة بكوكب الأمل الدائم الخفيق واللمعان .

تلك هي حالتنا بالدقة فى دورنا الحالى الخطير وان كنا قد  
اجتزنا بعد من مناطق هذا السراط اشدها خطر او او عرها مسلكا  
ودخلنا فيما نستطيع ان نجعله بفضل الحكمة والحزم منطقة  
سلامة وخطة نجاة .

وبديهى ان مثل هذا الدور العصيب من ادوار رواية الجهاد  
الوطنى جدير ان يحرك بعظيم احدائه من نفوس الكتاب مالا  
تحركه العصور الخاوية الفارغة وان يثير من خواطرهم بتا يديه  
من مآثر الرجال ومفاخر الابطال ما ليس تثيره الاوقات الساكنة  
الوسنى باشخاصها الصغار العاديين — اجل ان عصر النهضة  
خليق بفضل حوادثه وابطاله ان يهز جدران النفوس من ارسخ  
اساسها ويثير لجج الارواح من اعماق اعماقها حتى تفعم الازهان

من مزدحم الافكار والعواطف بما يأتي الا التدفق على اسلات  
الاسن والاقلام اعجز اربابه عن حبس طوفانه في أوعية صدورهم  
ودفن نيرانه في حنايا ضلوعهم .

وكذلك الكلمة الحارة هي كندمة الحارة ن نفثت أراحت  
وفرجت . وان كتبت امضت وارمضت فهي مدفونة في  
الجنان - اخبث داء . ومنطلقة من الاسان - انجع دواء . ورب  
كلمة خزنت في الضمير فكانت منية صاحبها وآخرين . وكلمة  
افطت فكانت حياة صاحبها ومنجاة ملايين

فبديهي بعد ما تقدم ان اصبح كغميري من تصدور الكتابة  
عن عصور النهضات يأتي ضميري لانث ما يجول به ويزدحم  
من سوانح الفكر والخواطر عما يبدولى من حوادث هذا العصر  
وماثر رجاله وابطاله .

وسأتوخى في كتابتي ان شاء الله وصف الواقع لا اقل ولا  
اكثر ونمت الحقيقة جهد طاقتي محاولا ان اكون في ذلك كالمرآة  
المنبسطة تعكس صورة الأشياء كما هي دون ادنى تحوير او تبديل  
وليس كالمرآة المحدبة او المقعرة التي تعكس شبح الشيء مفرغا  
في قالبها المشوه - وان اجعل من مخيلتي مجارا ومعبرا للحقائق  
ليس الا - تدخل من أحد طرفيه وتخرج من الآخر ثابتة على

حالم يخالطها مزاج ولم تشبها شائبة - متحاشيا ان اجعل من  
مفكرتى وعاء طيب وغالية تمر به الحقائق فتخرج مضمخة بذكى  
نشره وعاطر اريجه . واكنى سأجمل من يراعى معزفا ترتل عاينه  
الطبيعة الحان الحقائق خالصة حرة صريحة - لم يتعرض لها من  
الانانية فبطبعها بالحن الاغراض ويوقعها على نبرات الحب  
والبغضاء والسخط والرضاء

والله اسأل ان يجيء هذا السفر غير خال من النفع والفائدة  
وأن يجعله وسيلة هداية وارشاد في ظل صاحب العرش الكريم  
المخوف بالعناية والتأييد جلالة ملك مصر والسودان فؤاد الأول  
ادام الله ملكه وسلطانه واغدق على رعاياه المخلصين بره واحسانه  
وارتعمهم من جنانه الفسيح في اخصب واد . واطيب منتجع  
ومستراد . واحلهم من ركنه الوطيد في اسمى ذروة وقمة . وامنع  
ملاذو عصمة . ما هبت نسمة . ولاحت نجمة . والله سميع الدعاء  
محمد السباعي

# الفصل الاول م شروع كرز ن

والمزكرة الابضاميه

ليست حياة الأمة الناهضة الساعية الى استقلالها بالحياة  
السهلة الهينة ولا مسيرها الى غايتها المحيطة بانزهة الجميلة بين  
الحدائق والبساتين في سنا رونق الساعات الذهبية وعلى شجا  
ترتيل النغمات الشبية . ولكنها حرب طاحنة ضروس وجهاد  
شاق في أوعر المسالك وأضييق المآزق . ولا تزال مثل هذه الامة  
تتنقل في تاريخ نهضتها من طور الى طور وتتحول عن دور الى  
دور و كل أدوارها وأطوارها صعب شديد وان تفاوتت في درجة  
الشدة والصعوبة تبعاً لتغير الظروف والأحوال - على انها  
لا تلبث ان تصل يوماً ما الى ذلك الدور الذي يصح لنا بحق ان  
نسميه عقدة العقد وعقبة العقبات والباب الموصل والقل المحكم  
حيث يخيل للمرء انه ليس ثمت من منفذ ولا مخلص ولا مستروح  
ولا متنفس . وأن متن الرجاء قد انبر . وظهر السعي قد انبت  
وأنحسر . وان ملائكة العون والمدد قد رنقت أجنحتها وطارت

وان القلم الاعلى قد سجل حكم الشقاء على الأمة في صحيفة الأبد.  
مثل هذه الازمة العصبية والساعة السوداء لم تكذب تخلو  
منها سير الأمم الناهضة أثناء حركاتها الثورية وقد أصيبت بها  
الحركة المصرية الحالية في أول ديسمبر سنة ١٩٢١ وذلك حينما  
دمتتا السياسة الانكليزية بمشروع كرزن ومذكرة اللورد النبي  
الايضاحية التي شفع بها ذلك المشروع

لقد كان لتلك المذكرة الايضاحية اسوأ وقع في نفوس  
الشعب عامة وآلم أثر في قلوبه وأشد صدمة لآماله ومطامحه  
وأدمى طعنة اعزته وكبريته. ذلك ان الشعب المصرى بعدما أنته  
دعوة المفاوضة من جانب الحكومة الانكليزية في أجمل شكل  
وأحسن صيغة مل الى حسن الظن بتلك الحكومة وقال في  
نفسه « لا يبعد ان هذه الدونة الجبارة قد اهدت أخيراً الى ان  
أقصد السبل وأنجح الوسائل الى حل مشكلةنا وتسوية مسألتنا  
هي سياسة الصراحة والوضوح والأخذ بمبدأ العدالة والحق بعد  
ما تبين لها فشل سياسة الختل والخدمة » وبناء على ذلك فافوضت  
مصر انكلترا على لسان وفدها الرسمى الذى كان يرأسه دونة  
الرئيس الخطير عدلي يكن باشا. فكيف كانت نتيجة المفاوضات؟  
كيف كانت نتيجة ما دعاها الانكليز من سياسة الصداقة والوداد

والمحبة والمصافاة والعمل على توطيد دعائم السلام ونشر اعلامه ؛  
كانت هذه النتيجة هي قطع المفاوضات من جانب وفدنا الرسمي  
بما شرفه وشرف الأمة جمعاء . وعلان انكتر انك المذكورة  
الايضاحية المصراحة بما لا يتفق مع ما ادعاه القوم من الميل الى  
المسألة والمصافاة والنية على توطيد دعائم السلام ونشر اعلامه -  
من مظاهر الاستعباد الذي ليس دونه استعباد . وآيات الاستبداد  
الذي ليس وراءه استبداد . كانت نتيجة ذلك هي تلك المذكورة  
التي صورونا فيها بصورة شنيعة منكورة تبريراً لما أعدوه  
لنا من اغلال الرق ونير العبودية حتى قالوا أنهم يرون من واجباتهم  
حماية عرش سلاطاننا وحماية بعضنا من بعضنا كأننا الشعب المصري  
قد بلغ من همجيته وانحطاطه انه صار عدو نفسه وهي امرى  
نقيصة يبرأ منها الى الله أشد الأمم همجية وانحطاطاً . كانت  
النتيجة أنهم لم يكتفوا باعلان ذلك المشروع البغيض حتى كلفونا  
ان نرضاه ونقره - بعد ما علموا وعلم العالم اجمع رغباتنا ومطالبنا  
واطلعوا على برنامج وفدنا . كانت النتيجة - وذاك أشنع فصولها  
وأكثر أركانها - أنهم انذرونا وهددونا بتنفيذ مشروعهم على  
السكره منا وعلى الرغم من انوفنا بالفسر والقوة .  
من أجل ذلك كله نقول ان يوم ٣ ديسمبر الذي أعلنت فيه

هذه المذكرة المقوتة كان أعصب يوم في تاريخ الحركة المصرية .  
ما كان أكذب آمال الأمة المصرية يوم غرتها من مواعيد  
الانكليز في الدعوة الى المفاوضات لمحات السراب وبارات الخلب ؛  
سحابات البخرة الاباطيل تنقشها بأجل الالوان كف الخديعة  
الغاثالة ؛ ما أجملها في عين ناظر يشيمها بلحظ الغرور . وما أروحها  
لقاب ساع يهرع نحوها بسرعة الصب المفتون ؛ وما أفرغها في  
النهاية وما أخلاها من كل فائدة وطائل ؛

كيف خبت كواكب الامل المشرقة واكفر وجه السماء  
وانذرتنا من جانب الافق طوالع النحس . فهل كان الرجاء انقطع  
بتهوهل ضاع الأمل آخر الابد ؟ كلا ؛ انما ارجىء الامل وسوف  
الرجاء . لم يمح الامل ولم يزل وانه وائم الله بطبيعته غير قابل للمحو  
والزوال وهو العنصر الابدى في طبيعة الانسان وهو القاعدة  
التي يقوم عليها كيانه وهو ميراث الانسان وذخيرته الوحيدة  
حين تساب منه سائر الذخائر . او لم يسم الفلاسفة والحكماء هذه  
الدار الفانية التي يسكنها الانسان « دار الامل » ؟

ما اقسى تقلبات الصروف السياسية بهذه الامة المصرية  
المجيدة . وكيف لا يزال مصباح الامل يستدرجها على سناشعاه  
البراق في اوعار السياسية المسوف وفي صعابها واوعائها . وكيف

لا يزال يومئذ اليها ان تتبع شبحه المتلون في تلك المجاهل والمعاسف  
مشرقاً عليها نارة باسامة العطف والتشجيع ونارة متأججا متوهجا  
بلمهيب النذير والتحذير - ولكنه باق امام عينها في جميع الحالات  
وعلى كل التقلبات لا ينجبو مصباحه . ولا يخذل ملاحه . - حتى في  
اشد حالات اليأس والقنوط . وما هو اليأس وما معناه ؟ وهل  
اليأس سوى نوع من الامل ؟ وهل كان فرط اليأس وغلوؤه  
إلا مقياسا لمبلغ ما فينا من قوة وحياة ومقياسا ايضا لمقدار حقنا  
في الامل ولرجاء ؟ وهل ترى دخان اليأس مهما اشتد سواده  
الا مصيبا يوما ما من روح الله ومن همة الشعب جذوة صدق  
وجرة حق تشعله ضراما وهاجا يملأ الارض والسماء بضياته ؟  
لاخوف على الامة المصرية الكريمة مما اصابها من شديد  
الحزن لاسوأ ما حل بها اثناء جهادها المجيد - اعني لملك المذكورة  
الايضاحية التي مست صميم كرامتها وجرحت كبرياءها وعزتها  
وسخرت من مقدس امانيتها ومطالبها . لاخوف على الامة  
المصرية مما اصابها من حزن وكمد في سبيل جهادها . بل لاخوف  
على الامم عامة ولاعلى الافراد من الحزن الشريف والكمد  
المجيد فان نيران مثل هذا الحزن لهي خير بوقفة لتصفية جوهر  
النفس وتنقية معدن الروح . وهي اقوى اداة لاشعال المم

والهيب العزائم حتى تندفع في سبيل جهادها الشريف باضعاف ما بها من قوة وحدة . فلتغتبط الامة باحزانها في سبيل قضيتها او ليس ذلك الحزن مقياسا لمبلغ ما عندها من شعور واحساس ومن مقدرة وكفاءة بل من غلبة وظفر وانتصار ؟ الا ان حزن الامة المجاهدة ماهو الا صورة معكوسة لمقدار ما لها من عزة وشرف ونبل فلتغتبط الامة المصرية الكريمة باحزانها واتبتهج باشجانها واتجعلها مصدر همة وعزم ومضاء .

ولنوقن ان هذا الاستعباد الانكليزى انما هو ابصوة واكذوبة وكل اكذوبة فالى الزوال مصيرها مهما امتدت بها العصور وتراخت بها الازمان . بذلك قضت نواميس الطبيعة وحكمة هذا النظام المقدس فانه لا دوام للباطل . بل ان الحق ذاته لا يدوم على صورة واحدة ولا بد له ان يغير صورته ويبدل شكله وصيغته من آن الى آن حيث يخلق خاقا ثانيا ويولد من جديد اما الاكاذيب - وعلى الاخص اكذوبة استعباد الامم والافراد التى خلقها الله حرة طليقة - فلقد سجل عليها حكم الاعدام منذ الازل فى صحيفة الافدار - فهى تسير بطيئا اوسريعا الى ساعتها المحدودة - الى حينها المحتوم . وحتفها المحموم . والسر فى ذلك ان هذه الحياة لا يمكن ان تقوم على اساس الباطل - وهذا الانسان

(الذى هو صورة الله فى الارض - مهما شابت قداسة روحه  
شوائب الخبائث والدنآآت) لا يمكن ان يتوهم على اساس من  
الكذب والضلال . و لكن السياسة - تنفيذ لما ربه الانانية  
واغراضها الاستعمارية تجهل ذلك او تتجاهله . وليس بناقها هذا  
الجهل او التجاهل ازاء ناموس الطبيعة العادلة وسنة الله الحكيمة .  
واستبدادها العقيم مقضى عليه بالفشل محكوم عليه بالفناء مهما  
طال اجله وتراخت مدته

لقد يخيل الى زمرة الساسة والاستعماريين ان استمرار  
سياسة الظلم والجور فى ارض الله بلا قاع ولا مبيد وتمادى دولة  
الاستبداد والاستعباد دون ان يصدر وينفذ عليهما ما تستحقه  
من حكم العدالة الالهية دليل على خلو هذا العالم الارضى من  
قانون العدل والانصاف . ولكنهم فى ذلك مخطئون غافلون  
فن حكم العدالة الالهية فى هذه الحياة الدنيا قد يؤجل اليوم  
واليومين بل القرن والقرنين ولكنه حقيقة مؤكدة لا ريب فيها  
ولا مناص منها - حقيقة محتومة كالحياة نفسها وكالموت ذاته .  
ولا جرم فانك ان انعمت النظر فى زوبعة الحياة الدنيا - تلك الزوبعة  
الاضطربة العاصفة الهوجاء البادية لعينك كأنها كلها هرج ومرج  
وتشويش واختلاط - وجدت انه فى اعماق اعماقها يستقر ، ينطق

آله منصف عادل - والفيت ان روح هذه الدنيا انما هي الحق والعدالة . فهذه الحقيقة الهائلة التي ما برحت منذ كان الانسان - تبدو لعينه ناصعة باهرة سواء كان مسلماً او كفايياً او بوذياً او وثنياً - وسواء سكن قصور باريز او غابات امريكا او زمهرير القطب او سعيير الاستواء - هذه الحقيقة الهائلة اذا جهلها السياسة فقد جهلوا كل شئ وقد باعد الله بينهم وبين النجاح كما باعد بين الارض والسماء . وأنى لهم بالنجاح وقد ظلوا يناوئون ويعادون ناموس الطبيعة وروح الوجود ويكافون الكون اجمع في معركة ان يخرجوا منها الا مثقلين بافدح اعباء الهزيمة والخسران .

الا ان في كل شئ خيراً . وقد كان للامة المصرية في تلك المذكرة الايضاحية خير وان بدا متلفماً برداء وهاج من لهيب الألم وضرام الحزن المتسعر . لقد كانت الأمة أصيبت من قبل ذلك بشر ما يصيب الأمم الناهضة المجاهدة من العلل والأدواء - أعنى بداء الانقسام والتحزب وكان ذلك الداء الخبيث قد فشا في جسدها ونقض من أسباب ائتلافها وتماسكها وفصم من عرى اتحادها وتضافرها وهدد كيائها بالهدم والانحلال وكاد يمسه في صميم نفسها ويذهب بما قد ملأ قلبها من روح الوطنية العالية والتضحية الشريفة فما هو الا ان لطمتها السياسة الانكليزية تلك

اللطفة القاسية . وطمنتها تلك الطعنة الدامية حتى أفقت من  
سكرتها . وهبت من رقدتها . ونفضت عن اعطافها غبار الفتور .  
الذي كان جلقها به ريح الشقاق والنزاع كما ينفض الأسد المحصور .  
غبار الكسل عن لبدته ثم تحركت ونشطت كأنما قد افعم قلوب  
ملايينها المهيدة روح واحدة لا تقبل الانقسام والتجزئة .  
واعلنت بلسان واحد وبصوت واحد يملأ الفضاء الرحب ويهز  
هيكل الأرض من اعماق جذورها ودعائمها ويصدع اديم السماء  
« انها حية يقظة متحفزة ناهضة »

أجابت مصر على المذكرة الايضاحية بذلك الجواب المفعم  
الحاسم — اعنى بما كانت أعلنته قبل ذلك على لسان جماعة  
الكوئنتال حين شعرت بما أضمره لها الانكليز من الشر وسوء  
النية — أجابت بذلك القرار الذى كان الموحى به في الحقيقة هو  
روح مصر المنبثة في فضاؤها . الطائفة في جوها . المرفوفة على  
مضاجع أهلها وعلى سوامرهم وانديتهم الخائمة على مهود أطفالها  
واكنان عجائزها وشيوخها — على الاجنة في بطون امهاتها وعلى  
الأموات في بطون اجدها — الحدية المعطوف على أمانها وآمالها  
الحذرة القلقة المشفقة على ماضيها ومستقبلها .

بهذا الجواب المفعم الحاسم أجابت مصر انكثرا بلسان

واحد وصوت واحد - علت من نبراته صيحة الانسانية للثألة .  
وتأججت في هزاته جرة الوطنية المحترمة . وما أعظم صوت  
الأُم والشعوب وما أقواه وما أقهر سلطانه وما أشد وقمه : .  
ألم تر الى صرخة الشعب الواجد الغضبان كيف تصم أذن الظالم  
وتقرع حبة فؤاده بل كيف تكاد تشل خلجات روحه . وتكاد  
تحرق زهرة الحياة في مغارس نفسه ووجدانه

قال توماس كارايل في كتابه « الثورة الفرنسية » « ما اجل  
صوت الجماعات وما اخطره ! صوت غرائهم التي هي اصدق  
من خواطرهم وافكارهم . اما ان هذا الصوت لأجل واخطر  
ما يصادفه الانسان بين تلك الاصوات والاشباح التي يتكون  
منها هذا العالم الزمنى . وكل من يجرأ على مناقضة هذا الصوت  
ومقاومته فقد خرج بنفسه عن دائرة الزمان وعن حدود  
نواميسه وشرائعه »

اعلنت الأمة المقاطعة واعلنت وجوب الاضراب عن  
تأليف الوزارة تأييداً لمبدأ عدم الاشتراك مع الانكليز في حكم  
البلاد وادارة شؤونها . اذ كان في ذلك الاشتراك دليل على  
الرضا بما يسومنا الانكليز من خطة الذل والخسف والهوان .  
اعلنت ذلك الأمة المصرية وتمسكت به أشد تمسك ولم تسمح

لنفسها فيه بهوادة ولا لين ولا تساهل وحصنت نفسها بامنع  
دروع الاصرار والتصميم والاباء والمعاندة وتمسكت انكلترا من  
الجهة الاخرى بخطتها اشد تمسك وأظهرت ان مشروعها الاخير  
هو القضاء الفصل والحكم النهائي الذي لا يقبل تغيير ولا تبديلا  
ولا نقضا ولا لبراما . وكذلك انفرجت مسافة الخلاف بين  
الطرفين واستحكمت حلقاته وبلغت المشادة والمعاندة اقصاها  
واظلم ما بين الامتين وجف بينهما الثرى وعظم الخطاب واستفحل  
الداء .

وهنا دخلت الامة المصرية في اصعب ادوار حركتها الجهادية  
واشد ازماتها وافظع ساعاتها - ذلك الدور الذي سميناه في بدء  
كلامنا عقدة العقدة وعقبة العقبات والباب الموصل والغل المحكم  
حيث خيل المرء انه ليس ثمة من منفذ ولا مخلص وان . ان  
الرجاء قد انبتر وظهر السعى قد انحسر . وان ملائكة العون  
والمدد قد رنقت اجنحتها وطارت وقد سجل على الامة الكريمة  
حكم الشقاء في صحيفة الابد .

هنا جاء على الامة المصرية اشنع ادوار حركتها الجهادية  
واسود الافق وحجبت نور السماء سحاب النحس . فذا اصنع ؟

وكيف نواجه هذا الكارث؟ وكيف نعد العدد ونجهز آلات الدفاع ونشحن سلاح الهجوم. وأنى عدد لدينا وأى آلات وأى أسلحة؟ دروع الصبر والجلد وسلاح السكينة وعدة الأمل والرجاء. ونعم الدروع والآلات والأسلحة (لا أقول ذلك هازئاً ولا ساخرأً معاذ الله وقد أوضحت آنفاً ان استبداد الظالم الكذوبة وانه كسائر الأكاذيب مقضي عليه بالفشل محكوم عليه بالاعدام في النهاية وان صوت الأمة المظلومة أقوى صوت في العالم وان ما ك الحق ان يتغلب على الباطل وان الأمل ميراث الانسان وذخيرته وان الدنيا اسمها دار الأمل). أحل لا أقول ذلك هازئاً ولا ساخرأً ولكني أقول ان هذه الأسلحة السلمية ان احرزت النصر والظفر لم يجيء ذلك الا بضيئاً. وليس النصر البطيء بأحسن أنواع النصر. وایس الفرح بلمتاع الآجل البعيد الذي قد لا تمني نفسك بأن تراه لا أنت ولا أعقابك ولا أعقاب أعقابك كالفرح بلمتاع الذي يزف اليك عاجلاً تابس جميل زينته. وترشف عذب ريقته.

أقول لا مشاحة في ان ذلك الدور كان أشنع أدوار قضيتنا وتلك الساعة كانت أسود ساعات حركتنا. وحق لنا إذ ذلك ان نحار ونهت وان نأسي ونحزن. وحق لنا ان ندور بأعيننا بين

أبناء أمتنا المجيدة فنفثش في نخبة رجالها و صغوة أبطالها عن رجل نرمي به هذا الحادث الجسيم . ونقب عن بطل تصدم به هذا الكارث العظيم

ان الطبيعة التي تخلق أدواء المجتمع الانساني وعلاؤه تخلق أيضاً أدوية هذه العلل والادواء . والطبيعة التي توجد آفات الحياة الانسانية توجد أيضاً وسائل اباده هذه الآفات . وذلك لأن الطبيعة أساسها العدل وروحها النظام وغايتها الصلاح والنمو الحسن والرفى . فان هي خلقت الادواء والعلل والآفات فلم تقصد بذلك الى الفساد والخراب ولا الى الفشل والنفوضى وان ظهرت تلك الامل والآفات فى دورها الاون بمظهر الفساد والنفوضى ) ولكنها تقصد الى الصلاح والنظم والرفى فى النهاية وانما هذه الامل والآفات - مع ضررها الموقت وشرها الزائل - عمليات ضرورية لا بد للمجتمع من اجتيازها فى طريق نموه ورفيه - هلا نظرت الى أوراق الشجر وأجزاء النبات حين تعصف بها الرياح الهوج فتسقط وتذبل ثم تعفن وتبلى وتتحل فبخيل اليك انها فسدت وماتت ولا موت ولا فساد فى الطبيعة ولكن هذا الذى يخيل اليك بلى وفساداً إنما هو عملية انتقال من حال الى أحسن منها فلا تلبث هذه المواد النباتية ان تستعيد حياتها

وتجدد بهجتها وقد تستحيل بعد عدة من هذه العمليات الأليمة المحزنة في ظاهرها الى صنف أجود وأحسن - سنة التحسن والتقدم وقانون النشوء والارتقاء الذي هو روح الطبيعة وعملها وغايتها .

نقول ان الطبيعة التي تخلق أدواء المجتمع تخلق أيضاً أدوية هذه الادواء . والطبيعة التي توجد آفات الانسانية توجد أيضاً مهلكات هذه الآفات . واذا اشتد الجذب صاب الغيث واذا أربد الغيم بدده شعاع الشمس . واذا تكاثرت المصائب على أشخاص المأساة الابرياء فوق المسرح وتكاثفت الارزاء وأخذ الموت بالسكظم وبلغت الروح التراقي - ظهر على المسرح من حيث لا يرجي ولا ينتظر بطل الرواية فغير مجرى الحوادث وحول منهج الكوارث فجلى دجى الخطب وأشرق على الابرياء بنور الصفو والخير والسعادة .

وكذلك لما ادلهمت مأساة السياسة على مسرح الحياة المصرية واتتهت هذه المأساة بفضل المذكرة الايضاحية الى ازمة الازمات وعقدة العقدة كما أسلفنا وعظم الكرب واستفحل الداء - ظهر على المسرح لابادة الشقاء واسداء الخير والصفاء بطل الرواية المصرية الحالية - عبد الخالق ثروت باشا

ان العناية الأزلية لما بصرت بتناهي البلاء في هذا البلد  
الأمين وبلوغ الشقاء والكرب أقصاه نثرت كنانتها بين يديها  
ثم فشت عيدياتها فوجدت ثروت أمرها عوداً وأصلها معجماً  
غرمت به الحادث الجلل والمحنة النكراء .

أى ثروت ! أيها الرجل القوي المتين ! ماذا امامك من العقدة  
والمشاكل والازمات والمعضلات ! أمة مظلومة مهضومة واجدة  
على الظلمة غضبي على الجورة يتأجج صدرها بركاناً ويتقد في  
الحاظها لهيب ما انطوت عليه الجوانح من نار الحنق المكتومة  
وتقذف السماء بصيحات احتجاجها على الجبابة وبصرحات تقمتها .  
أمة تختمر في أفئدتها عوامل الهياج . وتفرخ في نفوسها جرائم  
الفتنة ويبعب عباب غيظها ويزخر تيار غضبها وتجيش أعماق  
روحها بدوافع الثورة - امامك خضم زاخر ينذر مسامعك من  
اعماقه نسيش غلياز الضغيان . وازيز فوران الطوفان . - امامك  
في افق البلاد المظلم المربد آيات العاصفة وامارات الزوبعة ينذر  
مسامعك من لدنها دوى قصفها مخوفاً رهوباً . وامامك من  
الجهة الأخرى الدولة القوية الخيمة على ارجاء المعمور المسكدة  
بأطراف العالم المائتة الأرض بمدافعها والبحر بأساطيلها والجو  
بمناطيدها - جبارة متكبرة طاغية مصرة على تنفيذ ارادتها ضد

أوامر الماطفة والانسانية ونواميس الحق والعدالة وعلى الرغم من الأفضية والاقدار . مصممة أباءة مطرفة كالافعوان والحية الرقتاء لا تؤثر فيها الرفي والتاوبذ - قاسية جامدة صماء كالقدر أو كالموت !

وفوق هذا وذاك امامك من أمتك الفئة ذات الالهواء والاعراض الذين لا يريدونك ولا يحبون ان يكون على يدك انفراج الازمة وحل المعضلة وزوال النعمة وحلول النعمة - الباذلون أقصى الجهد في العمل على تنجيتك عن مواطن المجد ومواقف الفخار .

أي ثروت ! أيها الرجل الجلد المكين ! ما أخرج مركز وأصعب موقفك ! فبحقك ماذا أنت صانع وسط هذه العوامل المتنازعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتضاربة ! وأنت قائم بينها منفرداً وحيداً كالجبل الباذخ تعصف الزوابع الهوجاء حول هامته السماء فلا تحرك من سكينتها ولا تستخف من وزاتها وتثور الزلازل حول أساسه فلا ترزع من ثباته - وقد سمعت قته العلياء فوق سحب الالهواء والاعراض وضباب الحزازات الشخصية والاحن الانانية وواجهت شمس الحقيقة للساطعة والنزاهة الخالصة .

تقدم ثروت باشا الى أمته فصرح لها انه لن يقبل الوزارة حتى تجاب له شروط فيها رضى الأمة ووفاء بأقصى ما يصح ان تطمح اليه في هذا الدور من قضيتها : تلك الشروط هي الغناء الحلية واعلان الاستقلال التام وتأسيس برلمان تكون حكومة البلاد مسؤولة امامه وحصر مشاكل الخلاف بين الأمتين اربع فقط يتولى تسويتها البرلمان المصرى بعد انشائه مع الحكومة البريطانية . وازاء هذه الحقوق المستردة لانعطى مصر انكلترا ادنى شيء ولا تنقيد لها بشرط ما

تقدم ثروت باشا الى الحكومة الانكليزية بهذه الشروط العظيمة وشدد كل التشدد فى طلبها وأكد لها انه لن يتنازل البتة عن شيء منها وانه لن يتولى الوزارة الا بعد اجابة شروطه هذه بمجدا فيرها

كيف تقبل هذه الشروط الجسيمة وتجب هذه المطالب العظيمة وترضخ لهذا الحكم الهائل انكلترا سيدة البحار وأقوى دول العالم ! وأبن ذهبت جيوشها وأساطيلها وسلطانها الباسط جناحيه على المشرق والمغرب ؟ بل اين ذهب كبرياؤها وجبروتها وشرها الاستعماري ؟

تصعبت انكلترا فى أول الامر كما هو المنتظر وتمنعت . وفى

ذلك المشقة العظمى والصعوبة الكبرى :

وأما مصرف فلم تكذب تصدق نبأ هذه الشروط والمطالب وحسبته حاملاً من الاحلام اعتقاداً منها أنه يكاد ان يكون من المستحيلات قبول انكثرتا مثل هذه الشرط الجسيمة . ( لقد كان الوفد المصرى من قبل ذلك لا يطمع فى اكثر من ان تعطيه الحكومة الانكليزية قبل دخوله معها فى المفاوضات مجرد وعد بلغاء الحماية اثناء التفاوض ) ولا تنس اولى الاغراض والاهواء والاحن والحزازات الذين مع فرط استعظامهم هذه الشروط واعتبارها كالا حلام أخذوا يرجفون بأن الامر ليس بالجد وانما الأعيب سياسية يهصدون بذلك الى ترويح سوء الظن بدولة الوزير الجليل ويبشون فى الامة من روح التشاؤم ما يثبط الهمم ويفل العزائم . بين هذه العوامل المتنازعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتضاربة انبرى الرجل الكفو الضليع يكذب ويعمل مضاء فى تؤدة منصلتا فى اناة صارما فى رفق جريثا فى حزم - والامة المصرية والامة الانكليزية واوردوبا والعالم أجمع ينظر اليه نظرة اعجاب واكبار . ويشرب لاستطلاع نتيجة عمله العظيم واستكشاف غاية شوطه الخطير وشأوه الرائع - كأنهم يرمقون عطارذ أو المشتري انشاء سيرته المشرقة الزاهرة . ودورته

## المتأقفة الباهرة .

وقف العالم ينظر الى ثروت باشا اثناء تلك الفترة الحرجة العصبية - تلك الفترة التي باتت تتمخض السياسة اثناءها عن ميلاد مستقبل امة - لا يعلم ايجيء موفوراً نضجاً تاماً ام مبتوراً منقوصاً مشوهاً ام ما هو شر من هذا - يولد ميتاً .

وقف العالم ينظر الى هذا الخاض السياسي الهائل يرقب نتيجته بقلوب خافقة حتى كاد يخيّل الى المرء ان الرياح والاعاصير ذاتها قد حبست انفاسها والافلاك شأوها وأن الزمن نفسه وقف مبهوتاً يتأمل .

أراك أيها الوزير الخطير في بحر السياسة البعيد الغور العسوف الموج المصوف الاعاصير والانواء تسير سفينة الوطنية تنكب بها مكامن الصخور والمهالك وتنتجى بها مسالك الامن والسلامة تدير دفتها بيد مباركة ميمونة رائدها التوفيق والنجاح تكمن في اساريرها اسرار الخدق والمهارة تؤم بلسفينة النفيسة ساحل الفوز والنجاة

وأراك في يبداء السياسة المخوفة تقود الشعب الكريم خارجاً به من نير عبودية الجبارة مجتازاً به تيه الاضاليل السياسية تؤم بالقافلة افق الاستقلال وفضاء الحرية الرحيب .

وأراك من فوق زوبعة السياسة النائرة وفوضى العناصر  
المتنافرة تصفق جناحي نسر ساكن الجأش ثابت الجنان تصرف  
اعنة الحوادث وتدبر أزمة الشؤون كأنك الملك الحارس الأمين  
كلما ازدادت الحوادث اضطراباً ازداد سكينته وهدوءاً  
أرى ساكن الاوصال باسط وجهه

يريك الهويناء والأمور تطير

وأراك حين تفاوض ساسة الانكليز تعلمو عليهم في حومة  
الخطاب وميدان المحاجة بسليقتك الفاتحة وسجيتك الغلابة  
وبعقلك الراجح وبشخصيتك الفتانة خلافة التي هي خلاصة مجموع  
ما فيك من غرائز وشيم وطبائع . وكانت حين تفاقشهم قد أخذ  
سلطان الاقتناع عرشه بين شفقتك وكن هاروت تحت لسانك -  
حتى تركهم من اعجاب واكبار يقولون فيك ما قاله نابليون الاول  
حين صادف شاعر الالمان العظيم « جينا » ها كم رجل مستكمل  
الرجولة . وما قاله أحد الساسة الانكليز في المغفور له الشيخ  
محمد عبده « لقد حق لمصر ان تفخر بتل هذا الرجل . فان امة  
تخرج مثله خليقة ان تفلح »

في تلك الزوبعة السياسية النائرة وفي ذلك الجو المتلبد بالغيوم  
وفي مضطرب تلك العوامل المتدافعة والعناصر المتكاثرة مضى

ثروت في سعيه المجيد كالصارم المصقول والكوكب المشبوب -  
يعمل ويكد ليل نهار كأنه ينبوع قوة لا ينفد وشعلة حريق تأتي  
أن تطفأ وتخمد تملأ فضاء البلاد رونقاً ونوراً . أجل أن مقدرة  
هذا الرجل الهام على العمل والكد لا تحد ولا تحصر ولا يكاد  
يصدق بها لذهن . وليس يدرى سوى من عاشره عظم ما قد  
تستطيعه القوة البشرية من العمل ومقدار ما تستثمره من جليل  
الفوائد في يوم واحد . ان ساعة هذا الرجل العظيم كعام غيره  
وشهره كدهره .

وكل هذه الاعمال الجسم ينجزها ثروت باشا في أتم سكونية  
وصمت . ألا حيا الله دولة الصمت وخذ ملكه وساطانه ! ولا  
حيا الله الجملة والضوضاء والصخب :

قال توماس كارليل في كتابه « الماضي والحاضر » « ما أعظم  
الرجل الصامت وما أجل مقداره ارايت اذا اجلت بصرك في  
هذا العالم الاحب الصخب وفي كلماته الخالية من المعاني وفي أعماله  
اخاوية من الفوائد أفلا يلذ لك أن تتعشق جمال الصمت وجلاله ؟  
أفلا يلذ لك أن تتغنى بحامد الرجال الصامتين ذوى الفضل  
والكرم والمروءة الماملين في سكوت الجادين في خشوع وتواضع .  
البائين صروح الحضارة والمدنية دون أن تجلجل باسمائهم والقابهم

أبواق المجلات وطبول الجرائد؛ إلا أن أمة تخلو من أمثال هؤلاء  
أو يقل منهم، نصيبها خلية أن تختل حالها ويسوء مآلها. ويكون  
مثلها كمثل غابة خلت من الجذور والأصول واستحالت كلها ورقاً  
وفروعاً - فهي لا تلبث أن تذبل وتموت. لنا الويل والشكل إن كان  
كل عمادنا وذخيرتنا هو ما لدينا من الكلام والظنطنة والأشياء  
التي نعرضها على الملأ ونرفعها لأعين المتفرجين والنظار. الأقدوس  
الله عالم الصمت؛ إنه لا يسمى مقاماً من السكواكب وأعمق غوراً  
من عالم الموت؛ وإنه وحده هو النبيل والعظيم والجليل - وكل  
ماعداه حقير ضئيل تافه؛ فلتلزم أمتنا فضيلة الصمت ولتعتصم بها.  
ولتدع غيرها من الأمم الموامة بالجلبة والضوضاء وحب التظاهر  
تصيح في كل موقف وتملأ الدنيا صياحاً بكل صغيرة وكبيرة من  
شؤونها وتجعل بلادها مسرحاً ترقص عليه وتامب على مرأى ومسمع  
من المتفرجين والنظار - فأمثال هذه الأمم انتظاهرة الصخابة  
ستصبح عاجلاً أو آجلاً غابات بلا جذور ولا أصول - مآلها  
الذبول والموت. ألا ما أقدس الصمت؛ إنه مستمد من ملكوت  
السماء؛ انظر إلى الدوحة العظيمة في الغابة تجدها قد لبثت ألف  
عام تنمو في أتم صمت وسكينة؛ فتي تسمع صوتها؟ لا تسمع  
ذلك إلا حينما يجيئها الخطاب في نهاية الألف عام بفاسه ليقطعها

حينئذ تسمعك الدوحة صوتها . حينئذ تعلن الدوحة عن نفسها  
بتلك الصرخة الشديدة - صرخة الفناء والموت - صوت انصداعها  
وانقصامها . فهل أسمعك الدوحة صوتها ساعة البذر والغرس  
المبارك حين نثرت بذرتها من حجور بعض الرياح الميمونة . هل  
أسمعك صوتها ساعة اكتست حلال الورق النضر ووشى الزهر  
المفوف ( وما كان أمتعها ساعة واملأها بالافراح والمسار ) .  
كلا لم تسمعك الدوحة صوتها في تلك الاوقات الهنيئة ولم تنبس  
بحرف واحد اعلانا لهذه الحوادث المفردة . انما أسمعك صوتها  
ساعة المصاب والفجعة - ساعة الموت والفناء »

وهكذا رأينا نروت وسط الزوامة السياسية يكدي ويعمل  
في أتم سكينه وصمت لاثرثرة ولا افتخار ولا دعوى . ولا اضاءة  
للوقت الثمين في المجادلات العقيمة لمجدبة وخوض النظريات  
الخيالية المستحيلة ولا في الشقشقة الهدارة والجلجلة الطنانة .  
والكنه وقف مجهوداته المظيمة على السكد الدائب وحصر همه  
الجسيمة في الامل المتواصل . وبارك الله في الاعمال انها أجل وأعظم  
من الاقوال . الانما الاعمال لملوءة بالروح حافلة بالحياة جياشة  
بمادتها الغزيرة الزاخرة . الاعمال طاخة بالحياة الصامتة التي هي  
برغم صمتها حقيقة متمررة واقعة حاضرة الخير حاصله الارباح

والفوائد . والاعمال تزكو وتنمو كالشجر المبارك الثمار وهي تمر  
فراغ الوقت وتملاً فضاء الزمان وتكسوه خضرة ونضرة  
ثروت باشالايمل بطبعه الى الجدل والثرثرة ولا الى المباهاة  
والمفاخرة ولا الى الاعلان عن كفاءته ومواهبه . فاذا كان دور  
الكلام والاسترسال في ميادين النظريات المستجيبه والمشروعات  
الخيالية والمباهاة بأساليب المنطق الاجوف الفارغ المؤدى الى غير  
نتيجة وبتفويق سهامه الطائشة التي قصارها ان تزل من فوق  
سطوح الحقائق المتينة القاسية دون ان تصيب أكبادها - وتزلق  
من فوق أديم الحقائق الخشنة الجافية دون ان تنفذ الى صميمها -  
فتسقط تلك السهام متمثرة خائبة عن أجساد الحقائق وتبقى  
الحقائق بعد ذلك على حالها لم تذال ولا تمتلك ولم يقبض على  
أزمتها - تواجهك - كما كانت من قبل - مرة أليمة قاسية - قد  
نفدت الجعب والسكنائن دون أن تؤثر فيها متقال ذرة وكأنما  
لم نصنع شيئاً . وكأنما اتهمينا من حيث ابتدأنا - أقول اذ كان هذا  
الدور - دور الكلام والخيالات والمستحيلات - رأيت ثروت باشا  
قد اعتزل الميدان لاعن ملال ويأس والسكن تخميناً للفرصة وتحفزاً  
للوثبة ثم ربض في مكمنه وخدر في غيابه سمير افكاره وأنيس  
وحدته

ولكن اذا جاء دور العمل وواجهتنا الحقيقة المرة الاليمية وتبادر الرجال لتذليل هذه الحقيقة وفك معضلتها والاخذ بناصيتها والقبض على زمامها واستثمارها لمنفعة البلاد وصالح الاوطان - ورأيت رجال النظريات المستحيلة والمنطق الاجوف يرسلون سهامه الطائشة على هيكل تلك الحقيقة فنزل من فوق سطحها وتزاق عن اديتها الأماس الذي كأنه جلدة الافعى وكذلك تستمر افعى الحقيقة سائرة في طريقها سائمة مصححة كاهداً ما كانت وانعم بالا - إذا كان هذا هو قصارى زمرة الخياليين المتشدين ذوي المنطق الاجوف - ثم جاء دور ثروت باشا ايت ذلك الرجل العملى قد هاجم افعى الحقيقة وساورها وقبض على ناصيتها واخذ بكظمها وطفق يعالجها أشد علاج ويصارعها اعنف صراع يرى أهو أم هي أشد بأسا واصعب مراساً - يجالدها ويكافحها بقوة جناه أعنى بقوة جلده ومثابرة في أمل ورجاء بل في استيئاس واسماتة وصبر لا ينفذ وايمان عميق وذكاء متوقد

كل هذه القوى العقلية والخلقية تبرز من مكانها حينما يصارع ثروت باشا ( أو غيره من عظماء رجال العمل ) أفعوان الحقيقة - وفي هذه المعركة وحدها - وعند هذا الصراع فقط - يمكننا أن نقيس مقدار همة الرجل ونزول مبلغ كفاءته وقدرته .

العمل وحده عنوان الفضل وآية القدرة ومسبار غور الرجل  
ومقياس عمقه . وعلى صحائف الاعمال يلوح في سطور من النور  
بيان ما يمكن في صدور الرجال من كنوز الفضل والحكمة  
والادب والنهي ومن ذخائر الصبر والجلد والجد والمثابرة والحزم  
والعزم والاخلاص والامانة وصحة النظر ويفاذا البصيرة والحذق  
والبراءة - اجل كل ما ينطوى عليه الرجل من قوة يلوح متلألئا  
في أحرف من النار والنور على صحيفة عمله . أو ايس العمل الجدى  
المخلص هو ان يواجه الرجل الطبيعة ونواميسها الابدية فيعالجها  
ويعارسها ايسيرها في سبيل مقاصده وأغراضه . وعلى قدر فهمه  
لاسرارها ومطابقتها اقوايتها يكون مبلغ فوزه ونجاحه . وهي  
الطبيعة تصدر على الرجل وعلى كفاءته حكمها حسب ماتراه من  
أسلوبه في معالجتها ومسيرتها - اذ تقول في حكمها على الرجل  
هذا مبلغ ما وجدت فيه من فضل وكفاءة - هذا القدر لا اكثر  
ولا اقل - هذا مبلغ ما فيه من قدرة على فهم أسرارها والائتلاف  
معي ومجاراتي والسير على منهاجي ومراعاة شرائعي ونواميسى -  
وعلى حسب هذا كان نجاحه أو خيبته وسعادته أو شقوته كما  
تري وتشاهد .

مصر في أشد ازمات جهادها وأضيق مآزقه ( عقب اعلان

للمذكرة الايضاحية) اصبحت بأمر حاجة الى رجل العمل الدائب  
والكد الشديد والمجهودات الهائلة . لقد جربت من قبل ذلك  
الاجب والضوضاء والصياح والصراخ وجربت الشفاشق الهدارة  
والجلاجل الطنائة وجربت طواحين الهواء والاعاب النارية التي  
تملاً الجو طنيناً ودوياً وألهيب وهاجه وشعلاً برفقة تساور  
السماء وتامس الجوزاء ثم تسقط رمادا وتبتدد هباءً - جربت  
هذا وذلك فلم يفتئها فتيلاً ولا قظميراً . وان كان افادها تلك  
الحقيقة الخطيرة وهي ان الكلام في موضع العمل عبث باطل .  
وان النزاع والشقاق في مقام التضامن والانحد ضلال مبيز وان  
الصياح وحده هواء يذهب في الهواء وان السبح في بحار الخيال  
يؤدي الى ساحل اخیال الذي اذا رسيت ليديه وجدته ضباباً  
ينقشع من تحت قدمك وهباء يفر من بنانك - وایس يؤدي الى  
ساحل الحقيقة للمادية الصلبة التي تحصل في ملكك وتقع في حوزتك  
لما جربت مصر هذه الوسائل الكلامية واد تنفذت اهيأت  
لها معامل الحناجر ومصانع الاجهزة التنفسية من بارود الصراخ  
والهتاف وقنابل « يسقط ويحي » فانفت كل هذا ثم يغفر ولم يشمر  
ووقفت حائرة مبهوتة ازاء الحقيقة المرة وازاء لغز السياسة بل لغز

الحياة المعضل المعقد الذي أبى أن ينحل على الرغم مما صبت على أم رأسه من بارودها المتنافى وقنابلها « الأستاقطية الأحيائية » تحننت عليها الطبيعة ورق لها فؤادها الكبير وتقدمت لعمونها وامدادها . وقالت لها استريحى هنيهة . واختارت لحل اللغز وفك المعضلة رجل العمل والدأب والحزم والعزم والحجى والدهاء - عبد الخالق ثروت .

وكذلك الطبيعة السمحة السخية ما كانت لتضن على الشعب المجاهد بالرجل العظيم عند الحاجة اليه . ولا يزال كلما ارتطمت الامة المجاهدة فى المأزق الضنك والزحولة الزل اسرعت الطبيعة الى اسعافها فسأقت اليها رجل الساعة وبطل الميدان فلا يلبث ان يقيل عثرتها ويأخذ بيدها ويهديها سواء السبيل - ذلك دأب الطبيعة ودينها الذى لن تعدل عنه الا اذا كانت قد أرادت بهذا العالم الارضى الخراب السريع والدمار العاجل .

ولما اختارت لحل اللغز وفك المعضل رجل الجد والعمل ثروت باشا ودفعت به فى جوف الزوبعة كما أوضحنا آنفاً فى وسط العوامل المتنازعة والقوى المتدافعة والعناصر المتكافئة المتلاطمة ارتاح لذلك العقلاء واستبشروا وقالوا « اما والله ما كانت قط زوبعة فوضى فرمى الله فى جوفها بروح النظام ممثلة فى رجل حازم

الابدأت فيها حركة مباركة نحو ائتلاف العناصر المتنافرة والتوفيق بين القوى المتضاربة واستبقاء النافع واسقاط الضار من الاسباب والموامل - حتى تربي الفوضى سائرة الى النظام والثورة الى الهدوء والضجيج الى السكينة وتبصر مكان الجذب والعقم الانتاج والاثار - فتوقن بحسن المآل والعاقبة» ولا جرم . فما من فوضى تقيم في وسطها روحاً عالية نبيلة الا آلت الى النظام والخير والفلاح بفضل ذلك . هذا وان الطبيعة تحب النظام وتبغض الفوضى ولا تطيقها ولا تحتملها ولا تصبر عليها الا ريثما تهيب لها روحاً سامية تعالج بها شرها وتزيل خطرها . وهذا الكوكب الارضي النبيل المقدس الذي نعيش فيه وتقلب مهما طال صبره على مروجي الهرج والفوضى فهو في النهاية لا يطيقهم ولا يلبث ان يرحل نفسه منهم . وهذا من أشد ضرورات العالم اذ كانت سنته الصلاح والرقى وكانت مادة الخير فيه اكثر من مادة الشر وكان الحق فيه متغلباً على الباطل .

وأى خير في الفوضى الا اذا أصبحت تنجيه نحو النظام وأى بركة في الثورات السياسية الا اذا تولى المصلحون تنظيمها برسم الخطط والبرامج العملية .

أى ثروت! ايها الرجل الحازم البصير! اهد قدفت بك الطبيعة

في مضلة السياسة وتيهها وفي مجاهلها ومهاالكها حيث اشتبهت المسالك واشكات المناهج وخفيت وجوه الرشاد وخبت مصاييح الهداية فانظر ما انت صانع ؟ وأي السبل تسلك وأي الوجوه تنتجى ؟ الافعامن ان راكب الصعاب وولاج المآزق منلك اذا تشعبت في وجهه السبل ووقف ينظر ايها يسلك، الى غرضه الاسمى فلقد يوجد أمامه بلا شك بين هذه السبل منهج واحد هو اقصددها وأهداها - منهج يكون سلوكه في ذلك الظرف وتلك الآونة احق ما يأتيه واصوب ما يصنعه - منهج واحد اذا أتيح له سلوكه طوعا او كرهاً كان الحازم البصير والاريب الداهية - كان الرجل المكتمل الرجولة الموفق الى ما يرضى الرجال والالهة المسائر لانظمة الطبيعة ونواميسها الفامضة الخفية فالطبيعة والكون أجمع يرحب بمثل هذا الرجل ويهتف له «مرحي - بورك فيك، وفي عملك» ! ثم يكون اليمين رائده والنجاح حليفه فهل انت يا أيها الرجز النبيل والوزير الجليل مستبين بين ما يواجهك في تيه السياسة ومضاتها وفي مجاهلها ومهاالكها من متشعب الطرق والسبل . ذلك المنهج الفويم الاوحد فسالكه الى قصدك الانبل وغرضك الاسمى - النجح والفلاح - الى ضالة الوطن المبتغاة وبغيته المرتجاة وأمنيته المشتهاة - الى الحرية

والاستقلال؟ سنرى ذلك قريباً

سنراك وقد قذفت بك الطبيعة وسط زوبعة السياسة الهوجاء وعواملها المتنازعة وعناصرها المتكاثفة تؤاف بما اوتيت من عزم وحزم بين هذه القوى المتمردة الطاغية . وبين هذه النزعات المتضادة المتعادية - ترد شواردها وتكبيج جوامحها - آونة بسوط بأسك وسطوتك وإكته بأس الحـازم المتدبر المتأيف على مصلحة بلاده وسطوة المنصف العادل الحدب على منفعتها - وآونة بكف اينك الغريزى المغروس فى طبيعتك . ورقتك الفطرية المركبة فى سجيتهك . - دأبك ذلك إلى أن تعنو لك عاصفة السياسة الهوجاء فترتد الفوضى نظاما . والزوبعة نسيما والحرب سلاماً . انك وان كان قد كنب لك بحكم الظروف والأحوال أن تعمل وسط الزوابع السياسية والثورات الوطنية - وسط ما يصح لنا أن نسميه نوعاً ما من الفوضى - فانك بطبعك ونحيزتك رجل نظام لارجل فوضى - وتلك طبيعة العضاء كافة كلهم مجبول على حب النظام - بل كلهم النظام مجسدا . وكذلك الرجل العظيم إنما هو رسول النظام فى هذا العالم . ( وكذلك ما يجب أن يكون شيمة كل إنسان يحمل الصورة الادمية ) أو ليس كل عمل من أعمال الانسان فى هذه الحياة هو «ردالفوضى

الى النظام » ؛ أو ليس كل ذى حرفة وصناعة موكل في هذه الدنيا أن يجمع المواد الطبيعية المبعثرة في أنحاء الكون المشتتة في ارجاء الوجود المتباينة جوهر المتنافرة صفات وطباعاً فلا يزال يوفق بينها ويؤاف حتى يضم شتاتها ويجمع بددها ويفرغ تفاريقها في قالب محكم بديع عجيب الصنع محدود بالقواعد الهندسية والحسابية ؛ كلنا مولودون بفطرتنا اعداء للفوضى عشاقاً للنظام - هذه مزية البشر عموماً وهي في الرجل العظيم اضعاف اضعافها في الرجل العادي .

النظام يقتضي الشدة ويتطلب الصرامة احياناً - وهذا بلا شك نوع من الحذر والاشفاق على المصلحة العامة - وفي هذه الظروف الضرورية يصبح إسم « الشدة والصرامة » غير منطبق تمام الانطباق على المعنى الحقيقي لما يتبعه الرجل الحازم من خطته الصارمة الشديدة التي يكون أحق بها وأولى وأقرب إلى معناها الحقيقي أن تسمى « رقة معكوسة » و « عطفاً مقلوباً » اذ كان باعها الحقيقي هو العطف والرقه . والحنان والشفقة وكما أن الطبيعة تنجز اعمالها وتنتج نتائجها أنا بالنسيم اللطيف وآونة بالاعصار العنيف وتارة بالجدول السلسل وأخرى بالسيل الجارف فكذلك الرجل المصلح الذى هو شعبة من الطبيعة وفلذة من

كبدها يحدث آثاره النافعة ومآثره الجليمة باللين تارة وبالشدة  
أخرى كل طبيب الحاذق يداوي بالعسل وبالصاب وربما أزال السم  
بالسم وشفى الداء بالداء .

تقول لما اعضل على الأمة المصرية لغز السياسة المعقد واعتاص  
حله ولم تفلح فيه سهام المنطق الاجوف وزخارف الإمال واخاديع  
الاماني ولم توفق الى حله طمحات الاوهام وسبخات الخيال  
والاستناد على النظريات المستحيلة والاحتجاج بالاقتراضات الوهمية  
معززة بقذائف « الهتاف » والقنابل « الاسقاطية الاحيائية »  
تقدم إلى معالجة هذا اللغز المعضل العويص رجل الحقيقة والجد  
والعمل عبد الخالق ثروت . ووقفت مصر وانكلترا والعالم أجمع  
ينظر إليه نظرة العجب والدهشة ليرى ما هو صانع ازاء ذلك  
للشكّل المعضّل .

وقف رجل العمل والذكاء والدهاء امام ذلك اللغز المخوف  
وكاننا بذلك اللغز يخاطب الرجل العظيم قائلاً له « أتفقه معنى هذه  
الساعة العصبية ؟ أتفهم لغز الحياة في هذه العقبة الكؤود والموقف  
الخرج ؟ أن الآهية تواجهك بسؤال معجز ولغز معضّل فهل  
عندك جوابه وهل لديك حله ؟ »

قال توماس كارليل في كتابه ( الماضي والحاضر ) لقد جاء في

أساطير الاولين ان جنية كانت تريض على قارعة الطريق للمارة  
تواجه كل عابر باحجيتها الصعبة واغزها العويص فاذا استطاع حمله  
مر سالماً آمناً في سربه والا أهلكته وأوردته حتفه . ويزعمون  
أن هذه الجنية كان لها وجه حورية حسناء وصدرها الناهد  
وأعطافها اللينة . ولكن بدنها الغض الرشيق يذهي بعجيزة لبؤة  
ضارية ومخالب سبعة عادية .

« وكذلك الحياة هي كتلك الجنية لافرق ولا خلاف -  
فالحياة تواجهك بجمال حورية وحسنها الفردوسي الذي معناه  
النظام البديع والحكمة العالية والخضوع لقانون العقل الأزلي  
السرمدى ولكن فيها مع ذلك عنفاً وطغياناً وظلمة وهلاك -  
أحق أن تسمى آفات جهنمية . وهذه الحياة أو الطبيعة لاتزال -  
كتلك الجنية - تلتقي على كل انسان يعبر سبيلها بصوت رقيق  
رخيم هذا السؤال الخطير المرعب « أفنهم معني هذا اليوم الذي  
أنت فيه ؟ أتفقه مغزي هذه الساعة ؟ أتدري أي مشكلة تواجهك  
وكيف تحلها ؟ وأي سبيل تسلك إلى ذلك ؟

« أجل ان الحياة أو الطبيعة أو الوجود أو القدر - كيفما  
سميت هذه الحقيقة الهائلة التي لا استطاع تسميتها - والتي نعيش  
في وسطها ونجاهد - لهي حورية فردوسية وعروس سماوية ورجح

وغنيمة للاريب الليب والذكي الالمى الذى يستطيع أن يتفهم أسرارها ويحل لغزها ويتبع قوانينها ويصدع بأوامرها . وهي جنية فتاكة وشيطانة مهلكة لمن لا يفعل كذلك ولا يستطيعه . فافهم اسرارها وحل لغزها تسلم وتغنم .

أما إذا لم تعن بذلك ولم تأبه له ومضيت فى سبيلك دون أن تحل ذلك اللغز وتجب ذلك السؤال فستحله لك جنية الحياة وشيطانة الطبيعة - ستحله لك بخالبها وتجبك بيرانها وأنيابها الحادة ثم لن تصادف فيها سوى ابثرة ضارية وسبعة عادية وحية رقصاء . أباءة صماء . لاتسمع دعاك . ولا ترق اشكواك . ولاتلين لرقك . »

تقدم رجل الحقيقة والجد والعمل الى العقدة الصعبة والمشكل الماض بعد ما أعجز أهل الخيالات والاهام وطلاب المعجز والمستحيل - وقف ثروت باشا على قارعة السبيل وواجهته شيطانة السياسة بلغزها العويص وطالبتة بالحل والجواب - فهل هو مخطفىء أو مصيب - هل هو معرض نفسه وبلاده لخالبها وأنيابها أو مشيع منها بنظرة الرضا وابتسامة الارتياح - الى منهج التوفيق وسبيل النجاح ؟ سنرى ذلك قريباً سنرى رجلا ليس باسير خيالات وأوهام ولا متعلقاً بأذيال الخوارق

والمستحيلات ولكن رجل الحقيقة والواقع - رجل الممكن والجائز - رجل الغريزة الصادقة والبديهة الحافلة والبصيرة النافذة رجلا يسلط شعاع عينه الناقبة على المشكل والمعضل فيمدد عنه ظلمات الشكوك وغيوم الريب والشبهات كما تسلط العدسة البلورية طائفة الأشعة على الأشباح فتجلبوها في أسطع مظهر من الوضوح والبيان - رجلا ينفذ بنور بصيرته إلى اكناه الأمور وجواهر الأشياء واكباد الحقائق حتى يقهرها ويمتلكها آخذاً بنواصيرها قابضاً على أعنتها - وذلك بفضل ما فاق به غيره من راحة العقل وصدق العزيمة وقوة الروح - ذلك رجل لا ينظر إلى الدنيا ومشكلاتها بمنظار النظريات والقياسات ولكن بعين مجردة نافذة البصر ساطعة الشعاع كشافاة المحات - رجل الاخلاص العميق والغيرة الملتهبة والقلب الذكي المتأجج . والروح الحى المتوهج .

سنرى رجلا مطويماً على غريزة الاهتداء إلى سر الحقيقة وجوهرها أينما كان - رجلا قد ثبت قدمه على أساس الحقيقة الوطيد الراسخ - رجلا يستطيع أن يتبين بصادق نظره ونافذ بصره من خلال التعاقيد والارتباكات اباب الشيء وجوهره فيعمد نحو ذلك ويسدد اليه خطواته . لقد روي عن نابليون

الأول انه لما كان أمين قصره يعرض عليه يوماً ما استجده في القصر من فرش وأثاث وقد جعل هذا الأمين يطرى هذه الأمتعة والأدوات ويثني على صنائها ويقول انها قد جمعت إلى جودة الصنف ونفاسته رخص القيمة وقلة النفقة لبث نابليون أثناء تلك الأقوال المسهبة والخطاب المستفيضة صامتاً لا ينبس بحرف واحد . ولكنه بعد نهاية هذا الكلام المطول أمر أمين القصر أن يجيئه بـعص ثم عمد إلى هداية ذهبية من هدايا إحدى الستائر فقصها وطواها في جيبه وانصرف . وبعد مضي أيام فلائيل أبرز الهداية من جيبه في الفرصة المناسبة فعرضها على منجد القصر الذي كان صنمها فارتاع ذلك الصانع التمس وأرعدت فرائضه : لقد كانت تلك الهداية مغشوشة - لم تكن ذهباً كما زعم ولكن صفيحاً ! هذه النادرة على تفاهتها تبين ماهية طبيعة الرجل وعنصر خلقه - تبين أنه رجل عمل لا كلام وإن غريزة نفسه الصادقة تدفع به إلى كبد الحقيقة مباشرة ضارباً صفيحاً عما يحيط بها ويحجبها من الأقاويل والأراجيف ومن الشكوك والشبهات . كذلك كان نابليون الأول وكذلك كان غيره من رجال الحقيقة والجد والعمل - وكذلك نري عبد الخالق ثروت .

هذا الرجل العظيم - ثروت باشا - يعرف بغريزته الصادقة

كنه ما يحيط به من الظروف والأحوال وماهية الأسباب  
والوسائل التي يستخدمها ويتذرع بها إلى بلوغ غرضه ويعرف  
كذلك درجة قوته ومبلغ قدرته وأين تقعان من غايته وبغيته -  
يعرف النسبة بين كفاءته وبين ما يكتنفه من الظروف  
وما يستعمله من الوسائل . وهذا لا يتأتى بالنظر السطحي ولا  
بالمحات المتقطعة ولكن بطوفان من نور البصيرة يغمر الأمر  
المبهم من جميع جوانبه وأركانه - بفضل العين الثاقبة والذهن  
المتوقد . وكذلك على مقدار فهم الرجل لحقيقة الموقف يكون  
حسن كفايته وبلاءه . فهل هو يستطيع أن يجمع الشتات ويؤلف  
الشوارد وينفث في الخايط المشوش روح النظام والتنسيق -  
هل يستطيع الرجل أن يقول في غياب الشك وظلمات الشبهة  
« فليكن نور » فيكون النور ؟ هل يستطيع أن يخاق من عالم  
السديم والفوضى دنيا منظمة منسقة ؟ ستكون قدرته على ذلك  
بحسب ما يحتويه قلبه من النور والضياء . وسنرى قريباً مبلغ  
نصيب الوزير الجليل من هذه الميزة العظيمة - ميزة الملائكة  
وهبة الآلهة .

ذلك النور والضياء في فؤاد ذلك الرجل الألمي -  
عبد الخالق ثروت باشا - هو مصدر ما يمتاز به من خلال النبيل

والكرم والهمة والمروعة والوطنية المتهبة وخصال الصبر والجلد  
والحلم والرفق والتسامح .

ألا فقدس الله نور القلب وضيائه ! - أليس ذلك هو الذى  
يجلوك ، ايستكن فى ضمائر الاشياء من روح النظام والائتلاف -  
اليس ذلك هو الذى يوضح لك مغازي الطبيعة ومقاصدها وماقد  
تحفيه تحت قشورها الخشنة ومظاهرها الكريهة من المعاني  
الموسيقية ؟ ( فانه ايس من شىء كائن فى هذا الوجود الايستكن  
فى أعماق جوفه معنى موسيقي أى روح نظامية تكون قوامه  
ومسلكه وعماده وملاكه . وبغيرها الايتاسك ولا يكون ) . فنور  
القلب أو العين الناقبة فى عطاء الرجال عامة وفى ثروت باشا خاصة  
هى التى تهديه فى زوبعة السياسة النائرة بآفاتها ومكاريها - الى  
مواطن الخير والمنفعة والصلاح فيستخلص من المنكر معروفاً  
ومن المر حلواً ومن السم دريافاً . كما سنرى قريباً .

لقد تقدمت أيها الوزير النبيل لعملك الجميل وسطاطلال  
صرح الاستقلال المتهدم وانقاضه المبعثرة وأمامك الخضم العنيد  
يحاول مقاومتك ومناهضتك بهدم ما تشيد وتقويض ما تبني .  
وحولك البناءون من بنى وطنك منهم المسعف المسعد الحاضر  
المدد والمعونة ومنهم المتباطيء والملكيء والوانى والمتهاون -

فمصاعبك حجة ومتاعبك شاقة - أحجار وجلامد صلبة صماء تتأبى  
وتتمسر . ورجال تتأفف وتتضجر . وأمور متناقضة وشؤون  
متضاربة وظروف عانية متمردة . فلتقهرن هذه جمعاء ولتغلبن  
عليها إن قدرت - وإنك على أمثالها القادر .

إن المصاعب والآفات والمتاعب والعثرات قريبة ظاهرة  
مجابهة تتفانك لدي كل خطوة - وإن عون الطبيعة ومددها  
وإسعافها ( وإن كان في النهاية مؤكداً مضموناً ) لمستتر مخبئ -  
فاستثره من مكانه ونقب على خفاياه بالصبر الجميل وبالجلد والعزم  
والإخلاص - بقوة رجولتك ومضاء همتك . تنلب على كل عقبة  
وصعوبة وحاول بكل ما أوتيت من حول وطول أن تشيد من  
هذه الانقراض المبعثرة المشوشة صرح الاستقلال التام لبلادك  
راسخ القواعد موطن الأركان منبع الجوانب شامخ الذرى -  
لبث الوزير الجليل عبد الخالق ثروت باشا ثلاثة أشهر

طويلة يدافع عن حمي بلاده ويذود عن حياضها ويكافح عن  
حقوقها ويناضل إزاء الد الخصوص واعتاها وأشدها استبداداً  
وجبروتاً وبطالاب بتحقيق مطالب الوطن العزيز وامانيه الكبيرة  
- ثلاثة اشهر جاهد فيها جهاد مشمر معزم مستبسل في سبيل  
الحق مقدما اصدق مثال على روح الوطنية العالية والتضحية

الشريفة . فكيف كانت نتيجة مساعيه وثمره مجهوداته .  
في نهاية هذه الأشهر الثلاثة أذعنت لشروطه وأجابت .  
مطالبه اقوى دول العالم فاعلنت في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الغاء الحماية .  
عن القطر المصري واعلنت استقلاله التام . وان يكون للبلاد  
دستور وحكومة مسؤلة  
جزاك الله أيها الرجل العظيم عن البلاد وأهلها أكرم الجزاء .  
وقدرها على القيام بواجب الشكر . نحوك

# الفصل الثاني

## التصريح لمصر

بالغاء الحماية و اعلان الاستقلال التام

وكذلك في غرة شهر مارس سنة ١٩٢٢ خطت مصر أفسح خطوة وأيمها نحو غايتها المقصودة وأمنيتها المنشودة فصعدت عن نفسها أغلال الاستبداد الاجنبي وتخلصت من ربة الحكم البريطاني ووضعت قدمها على قارة طريق النجاة والسلامة وبرزت من ظلمة سجن العبودية الى فضاء الاستقلال الطلق الرحيب والى جوه المشرق المستنير وتندمت أول نسيمات الحرية - تلك النسيمات الغضة المنعشة التي هي غذاء الانفس ومادة الارواح وحياة الحياة اذ كانت هي الشرط الاول لنهضة الامم من وهدة التقهقر والانحطاط والحجر الاساسي لبناء صرح المجد والعلاء وكانت مفتاح باب النعمة والثراء . والرغد والرخاء . وسلم الرقي الى أسى درجات المدنية والحضارة والحياة السامية النبيلة . أعلنت انكارنا في « التصريح لمصر » الغاء الحماية والاعتراف

بالاستقلال التام وأن يكون لمصر برلمان يمثل الأمة تمثيلاً صحيحاً  
وحكومة مسؤولة أمام الأمة ممثلة في برلمانها وأن تتولى مصر  
بنفسها دون أدنى تدخل من الدولة الانكليزية أمر تأسيس  
البرلمان وسائر مهمات الحكم والادارة في بلادها. وأن يحصر  
الخلاف بين الامتين في أربع نقاط وهي :

( ١ ) حماية المواصلات البريطانية داخل حدود القطر  
المصري ( ٢ ) حماية الاقليات والأجانب ( ٣ ) الدفاع عن مصر  
ضد كل اعتداء أجنبي ( ٤ ) مسألة السودان . فهذه المسائل  
الاربعة ينظر في تسويتها وحلها بواسطة مفاوضات مستقبلية  
تدور بين الحكومة الانكليزية وبين البرلمان المصري الذي يكون  
هو وحده صاحب الحق في تحديد موعد هذه المفاوضات  
والشروع فيها حسب ميله ومشيئته الحرة المطلقة. وفي مقابل هذه  
الفوائد الجمة والغنائم العظيمة التي استخلصها عبد الخالق ثروت  
باشا لمصلحة بلاده من يد الخضم الالذ المعاند لم يبذل دولة الرئيس  
الاجل لذلك الخضم أدنى ثمن في صورة شرط أو تعهد أو قيد  
— بل احتاز للوطن هذه الثمرات المباركة غمًا بلا غرم وطعمة  
بسائغة هنية وعربونًا لما سوف تستوفيه مصر على يد برلمانها في

المفاوضات المقبلة من موفور الحقوق ومستكمل المطالب  
كل ذلك ناتمة مصر بمعونة الله العلي الأ كبرجل شأنه وبهمة  
ملكها المعظم وفضل مساعيه الجليلة ومجهوداته العظيمة محتذيا  
في ذلك حذو آياته الاقيال الاماجد واجداده الصييد الصناديد  
جارياعلى سننهم الاغرا الاوضح ومنها جهم الانبل الاشراف متبذرا  
غاية من المجد والسناء تقع من دونها ساجحات الآمال وطامحات  
الامانى وتنحسر عن شأوها المديدأحت مطايا الحمد واوحى سوابق  
الثناء والشكر . اذام الله سلطانه . و دعم بالعز بنيانه ووطد بالعدل  
أسسه واركانه . وايد بالفتح المبين صولجانه . وانسح في مجبوحه  
النعيم ارجاءه . واخفق في رياح النصر لواءه . وجعل عهده الميمون  
مراد خصب عميم . ومرتع عز مقيم . و فاتحة خير للبلاد لا تجف  
على الزمان اخلافه . ولا يجمد على الحقب والاجيال هطاله  
ووكافه . انه سميع النداء . مجيب الدعاء .

نالت مصر كل هذه الفوائد والغنائم بفضل الله عز وجل  
وبفضل ملكها المعظم اذام الله عزه وخلد ملكه وبفضل الوزير  
الاجل عبد الخالق ثروت باشا الذى رد إلى البلاد بفضل حكمته  
وحزمه ومثابرتة وجهاده اوفر قسط من حقوقها المسلوبة - ( وأنه  
على استرداد الباقي لمعتزم دؤوب ) - والذى محاماً كان أصاب

كرامة الاوطان من وصمة « المذكرة الايضاحية » واسى ما كانت  
أحدثته في أديم تلك الكرامة من ندوب وجراح - دون أن  
يقيد البلاد باعطاء أدنى مقابل من شرط أو تهديد .

وبفضل مجهودات الشعب المصرى ذاته الذى ما قصر فى  
المطالبة بكامل محتواه ولا فرط ولا ونى ولا تبلى والذى أظهر  
فى الساعة العصبية والمحنة النكراء ( عقب اعلان المذكرة  
الايضاحية ) من ضم الصفوف وتوحيد الكلمة ماشداً أزر الوزير  
الجليل ثروت باشا وايداه وكان من ورائه حصناً حصيناً فى  
مناهضة الخضم وكهفاً منيعاً وعروة وثقى .

وكذلك فى أول مارس ١٩٢٢ هب على مصر من نفحات  
رضوان الله نسيم الاستقلال وحيما مسامعها من موسيقى النظام  
الابدى نغمات الحرية المطربة الشجية فحيا الله فى الأيام ذاك اليوم  
الإغر المحجل وقدس الله فى الساعات تلك الساعة السعيدة الزهراء  
ساعة هبط علينا البشير يحمل إلينا صحيفة السعادة الخالدة ممسكة  
بأذكى من شذى العطر . مصقولة الطراز باهى من سنا الفجر .  
وأى ساعة أجل وأعظم واحق بالتمجيد والتمجيد من ساعة  
تنطلق فيها الروح الانسانية بعد طول اسر واحتباس من قيود  
الرق واغلال الخسف والعسف فتنهض وتنهض - ولو غشيها

اثناء ذلك شيء من الدهشة والارتباك والحيرة - وتنشط من عقلمها حافظة بالذي خلقها وسواها لتكونن حرة وتتبعين طليقة؛ الحرية وما ادراك ما الحرية؛ هي جوهر الروح وعنصر النفس وملاكها الذي لا تقوم بغيره وقوامها الذي لا تصح ولا تسلم إلا به. وهي البغية والطلبية التي لا تزال تنزع اليها الروح من أعماق اعماقها وتشرب وتطمح وتصبح مفصحة أو معجمة مبينة أو مجممة تطالب بها السائب المغتصب مناوئة منابذة ولو هدها بما في الأرض والسماء من قوة. وهي التي في سبيلها وحدها يبذل بنو الانسان بحكمة أو بلاحكمة كل كد وعناء ومجهود وجهاد؛ ويغشون كل ملحمة ومعترك ويقاسون كل ألم وكربة وبلاء. اجل ما اجل تلك الساعة وما اعظمها - ساعة تنسم الامة انفاس الحرية المنعشة؛ ساعة يبدو للقافلة المكدودة الظمأى خضرة الروضة العشبية وسط القفرة الجرداء ويقر اعينها رفيف ايكها النضر في وقدة المهاجرة ولفحة الرمضاء.

لما قبلت انكثرتا شروط ثروت باشا واجابت مطالبه انفكت الأزمة الوزارية ورأى ذلك الوزير الجليل انه لا بأس عليه في تلك الظروف الحسنة من قبول الوزارة - وحينذاك رأت جلالة الملك أن تسند إليه الرياسة فلبى دعوة مليكه المعظم تلمية مسرع

إلى طاعته صادع بأمره محتملاً في سبيل خدمة البلاد اعباء تلك المهمة الشاقة ثم اختار دولة الرئيس للوزارات المختلفة رجالاً هم صفوة أبناء الأمة ونخبها وعتادها في الازمات والشدائد وذخرها في الملمات والعظائم - من كل فاضل كفوء وحازم بصير مديد الشأ ورحب النزاع بعيد المهمة وحسبك أن يكون بينهم رجل كصاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا - ذلك الفذ النابغة الدكي الالمعى الذى كأنما تتوقد بين جبينه كواكب الفلك. ومصاييح الحلك . ذلك المشهود له بدقة الذهن وصفاء الفريجة لا يطيش له فى حومة النضال سهم . ولا يخبو له فى ظامة الشكوك نجم . وقد طالما عجمته الحوادث . وعركته الكوارث . فالفته صلد الصفاة . جلد الحصاة . لآحل حبوته . ولا تفل عزمته . وكم دفعت به خطوب السياسة فى المآزق والمضايق فإراعنا الا خروجه منها ظافرا وادع القلب وضاء الجبين . وكفاه نبلا وشرفا انه كان موضع اختيار الرئيس الاجل وانه مازال موطن ثقته واعتماده .

وحسبك أيضاً أن يكون من بين من اصطفى الرئيس أيضاً صاحب المعالي مصطفى ماهر باشا - وهو ذلك الرجل الجلد القدير على العمل الناهض بأعبائه مهما كدت وفدحت . وكم له

من موقف في ميادين الاعمال الجسام اظهر فيه الحكمة مقرونة  
بالصرامة والتؤدة مشفوعة بالعزم والمضاء . وقد أحسن الرئيس  
كل الاحسان في اختيار مثل هذا الشهم الهام لوزارة المعارف  
لانها أحوج الوزارات الى عميد ينفجها بروح من عنده ويبعث  
في كيانها تياراً ملتهباً من « بطارية » ذهنه المتقد . وجدوة حامية  
من مرجل خميته المحترمة . وما ذا عسانا بعد أن نقول في رجل  
رآه الرئيس اهلاً لما ناط به من ذلك العمل الجليل والمنصب العظيم  
كذلك تألفت الوزارة باختيار ثروت باشا من رجال اكفاء  
سبقت لهم في خدمة البلاد ايد بيضاء . وما أثر غراء . تجلى فيها  
اخلاصهم وصدق وطنيتهم في حذق وبراعة . وقد تبوأ اولئك  
الوزراء مناصبهم في وزاراتهم المختلفة حيث أخذوا بالمبدأ السياسي  
الجديد - مبدأ الانفراد بالعمل والاستئثار بالسلطة فقبضوا  
على أزمة الحكم وتسلموا مقاليد حقه وحققوا معاني ذلك المبدأ  
الجديد وأغراضه تحقيقاً تاماً لا يقبل شكاً ولا ريباً - فاصبح  
الموظف الانكليزي مهما علت درجته مرؤوساً للوزير مرغمماً أن  
يخضع لإرادته ويصدع بأمره وايس رئيساً مستتبداً مطلق  
السلطة متحكماً في جميع من حوله يأمر وينهي لا ناقض لحكمه  
ولا راد لكلمته وربما استبد على الوزير نفسه واغتصب سلطته

وأخضعه لمشيئته ورغبته - كما شوهده كثيراً في العهد السالف .  
فها نحن أولاء أصبحنا نرى بعين قريرة جذلي كبار رجالات  
الانكليز يتقلص ظل سلطانهم عن منصات الحكم داخل بلادنا  
ويطوى بساط نفوذهم عن دوائر حكومتنا ويتماثل شبح صوتهم  
المرهوبة ويتردد عن أبصارنا - ويحل محل هذا كله سلطة وزررائنا -  
أهل جلدتنا وأبناء آبائنا واخواننا في الله والوطنية وشركائنا في  
السراء والضراء - الواردين معنا حياض المناعم والمكاره والشاربين  
بالكاس التي بها نشرب ان عاقماً وان شهيداً - ورفاقا في قافلة  
الجهاد وزملائنا في سفينة الاقدار - السائرين معنا الى الهلاك  
أو النجاة . الى الموت أو الحياة . المقرونة اسمائهم الى اسمائنا في  
سجل القضاء الازلي . المحبوء لهم من القسم والحظوظ مثل ماخبىء  
لنا في خزانة الغيب ومستودع المجهول . الجاري لنا ولهم بالسعود  
والنجوس نجم واحد في فلك واحد . فليس من المعقول ولا من  
الجائز قياساً أو فرضاً ولا مما يسوغ في الضمائر أو يمر على الخواطر  
أن اخواننا الوزراء - من تجيش عروقهم بدمائنا وتنقبض قلوبهم  
على دقات قلوبنا - ينزلون الا على ارادتنا - أو يتوخون سوى  
أغراضنا ومقاصدنا ولا سيما في هذا العهد المبارك وفي هذا الدور  
المتقدم من قضيتنا وبعد ما أعلن الانكليز رسمياً الناء الحماية

والاعتراف بسيادة مصر في الخارج وفي الداخل فكان في ذلك أوضح برهان على ما عدلت اليه وعولت عليه الحكومة الانكليزية من صحة العزم وصدق النية على عدم التعرض لادارة مصر الداخلية والحيلولة بينها وبين التمتع بمقوقها الكاملة في حكومة أهلية.

أجل ان الوزارة الحالية لا تألوا جهداً ولا تدخر وسعاً في استرضاء الامة والنزول عن حكمها. وان قامت العقبات والعثرات مؤقتاً دون قيامها بالابلاغ الامة كل رغباتها وجميع مشتبهاتها. ولكن الوقت كفيل أن يبرهن للشعب على أن ما يؤجل الآن من أمانيه وبغياته بحكم الظروف القهرية الناشئة عن حالة الانتقال والتطور السياسى ان تابث الوزارة أن تعمل على قضائه وتحقيقه في الحين المناسب متى تراخت الازمة وانفسح المجال وتيسرت الظروف المسعدة المؤاتية. وفي سبيل تيسير هذه الظروف وارضاء تلك الازمة واستمجال ذلك الحين المناسب تبذل لوزارة الآن أقصى الجهد وتخطو افسح الخطى

فها هي قد تسامت كما أسلفنا مقاليد العمل وقبضت على أعنة السلطة. فنحت المستشار المالي عن حضور جلسات مجلس الوزراء كما هو معروف وتخلصت من معظم وكلاء الوزارات

ومستشاريها الانكليز واستبدات بهم وكلاء وطنيين . وهانحن  
أولاء لا يكاد يمر بنا برهة من الزمن الا رأينا بعض كبار  
الموظفين الانكليز يعتزل منصبه في الحكومة المصرية فيعين  
مكانه مصري من ابناء البلاد . وهانحن نرى الوزراء المصريين قد  
ماكروا نواصي الشؤون والاحوال . وامسكوا بدفة المسائل  
والاعمال في وزاراتهم المختلفة فأحاطوا علماً بكل دقيقة وخطيرة  
ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة . . . ومن ذا الذي لم يطلع في الجرائد  
السيارة على قرار صاحب المعالي اسماعيل صدق باشا بهذا الشأن  
وفي ذلك الصدد . ذلك القرار الحاسم الجازم . الذي أماط كل  
لتام وجلى كل شك وشبهة عن هذا الامر الخطير فلم يدع مجالاً  
للتنقد ولا موضعاً للاعتراض .

هذه كلها من فوائد العهد الجديد ومن ثمرات الفوز السياسي  
المبين الذي احرزته البلاد بمعونة الله عز وجل وبفضل جدها  
ومجهورها وهمتها وتضحيتها وعلى الاخص بما اظهرت من الاتحاد  
والتضامن (عقب اعلان المذكرة الايضاحية) والقيام في وجه  
الخصم اللد المعاند متساندة متعاضدة كأنها روح واحدة في جسد  
واحد . وبفضل جهودات وزيرها الاجل ومهارته وحنكته  
السياسية وكفاءته النادرة فهو الذي استطاع أن يتخذ من صديق

موقف الامة وقوة تضامنها أحسن وسيلة وأضمن ذريعة الى اقناع الخصم واستماتته والتأثير في أعصابه حتى أمكنه أن يستخلص للبلاد من قبضته ما استخلصه من تلك الفوائد الجمّة والغنائم العظيمة .

ولكن كيف كان موقف الامة ازاء هذه التغير السياسي العظيم وبماذا استقبلوا هذا العهد الجديد . وماذا كانت آراؤهم فيما قد تأتي للبلاد من تلك الفوائد والغنائم ؟

انقسمت الامة بهذه المناسبة وفي هذا الموقف من حيث الظنون والآراء شيعاً بديداً . وطرائق قديداً . . . فمنهم المستبشر المتفائل الفرح الجذلان بما نالته البلاد من ذلك الغنم العظيم وان وقع دون أقصى غاية البغية والمراد وتناصر عن أبعاد مرامي المقصود والمرغوب ولم يسم إلى ما تطمح إليه الامة من الاستقلال التام بأكل معانيه . وفي إسمي مراقبه . وأنى مجاله . فهذا الفريق من أهل البلاد يعتقد أن هذه المرحلة الأخيرة فوز صريح وربح حاصل وأنها بلا أدنى جدال خطوة إلى الأمام . وخطوة واسعة قد قربتنا من الغاية المقصودة شوطاً بعيداً . وأشاراً مديداً . وحسنت موقفنا وحصنت مركزنا ورفعتنا من وهدة ضعف وحضيض مهانة كنا فيه تحت مدفعية الخصم نصلي نيران سطوته

ولهيب صولته لانستطيع له مطاولة ولا مصاولة - فرفعتنا هذه  
الخطوة إلى ربوة عزة ومنعة وهضبة حصانة وقوة أصبحنا بها  
أولي قدرة على مناهضة ذلك الخصم ومناجزته وأقدر على مواصلة  
سعيينا إلى أمنية المنشودة أعنى الاستقلال التام المطلق من كل  
قيد المجرد من كل شائبة - أولم يصبح هذا الغنم الذي استفدناه  
أخيراً أقوى سبب وأمتن وسيلة نستطيع أن نتذرع بها إلى أحرار  
الفوز الأتم والنجاح الأكمل أعنى تحديد الضمانات التي تطلبها  
بريطانيا العظمى ونقصها وتلطيفها بما لا يتعارض مع استقلالنا  
ولا يضره إلى أن يحين الوقت للعدول عنها وإطراحها فتخلص  
مصر الخلاص التام من كل قيد من هذا القبيل وخلافه .

هذا فريق النفاؤل والتمين الذي هو في الحقيقة أقرب من  
غيره إلى الصواب والمعقول . لأن جميع ما يحيط بالمسألة من  
شواهد الظروف وقرائن الأحوال تصدق رأيهم وتؤيد حججهم  
وتمت فريق آخر ينافض الفريق الأول في رأيه ومذهبه . فهو  
لا يثق ببريطانيا على الإطلاق بل يفضل ترك الحال معلقة - حتى  
يقضي الله أمراً كان مفعولاً - على قبول ما هو معروض الآن  
على مصر - محتجاً لمذهبه هذا بأن الانكليز ما برحوا منذ بدء  
احتلالهم هذا القطر بمنون أهله باباطيل المواعيد وأضاليل الأمانى

فاذا استسلمنا الى وعودهم هذه المرة أيضاً فقد تضعف العزائم  
وتتخدر الأعصاب ويتأخر سير القضية الى غرضها الاسمي  
ومرادها الاقصى وفي هذا البلاء والشركه .

ونحن نعترض على هذا الفريق ومذهبه بأن انكثرة اليوم  
ليست بانكثرة الأمس . لقد عامتها الحوادث ر الخطوب أن  
أمم الشرق وشعوبه الواقعة تحت سيطرتها ليست بالرغم البالية  
المقبورة في مدافن الدثور والعفاء ولاهي بالخشب المنسندة الملقاة  
في زوايا الاهمال والنسيان رهائن العجز والتبليد والتخود والجمود .  
لقد كانت انكثرته تحسب أن الامة المصرية وسائر أمم الشرق  
لم تشارك الشعوب الغربية المهضومة فيما أحدثته الحرب الكبرى  
في صميم كيانها من تلك الثورة الفكرية والغليان السياسي الذي  
استحدث حركتها العادية وسيرها المألوف في سبيل الرقي الطبيعي  
التدريجي نحو الغاية المحتوم عليها بلوغها - ( ولو ببطء وتريث  
وبعد تعطيلات العقبات والعراقيل ) - بحكم السنن الكونية  
والنواميس الطبيعية . فانكثرته بالرغم من اعترافها للشعوب الغربية  
الصغرى بما أحدثته فيها الحرب الكبرى من الثورة الفكرية  
السياسية وبالرغم من اذعانها لحكم هذه الثورة - أعني لحكم السنن  
الكونية والنواميس الطبيعية تغافات عن مصر في بادىء الامر

وتعامت ولم تحسب لها حساباً في باب النهوض والتحفز فلم تلق لمصر بدلو يوم الفت الشعوب الغربية بدلائها في مناهل المؤتمرات ولا أجالت لمصر قدحاً ولا سهماً يوم أجالت الشعوب الغربية سهامها وقد احبها في قرعة السياسة على موائد المقامرة الدولية . لم تطرح انكارها مسألة مصر ولا سمحت لمصر أن تطرحها بنفسها . في ميزان التسوية يوم طرحت مسائل الأمم الغربية في ذلك القسطاس الحكم .

فاذا كانت النتيجة والعاقبة ؛ نتيجة الغفلة والتفريط وعاقبة من لا يحسب الأمر حسابه ولا يتدبر عواقبه . كانت النتيجة — مفاجأة الغافل المغتر بما لا يتوقع من الخطاب الجسيم والحادث الجلل الذي مابرح يختمر ويتكون — أيام غفلته وغروره — في طي الخفاء حتى ظهر له حين انقشاع عمائته وانجلاء غمرته — بارزاً جهيراً شنيعاً بشعاً جهماً متنكراً يحملق اليه بعين الحقيقة المستعرة جماً وشرراً .

كانت النتيجة استيقاظ بريطانيا من رقدتها الطويلة بلطمة قاسية من كف الحقيقة المرة الاليمة حين استوفت هذه الحقيقة نموها واستكملت نضجها ودرجت من منشئها ومرباها الى ميدان العالم ومعتك الحياة لتؤثر أثرها وتؤدي وظيفتها .

كانت النتيجة ان مصر المهضومة المستضعفة التي لم تحسب  
بريطانيا حسابها ولم تأخذ منها حذرها ثارت ثورتها المعروفة في  
مارس ١٩١٩ وهبت في وجه بريطانيا هبة الأسد المسلسل  
صدع قيوده وأغلاله ووئب يطالب المغتصب بحقوقه المهضومة  
المسلوبة .

عند ذلك أفادت بريطانيا لأول مرة من غفاتها بالنسبة  
للمسألة المصرية وصحت من سكرتها . واقبلت على القضية  
المصرية تتأملها بعين الحذر والاهتمام المشوب بشئ من الخشية  
والرهبة . ولا جرم فلقد راعها من عجيب تطور الأمة المصرية  
وعظيم نهضتها وطفرتها ماراع « أهل الكهف » اذهبوا من  
رقادهم فهاهم ماهاهم من تغيير حال الدنيا وتبدل الشؤون  
والمشاهد . وكان بعد ذلك ما كان من محاولة بريطانيا المرة بعد  
المرة تسوية القضية المصرية بوسائل شتى - احداها « لجنة ملنر »  
التي فشلت في مهمتها بفضل اجماع المصريين قاطبة وتوحيد كلمتهم  
على مقاطعتها أشد مقاطعة وأقصاها حتى أوصدوا في وجهها كل  
باب للمناقشة والمفاوضة بل قطعوا منها كل أمل في ذلك . وكل  
هذا تأييداً للوفد المصرى الذى كان إذ ذاك وكيل الأمة المفوض  
ومندوبها الذى لم ترض سواه مندوباً ووكيلاً .

وهنا يجدر بنا أن ننوه بما كان من سلوك ثروت باشا في تلك الآونة الدقيقة وكيف كان موقفه ازاء اللجنة منذ وبماذا أشار عليها : قابل ثروت باشا في ذلك الحين اللجنة المذكورة منفرداً ( كما قابلها عدلى باشا منفرداً ) لا مقابلة راجب في مفاوضتها - حاشا لوطنيته، اللهم أن تفعل ذلك - ولكن مقابلة من أحب أن يبلغها جواب الشعب الصريح واعتقاده الصحيح معبراً عن جنانه . ناطقاً بلسانه . فانبأها بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن الشعب المصرى ان المصريين قاطبة قد أصرروا على أن لا يكون لهم مع اللجنة شأن ما وان لا يدخلوا معها في مناقشة أو مباحثة - ذلك لأن لهم وفداً يمثلهم أصدق تمثيل وأصح . فهم لا يرضون غيره محاميا عن القضية ولا يتقون بمفاوض سواه كائنا من كان . هذه المأثرة الجليلة من ما ترثوت باشا الدالة على ما ينطوى عليه فؤاد الرجل الكبير من صدق الوطنية وروح التضحية أقل ما يؤثر من عظيم ما أثره . وجسيم مفاخره . وأدنى ما يذكر من مساعيه الجليلة فى سبيل خير البلاد وصالحها . ولكننا رأينا أن نودرها هنا تذكرة لمن نسى وتعريفاً لمن لم يعرف . فليعلم الناس ان وطنية ثروت باشا ليست وليدة اليوم ولا بنت الامس بل هي عريقه فيه متأصلة منذ ادلى به عالم الخفاء الى عالم

الوجود . - منذ

سله الله للخطوب من الغي ب كسل المهند المغمود  
وكذلك كل رجل عظيم لا تكون فيه الوطنية مجرد عادة  
يبتادها أو خصلة يتحلى بها أو إداة يتذرع بها الى شئ من  
مقاصده وأغراضه - بل تكون فيه غريزة غالبة وطبيعة  
مسيطرة على جميع مشاعره ومماركه ونزعاته . وعواطفه  
وشهواته - تكون مزاج دمه وأساس كيانه والجوهر الذى صيغت  
منه نفسه والعنصر الذى صورت منه روحه

قلنا ان بريطانيا لما أفاقت من سكرتها بالنسبة لمسألة  
المصرية ولما قشعت يد القدر عن بصرها ما كان ران عليه من  
غشاوة الغفلة والغرور وعن قلبها ما كان قد غشيه من حجب  
القسوة والجبروت فأصاغت الى صوت مصر المتصاعد الى  
عرش الله واصغت الى نداء مصر المالى ما بين الارض والسماء  
وقد ادركت ان مصر لا تقل عن نظائرها من الشعوب  
الاوربية شعوراً لعزتها وكرامتها . وعرفانا بقدرها وقيمتها .  
وادلالا بسالف مجدها وعظمتها . وانها لا تنحط فى درج المدنية  
والحضارة عن مقام تلك الامم بلاهيبها فى سلم الرقى الادبى

والاجتماعى عن منزلة تلك الشعوب - لما ادركت بريطانيا كل هذا وجبهتها الحقيقية صلبة خشنة كالصخر الصماء - ارادت استرضاء الامة المصرية وحاوات بلوغ ذلك بتسوية قضيتها المرة بعد المرة بوسائل شتى . منها « لجنة مانر » التى ذكرنا ما كان من فشلها بفضل اجماع المصريين على مقاطعتها بأقصى الشدة وبتنفيذهم هذه النية بحمد وجد وعزيمة وصرامة كانت ولا تزال موضع اعجاب العام بأسره وكان من تلك الوسائل أيضاً دعوة بريطانيا الامة المصرية الى مفاوضتها أولاً على اسان الوفد المصرى ( بصفة غير رسمية ) وثانياً على اسان الوفد الرسمى ( بصفة رسمية طبعاً )

ليس غرضنا ههنا ان نأتى على تاريخ تينك المفاوضاتين ولا ان ندرس فى تفاصيلهما - بل لم نذكرهما هنا بقصد تناولهما بالبحث والنقد وانما الجأنا الى التنويه بهما نحاولتنا اقناع الفريق المنشأ المتطير المبالغ فى اساءة الظن ببريطانيا ان انكسار اليوم - التى تدعو بنفسها مصر وتمديداتها اليها للدخول معها فى المفاوضة لاسترضائها وتسوية قضيتها هي خلاف انكسار الامس العائنة المنغطرسه اى كانت لانسمع النداء . ولا تسميخ لنداء

فهذا الفريق المتشائم المتطير الشديد الارتياب في صحة مواعيد بريطانيا وفي حسن نيتهما ألمصر على أن لا يزال مدى الدهر يعتقد فيها مطال الوعود وختل اليهود والسخرية من مطالبنا الوطنية . وأمانينا القومية . نقول ان بريطانيا اليوم بالنسبة لقضيتنا غيرها بالأمس وإنما تقف منا الساعة موقفاً لم تقفه من قبل . فلقد أيقظناها من رقادها ونبهناها الى تلك الحقيقة الكبرى وهي أن مصر أيضاً أمة كغيرها من الأمم الغربية وإنما تعرف مثلها معاني الحرية والاستقلال وتصيبو الى أخذ مكانها بين دول العالم المحيطة وممالكه العظيمة وتتوق الى الصعود في مرافق المدنية السامية لاغتلاء ذروة العز وتسم غارب المجد والسؤدد . وإنما كسائر الأمم الغربية الناهضة لها قلب يجيش بأذكي جهرات الحمية . وأسمى مراحل الوطنية . ولها جانب صعب أبي ينفر بها عن مواطن الخسف والضميم . وانف همى يأبى انهما النزول على العسف والرمم . أجل لقد فتحننا عين بريطانيا بعد طول غموض الى ان مصر كمشيالاتها من أمم الغرب لا تصبر على اغتصاب حقوقها واستلاب تراث أسلافها وإنما تقدر قيمة الحرية حتى قدرها وتعرف انها الجوهر الثمين . والدرة اليتيمة . التي من أجلها تخوض غمرات الخطوب . وتغامس حومات المحن والكروب . فاما تهلك وتفتنى

في خضم الجهاد واما تظفر بتلك الدررة اليتيمة فتردها الى موضعها من اكليل مجد البلاد وتعيدها الى نصابها من تاج حسبها المجيد . وعزها التليد . لقد علمنا بريطانيا أنه ليس للغرب أن يفخر على الشرق زاعماً أنه أوفر نصيباً منه في مزايا النهوض والتقدم وانه أذكي منه قلباً وأنبل روحاً وأصفى جوهرأ وأكرم عنصراً — لقد علمنا بريطانيا أنه لاشرق ثمت ولاغرب اذ هبت الامة من سباتها نداب بحمها المهضوم وتحاول استرداد الحرية والاستقلال — لاشرق ولاغرب اذ زخر عباب الحياة في فؤاد مثل هذه الامة وثار موجه وجاش تياره في أعماق روحها المضطربة ثم دفعها رياح الوطنية العافية الى الموت أو الحياة . أجل . في مثل هذه الساعة الخطيرة تمجى من بين صفات الانسان الطبيعية تلك الصفة الاصطلاحية الصناعية أعني « شرقيا » و « غربيا » وتسفط عن هيكل الانسان المقدس تلك « الماركة » المعلقة عليه تعليفاً — غير المتأصلة في جوهر الروح النقي الاصلى المستمد هو وسائر ارواح البشر من مادة الروح الكلى وينبوعه الابدى .

لقد فتحنا عين بريطانيا الى هذه الحقيقة الكبرى وهي ان الامة المصرية لم تكن فيما مضى من الزمن ميتة ولا جامدة ولا خادمة ولا نائمة — بل حية تذكو في ضميرها جرة الحياة

والشعور وان حجبت شعاعها حجب الفتور والتبدل منا وحجب الغفلة والغرور منهم . لقد علمنا بريطانيا هذه الحكمة البليغة وهي انه لاشيء في الحياة ميت أو هامد أو راكد . لقد ذكرناهم بما كان أوحى اليهم حكيمهم العظيم توماس كارليل في القرن السالف حيث قال في كتابه « الثورة الفرنسية »

« لاشيء في الكون ميت . وما نخاله ونسميه ميتاً انما هو

في الحقيقة في حالة استحالة وتغير تعتمل قواه الكامنة وتفتعل على نظام معكوس . فالورقة الذابلة رهينة البلى والعفن لاتزال تكمن فيها القوة - والافكيكف كان يتأني لها أن تتعفن ؛ الا انما الكون بحذايره ليس سوى مجموعة غير محدودة من القوى المختلطة الممزجة - تمد بالآلاف والملايين - من الجاذبية الجمادية الى الفكر والشعور والارادة - حرية الذهن المطلقة تكتنفها وتحقق بها ضرورات الطبيعة المحتمة : وفي خليط هذه القوى الهائل العظيم لاشيء يهدأ أو ينام لحظة . بل كلها لاتزال أبد الأبدين يتطاة فعالة . فاما ذلك الشيء الجامد الهامد المنعزل عن دوامة هذه الحركة الابدية فذلك مان تجده وان تراه في أى أنحاء هذا الوجود البتة - مها فتشت ونقبت في سلسلة الكائنات من الجبل الصوان المستمر في حركة البلى البطيء منذ بدء الخليقة - الى

السحابة السارية ، الى الانسان الحي ، الى أقل فعلة من أفعاله وأدنى كلمة من أقواله - أجل ان الكلمة اذا خرجت من فم القائل مضت كالسهم النافذ لا ماحى لاثرها . وأشد منها وأقوى الفعلة الواقعة . أرم يتغن لنا الشاعر « بندار » قديماً بحكمته الماثورة « ان الآلهة أنفسها يتعجز أن تمحو أثر الفعلة المفعولة » اقد صدق « بندار » فان هذه متى فعلت بقيت على الابد الآبد مفعولة أى دائمة المفعول والاثـر - بقيت مسترسلة في فضاء الزمن اللانهاى - وسواء لبثت ظاهرة لنا بادية . أو مستترة خافية . فتبقى فعالة تزكو أبداً وتنمو عنصراً جديداً لا ينفى ولا ينعدم في غضون مزيج الكائنات اللانهاى . بل ماذا تحسب هذا المزيج اللانهاى ذاته الذى نسميه « الكون » - أتراد سوى فعلة أو مجموعة من الافعال أو القوى ؟ أتراد سوى مجموعة حية ( يعجز الحساب عن جمعها وحصرها في جداوله وان بدت لعينك مكتوبة على صفحة الزمن ) - مجموعة حية لهذه الثلاثة الآتية : كل ما فعل ، وكل ما يفعل وكل ما سوف يفعل . فاعلم - عامت الخير - ان ذلك الكون الذى تراه انما هو فعلة - هو النتيجة والمظهر لقوة مبدولة . هو البحر العديم السواحل الذى من ينابيعه تنفجر القوة - والذى في مباب حومته تجيش وتموج القوة زخارة منسقة منتظمة فسيحة

كالانهاية عميقة كالا بداية - جميلة مخوفة حسناء روعاء غير مدركة  
ولا مفهومة . - فهذا اللج الزاخر الذي لم يبرح يجيش ويرغى  
ويزبد من وراء الافلاك ومن قبل بداية الزمن ولم يزل يموج من  
حولك - بل أنت نفسك جزء منه في هذه النقطة من الفضاء  
وفي هذه الدقيقة من الزمن - هذا هو ما يسميه الانسان «الكون»  
و « الوجود »

«وكذلك الحياة البشرية وكل ما فيها لا يزال في حركة دائمة  
وفي فعل وتفاعل متطوراً من حال الى حال ومن شكل الى شكل  
بتأثير نوااميس نافذة محتومة - نحو غاية محدودة ونتيجة لازمة  
ونحن بنى البشر - ألا ترى كيف نظل منغمسين مغمورين في  
أعماق سريرة الزمن وفي ظلمات لغزد العويص - ولا جرم فنحن  
أبناء الزمن وسلالاته - ومن الزمن حيكت انسجتنا ودبغ ادينا  
وصيغت صورنا وأشكالنا - - وعلمنا وعملنا كل ما نملك أو نبصر  
أو نفعل قد كتب الزمن شعاره وحكمه : لا قرار في موضع  
ولا دوام على حال - سرالى غايتك . وامنض قدماً الى قسمتك .»  
أجل . لقد لقت مصر على بريطانيا وقعياً وعملياً في الثلاثة  
الاعوام الاخيرة ما كان القاه عليها كلاً ما ونظرياً حكيماً بالاعظم  
توماس كارليل في الجيل السالف . لقد أعدنا عليها ذلك الدرس

العظيم بالاعمال الصارمة ذات الاثر والمفعول والنتائج الخطيرة  
لقد أيقظناها الى الحقيقة المرة بثلاث صدمات شديدة كبحت  
جماحها وكفكفت غربها والانت عريكها حتى هيأتها نهائياً الى  
التأثر بسياسة ثروت باشا في مناوراته الاخيرة والى الاقتناع  
بناصح حججه ودامغ براهينه والى الانقياد نوعاً ما في زمام مهارته  
السياسية وبراعته المنطقية . أما هذه الصدمات الثلاث التي مهدت  
طريق النجاح لثروت باشا فهي كما يعرف الجميع (١) قومة مصر  
في وجه بريطانيا في مارس ١٩١٩ (٢) مقاطعة لجنة ملتر (٣) قطع  
الوفد الرسمي الذي كان يرأسه دولة الوزير العظيم عدلي يكن باشا  
للمفاوضات المصرية - الانكليزية ، وما أعقب ذلك من التثام  
الصدع وائتلاف الشمل بين الاحزاب المصرية بعد طول تناوب  
وتنازع ثم انضمام الصفوف وقيام الامة قومة سامية باساليب  
الدفاع السلبية . ولا ينس أحد أن صاحب الفضل الاعظم في  
هذه الوثبة الثالثة والصدمة الاخيرة - (أشد الثلاث وقعاً وأبلغها  
أثراً ومفعولاً) وأعظم سبب لها - بل أساسها ومصدرها هو  
ذلك الرجل الخطير والبطل الكبير صاحب الدولة عدلي  
يكن باشا

وماذا عسانا نقول في مدح ذلك البطل المجيد عدلي يكن

وأين تقع رأمحات الحمد وغاديته . وسابحات الثناء وسارياته . من رفيع مقامه في ذروة المجد الشامخ . وذوابة الحسب الباسق الباذخ ! ما ذاعسانا نقول في رجل حملته الامة امامتها فأحسن الجمل والاداء . وزجت به في حومة النضال عن حقوقها فاجاد الذود وصدق البلاء . أولم يدفع عدلى بحر وجهه الكريم ما أرادت بريطانيا أن ترمي به وجه الامة المصرية من آيات الخسف والهوان ممثلة في ذلك المشروع الذى رفضه هذا الهمام فكفى بذلك أمته غضاضة مناقشة المشروع والنظر فيه ؛ أولم تبعث به مصرفى تلك المفاوضة نائباً عنها وممثلاً فكان خير عنوان على مالها من نبيل وكرم . وأنفة وشتم . وشرف رفيع . وعز منيع ؛ أولم تكن طلعتته الوضاعة البلغاء . وغرته الوضاعة الزهراء . صفحة صدق تتألق بنور الامة والاخلاص ويسع في جنباتها رونق اليقيز والايان ويتفرق ماء الحياة والعفة والنزاهة ؛ أولم يقرأ الانكليز انفسهم في أساير جبينه الأغر سطور الحزم . والعزم . والحلم والرق والحكمة والحذق . والمضاء . والدهاء

ألم ينتشل عدلى باشا الشعب المصرى الكريم من وهدة الضعف والفتور التى كان القاه فيها دعاة التخاذل والتواكل وبغاة التفرقة والانقسام ؛ ألم يستنقذ عدلى باشا . امته المجيدة من حضيض

التواني والاسترخاء الذي كان اهبطه فيه تجار الفشل والهزيمة  
ومروجو اشاعات السوء عن الوفد الرسمى الذي اثبتت ما اثره  
وحسناته أنه كاكرم وانبل من انتدبت امة للمطالبة بحقوقها  
والدفاع عن قضيتها . والذي سجل له التاريخ اشرف سور الفضل  
واسنى آيات الوفاء فى اجد فصوله وانصع صحائفه؛ أم يبيض عدلى  
باشا وجه امة بما احرز لها من النصر الباهر بموقف الشمم والاباء  
والعزة والكبرياء . الذى وقفه ازاء خمصهما الالذ وقرنها العنيد ؛  
أم يفهم الانكلاز أن الذى يرفض مشروعاتهم بمنتهى الانفة والنخوة  
والاباء هو الامة المصرية باسرها مثلة من شخصه الكريم فى مرآتها  
الحاكية . مجموع نزعاتها ورغباتها وامانيها وعواطفها - وفى لسان  
حالمى الناطق باخفى ما يجنه ضميرها وادق ما يمكن فى خبايا  
سريرتها ؛ أم يكن فى افهامه الانكلاز هذه الحقيقة وتقريرها فى  
اذهانهم مارفع من مقام الامة المصرية فى عيونهم بعد ما اسقط  
منه ظهورها فى انكر مظاهر التفرقة والانقسام - أم يكن  
فى مجيد عمله هذا ما اعاد الى قلوب الانكلاز تلك الهيبة والخشية  
التي كانت اوجدتها ثمت الامة المصرية بفضل ما اظهرت فى بدء  
حركتها من روح التضامن والاتحاد والتضافر؛ أولم يشرف عدلى  
بموقفه العظيم وما اثره الكبرى امة العزيزة ويعلى قدرها ويرفع

رأسها بين سائر شعوب العالم . ألم يقر عينها ويشرح صدرها ؟  
ألم يبعث فيها نشوة العزة وحميا الزهو ويرنح اعطافها بهزة التيه  
واخيلاء ؟ ألم يزودها في تلك الساعة العصبية والازمة السكرية  
والمحنة النكراء . - في اظلم ادوار القضية واوعر مراحلها حين  
خبت كواكب الامل ودجت غياهب التشاؤم - في تلك الآونة  
الصعبة التي بدأنا بذكرها هذا الكتاب وسمينها عقدة العقد  
وعقبة العقبات - نقول في تلك السكرية السكرية والشدة الحازبة -  
ألم يزود عدلى باشا .تم من اسباب التأييد والتشجيع مما نفته فيها  
من روح الحمية والنخوة والعزة والاباء - باجمل السلوى وأحسن  
العزاء عما رمتها به الاقدار من كوارث الظلم والاستبداد ؟ -  
وباقوى الوسائل لاستنهاض همتها واستثارة عزمتها . لاستئناف  
السعى في سبيل الجهاد ومواصلة السير الى غاية المأمول  
والمراد !

وكذلك في سبيل الحق والحرية نفر عدلى يكن تلك  
النفرة السماء وصاح تلك السيحة التي صدم بهولها مسامع بريطانيا  
صدمة ايقظتها ثالث مرة من غفلتها وفتحت عينها الى تلك الحقيقة  
الكبرى وهي ان مصر - بالرغم مما اصابها مؤقتا من تخاذل ابناءها  
وتناذهم - لا تزال مصر على نيل حقوقها المسلوبة مصممة جادة

معتزلة غير وانية ولا فاترة - وانها كغيرها من الشعوب الغربية مندفعة بحكم السنن الكونية والنظم الطبيعية في سبيل النهوض والتقدم لاخذ المسكان المقدر لها ازليا في مراقي الحياة؟

كذلك في سبيل الحق والحرية صاح عدلى يكن صيخته التي استرعى بها مسامع أمته وأيقظها من غمرة التشاحن والتطاحن الى تلك الحفيقة الكبرى : وهي ان كل نزاع بين أبناء الامة هو غرم عليها مغرم للخصم الذي يراه خير فرصة لضعافها ونهبك قواها بتوسيع الخرق بينها وهدم كيان وحدتها وتمزيق صفوفها ورد سهامها الموجهة الى شخصه في نحرها هي . وتحويل مجهوداتها المبذولة ضده في مصلحتها ضد نفسها بالضرر الجسيم عليها . أجل لقد نبه عدلى بصيخته الشديدة أمته العزيزة الى كل هذا وأكثر . فجمع بذلك كلمتها وألف شملها ورأب صدعها وشد أزرها . وراش نهضتها جناحا من همته الخبيثة بعد ماهاض النزاع الحزبي جناحها . وخفزها بريح عزمته الشديدة بعد ما أركد الشقاق الداخلى رياحها . وأنسها بقوة روحه العظيمة في وحشة تلك الترهات السياسية الختالة بسراب الغرور والخديعة . وعزاها عن خيبة آمالها في وفاء بريطانيا وحسن نيتها .

كل هذا صنمه لامته عدلى يكن ذلك البطل القوي الذي

لن يجد التاريخ بدأً من أن يسجل له هذا الفضل على بلاده - ولا  
من وضعه في مصاف الأبطال منقذي شعوبهم ومحرري أوطانهم  
- أمثال شمشون إلا أنهم تغلبوا على دليمة « الختل والخديعة » فلم  
تستطع قهرهم واذلالهم .

كل هذا صنعه عدلى لامته . ولا عجب فانه عظيم وقوة  
الرجل العظيم وحوله تدعم أرض الله وتوطد أركانها . وبهمة الرجل  
العظيم ونجده يثل عرش الظلم ويشاد صرح العدالة وينجاب  
غييب الباطل ويستطع نور الحق . وبكارم خيمه ومحامد شيمه  
ترق حاشية الزمان ويخضر عوده ويورق . ويخضل روضه بندى  
الخير ويتفرق . ويشرق صحوه بسنا الصفاء ويتألق . حياك الله  
عدلى يكن ! لقد طاب في كنفك العيش واحلولى . وافتر عنك  
مبسم الدهر وتلالا . وقد حسنت بك الدنيا وملحت وتأرجت  
بعبير ذكرك ونفجت . وقد شربنا بك ماء الحياة كورثا . ونشقنا  
نسيهها عنبراً . وانتجعنا غيبتها ثجاجاً . وتوسدنا جناها أنيق الروض  
مبهاجاً . فجزاك الله أحسن الجزاء عن أربعة عشر مليوناً من عباده  
رفعت بالعرز هامهم . وثبت في مدحضة المعترك العنيف أقدامهم .  
وطهرت صحيفة أعراضهم من كل شائبة ووصمة . ونقيت أديم  
أحسابهم من كل ريبة وتهمة . وبعد فان ما أرتك هذه الجلى التي

حاولنا عبثاً توفيتها حقها من الحمد والشكر ليست لعمرك أخرى  
ما ترك . وان تكون بحال ما خاة مساعيك ومفاخرك . يأتي  
لك ذلك فرط حبك ابلادك وعطفك وحنانك على أبناءها  
الذين هم أبناءك البررة وصدق وطنيتك العميقة . وحميتك العريضة .  
وشدة اخلاصك لوطنك وتفانيك في خدمته والتذاذك بتضحية  
الاعز والانس في سبيله . وارتياحك الى ركوب الصعاب .  
واقترحام العقاب . واعتساف الارعار . ومغامسة الاهوال  
والاخذار من أجل الدفاع عنه وصيانة حوزته . وحماية بيئته .  
نقول لم تنته بعد مساعيك في صالح البلاد ولم تترك المسرح لغير  
رجعة معاذ الله أن يكون ذلك ومعاذ همنك البعيدة . وشبمتك  
المجيدة . وحاشا عزتك السماء . وحميتك الذكية الروعاء . أن ترى  
على سكونك هذا إلا خفاق الجوانح على وطنك راجف الاحشاء .  
فما كانت روحك الكبيرة السامية . ونفسك الجياشة المتوقدة  
لتسكن في هذه الآونة الا تاهباً للحركة وتحفزاً للوثوب .  
واكباشاً للكرة الى الميدان متى أهابت بك النوب والخطوب .  
بل أراك في عزائمك الراهنة لا تزال يذوع أمل وقوة لمواضنيك  
تمثت فيهم روح اليقين والثقة والرجاء . كأنك زورق النجاة لا يبرح  
باعثاً يرد الطمانينة في ركب السفينة مهاجئ الموح من حولهم

واصطخبت الانواء .

هذه كلمة حق . ونفثة صدق . ارفعها اليك يا صاحب الدولة  
في عزلتك السياسية أعبر بها عما يضره لك ويعلنه من آيات الحب  
والولاء أهل وطنك أجمعين الذين لم يبق فيهم - بعد موقفك  
المشهور ومقام دفاعك المأثور . في قضيتهم المقدسة - غمط لحقك  
العظيم . منكراً لفضلك العميم . ألا جاحد عريق في الجحود .  
يحمل مكان قلبه أصم جامود . سقيم الطبع مريض الذوق ينكر  
من علة ضوء الصباح . ومن آفة حلاوة العذب القراح . وما  
أحسب أن مثل هذا المخلوق يوجد بين مجموع الشعب حماه الله  
من أمثاله . وصان ديمه النقى من وصمة خلاله . وما أراذى بهد  
يا صاحب الدولة قادراً على الوفاء لك بواجب الشكر . وايس يفي  
لك بهذا إلا صلوات المليك في السور .

نرجع الي ما كنا فيه من أمر انقسام الامة في الرأي والمذهب  
الي قسمين أزاء تصریح انكناثر العظام الشأن بانغاء الحماية والاعتراف  
لمصر باستقلالها التام وأن تكون ذات سيادة في الداخل وفي  
الخارج وذات برلمان ووزارة مسؤولة أمام البرلمان . وحصر  
الخلاف بين المملكتين في النقط الأربع المعروفة واعطاء الحق  
لمصر في بدؤها مفاوضات مستقبلة تدخل فيها مع انكناثر مزودة

بسلح الاستقلال مطلقة من قيد الحماية الكي تسوي مع بريطانيا  
في تلك المفاوضات المقبلة قضية بلادها التسوية التامة - وكل هذه  
المغانم والارباح والمزايا نالتها . مصر دون أن تدفع فيها ثمننا من تقييد  
أو تعهد أيا كان .

نقول أزاء هذا الحادث الجليل انقسمت الامة من حيث  
الرأى والمذهب الى فريقين - فريق التيمن والتفائل وفريق التطير  
والتشاؤم وقد ذكرنا أن هذا الأخير قد بنى تشاؤمه على مايزعمه  
من سوء عقيدته في بريطانيا وجرأتها على خفر الذم ونقض  
المهود واخلاف اليهود وقد حاولنا في الصفحات السابقة أن  
نثبت لهذا الفريق أن انكسرة اليوم هي غير انكسرة الأمس  
وأن تعدد الثورات والاضطرابات أثناء السنوات الأخيرة في  
ولاياتها ومستعمراتها قد اثبت لها بأنصع البراهيز والأدلة . ان  
الامم والشعوب ليست أشباحا ولا تماثيل تقتصر فيها كيفما  
شامت وشاء لها روح الاستبداد والمطامع الاستعمارية ولكنها  
نفوس وأرواح كاخواتها ساكنات البلدان الغربية والممالك  
الاوربية - مستمدة مثلها من روح الله وينبوع القوة الأزلية -  
وانها بذور الله قد غرسها في أرضه منطوية على جوهر الحياة  
وعناصر النمو والتفرع والسمو في جو الله الى حيث تنسم في

الفضاء الرحب أنفاس الله اعنى نسيمات الحرية والاستقلال وانها  
- كسائر البذور والاعراس - لا بد أن تزكو وتكبر وتبلغ  
غاية نضجها وتسمو الى درجة الارتفاع المفدرة لها اذلياً بسنة  
الطبيعة السارية وحكمها النافذ وبحكم ما انزلت عليه من عوامل  
الانبات والنمو والارتفاع وعلى حسب نصيبها من تلك العوامل -  
اجل لا بد لها باعتبارها بذوراً أغرست في أرض الله أن تنمو وتسموا  
أو تذبل وتعفن لنسبها أصل أو تنشر من اجداثها وتعود الى حياة  
ثانية وسيرة جديدة - على حسب ما يمكن فيها من عناصر القوة  
أو الضعف ومن عوامل الرقي أو الانحطاط - هذا أو ذلك لا بد  
أن تفعله تلك البذور والاعراس (أو تلك الامم والشعوب)  
بحكم النواميس الزمنية والنواميس الكونية سواء أرادت بريطانيا  
أو لم ترد. وسواء سرت بها ذلك أو ساءها - هذه ارادة الطبيعة  
التي تأتي الا تنفيذ ارادتها الحرت بريطانيا أو كرهت ورضيت  
بريطانيا أو رفضت. كأنما بريطانيا - باساطيها ومدافعها وورشها  
ومعاملها ولاياتها ومستعمراتها - شى عاقبه حثير في نظار الطبيعة  
أو كأنها ليست مرغوبة ولم ترحها ولم تكن

حاولنا في المنشآت السابقة ان نثبت نفيها التداير والتشاورم

للمردوم الثقة في بريطانيا المملوءة رعباً ووجلاً من الاعيها

وخذعها - ان بريطانيا قد آمنت بحقيقة تطور الامم الشرقية  
وصدق نيتها على القضاء في سبيل الجهاد لاجراز حقوقها المسلوقة  
مها كافها ذلك - حاوانا ان ثبت لهذا الفريق ان الحرب الكبرى  
قد خاقت في العالم جواً اجتماعياً جديداً مملوءاً بعوامل جديدة  
كن من شأنها أن أبرزت في سطور من النور والنار تلك  
المبادئ التي حسبها العالم جديدة وانها القديمة قدم الدهر والطبيعة  
ذاتها والتي كان قد حجب سطورها كثيراً أو قليلاً ما كان قد  
ركبها من نبار الفتور والتواني وحب الدعة والراحة والتراخي  
- أعني تلك المبادئ التي راحت وسادت بعد الهدنة كاقول بتجريب

السوريين وتفويض الامم في حكم ذاتها وتقريب مصيرها

حاوانا ان ثبت لهذا الفريق ان الحرب الكبرى خلقت  
هذا الجري الجديد المملوء بهذه المبادئ الجديدة الفعالة - وأن  
هذا الجري وهذه المبادئ قد نهبت من همم الامم والشعوب  
المقاومة وتحدثت من عزيماتها واستحدثت ما يمكن فيها من حركة  
التطور الطبيعي والنمو الفريزي . فـ كان ما كان مما شاعده العالم  
وأربك بريطانيا وأزعج نظائرها من تلك الثورات والاضطرابات  
في ولاياتها ومستعمراتها وتوابعها المختلفة

حاوانا أن نثبت لهذا الفريق انا - كبعض تلك الشعوب التي هبت في وجه بريطانيا تطالبها برحقوقها المسلوبة - قد صدمنا بريطانيا ثلاث صدمات عنيفة : « حركة عام ١٩١٩ » و « مقاطعة لجنة ملتر » و « قطع الوفد الرسمي للمفاوضات » ايقظنا بها بريطانيا من غفلتها أو تغافلها وزعزعنا بها أساس طمأنينتها وهدوئها وارجفنا بها قلبها وبدلناها بالامن حذراً وبالاستهانة استمعظاماً وبالوقار خفة وبالاطمئنان وجلا

وبذلك استطعنا أن نثبت لهذا الفريق ان انكثرة اليوم ليست انكثرة الامس . وانه باعتبارها أمة تفهم وتعقل وتعرف الخير من الشر والتمر من الجمر وتشارك سائر خلق الله حتى الاطفال والحيوانات في الغريزة المشتركة فيها كل الاخلاق والتي عليها مدار الحياة ونظام الكون والتي لولاها ما حملت قدم جسام ولا احتوى جسم روحاً - أعني غريزة النفور من الأذى والهروب منه الى الخير - تقول انه باعتبار بريطانيا هكذا وبالنظر اليها في هذه الصورة الطبيعية الحقيقية بالعين المجردة عن الاهواء المتتبعة مهابط الحق ومواقع آثاره أين كان وكيفما كان - لا يسعنا الا أن نراها قد غيرت من سياستها وبدلت من خطتها - وانها قد وقفت اليوم لنا موقفاً خلاف موقفها بالامس ( لا يمكن

أن يكون أسوأ من الموقف السالف بل أحسن بلا نزاع  
وأفضل) - ولما كنا نحن المصريين الذين استطعنا بقوتنا وحكمتنا  
أن نغير موقف بريطانيا معنا ونحوه عن حالة إلى أحسن منها -  
ولو قليلاً - فليس يستحيل علينا ولا يتعذر ولا يبعد بفضل  
اتحادنا وتضافرتنا على الجهاد المستمر الدائب أن نزرعها شيئاً  
فشيئاً إلى مواقف أخرى أحسن لنا فأحسن - حتى نفعلها أخيراً  
عند حدها وتقييمها في مشعب الحق ومقطع السداد والصواب  
ومفصل الانصاف والعدالة. وحينئذ نبلغ المراد وننال الغاية  
على أننا لو سلمنا جدلاً بوجود اساءة النية ببريطانيا فأي  
ضرر علينا في قبول « اعلان الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال  
التام » - في قبول منحة الله لنا - بل منحة كدنا واجتهادنا وثمره  
ما بذرناه في مزرعة الجهاد من بذور هي عرق جباهنا ودفع  
دمائنا وافلاذ اكبادنا - أي ضرر علينا في قبول هذه الهبة  
الالهية والانتفاع بها جهد طاقتنا وبقدر ما فيها من خير وبركة -  
أي ضرر علينا في اتخاذها عماداً لنا ودرعاً وسلاحاً نضيفه إلى  
ما لدينا من الاسلحة ليكون ذلك أقوى لنا على مناهضة الخضم  
ومغالبته

أليس الأجدر بنا والأضمن لخيرنا وفلاحنا أن ننظر الى هذا الاستقلال في أول ادواره كبا كورة أعماننا المجيدة وبادرة مجهوداتنا الشديدة . وانه مولود نهضتنا العظيمة الذي ما برح يتكون في احشائها أزمان الحمل العسيرة - وانه نتاج وطنيتنا المقدسة التي جمات تتمخض عنه تمخض البحر عن دره ومرجانه والكنز عن تيره وعقيانه . حتى اذا التقى به الحظ في حجورنا ذخرا نفيسا وثره مباركة كان من اوجب الواجب علينا أن نبتهل لله شكراً ونرحب به ونهال تحية اطلعته واستبشاراً بفرته قائلين مع الشاعر

يمن الله طلعة المولود وحباً أهله بطول السعود  
ما لنا لا نطرب ونفرح بهذا المولود الجديد . ما لنا لا نحمد  
الله عليه ونحوطه بالنفوس والنفائس . ثم نعمل على تربيته وانماه .  
وترقيته واعلاؤه . حتى يبلغ أشده . ويستكمل قوته وأيده .  
هذا الاستقلال الوايد انما هو جذوة مقدسة اقتدحتها يد  
الشعب بزناد الكد والجهاد . واستنارتها معاول الكفاح والجلاد  
من صخرة الجبروت والاستبداد . فما لنا لا نحوظ هذه الجذوة  
المقدسة وما لنا لا نشبها ونذكيها بأنفاس هممنا الصادقة  
ورياح عزماتنا الثاقبة حتى يتلهب سناها ويسطع شعاعها فيخرج

البلاد واهلها من ظلمة الرق الى ضياء الحرية  
ان استقلانا في هذا الدور الاول ليس سوى هلال الحرية  
في اولى منازلها . فمالنا لانتظر به النمو والزيادة ومالنا لانرقب  
له الكمال والتمام . ومالنا لانقول مع الشاعر  
مثل الهلال بدا فلم يبرح به  
صموغ الليالى فيه حتى اقربا  
ومع الآخر

ان الهلال اذا رأيت نموه

ايقنت ان سيكون بدرًا كاملا

وهبونا لم ندرك الغاية . افلم نضع اقدامنا على فاتحة السبيل  
المؤدية بالمنابرة والمصابرة الى الغاية ؛ ألم نملك اليوم فوهة المسلك  
الواضح المستضيء بعد طول تحبب في الاوعار والدياجى ؛ ألم يعثر  
الغريق بين طفوه في غمرة الكرب ورسوبه على لوح النجاة -  
ولو ضعيفا - وعلى عود السلامة - ولو ضئيلا ؛ ألم تخرج السفينة  
من منطقة الخوف والخطر وان لم يزل بينها وبين الساحل  
عباب وغمار يحتاج خوضها واقتحامها الى احتمال المشاق والمتاعب ؛  
يقول الفريق المتشائم ان بريطانيا تضمر لنا في سريرتها  
خفايا . وتكن لنا دفاين وخبايا . فهب ذلك من الجائز فلماذا

لا ننتفع بالثمرة الواقعة ثم نحذر الضررة المتوقعة؟ وهل يجوز في عقل ان ترفض الوردية من يد مهديها مخافة ان يهديك الشوكة يوم ما؟ او ترد الكاس الروية الى كف مديرها وساقها خشية ان يدير عليك فيما بعد حنطالا وعلقا؟ اليس قياسا على هذا يحق لنا ان نرفض سواكب الغيث من السماء لما يتحمل من ارسالها نلصواعق علينا يوما ما؟ وان نرفض ابصارنا في وجه الافق رافضين اشعة الشمس الضاحكة لما يتوقع يوما ما من عبوسه لنا بظامة الضباب والغيمة؟ فاذا تكون حال ابناء البشر اذا ساد في الأرض هذا المذهب وتغلبت هذه الشريعة؟ وأي حياة يحيون وكيف تدار دوليب الاعمال . وكيف يتقدم ركب الانسانية في سبل الرقي الى امد الكمال ؟

هبونا لم ندرك الغاية فأى الحالتين اشرف وامجد؟ وأي المرقتين اقوى وامنع وأي المركزين ادنى من امل واكفل بنجاح - دخولنا المفاوضات الآتية احرارا مستقلين أم دخولنا اياها تحت نير الحكم الاجنبي وفي قيود الحماية؟ - أي الامرين افضل؟ ذهابنا للتفاوض مطلقين من هذه الاغلال مزودين بسلاح الاستقلال (ولو مثلوما مفلولا) أم ذهابنا عزلا من السلاح كشفاً من الدروع مكتوفين باصفاذ الحماية؟ ثم ماذا نرنا بعد وماذا خسرنا؟

وماذا اضعننا بقبولنا ما نزلت عنه انكثرا وما صرحت به من هذا  
الألماء وهذا الاعتراف؟ هل بدلنا في سبيل ذلك شيئا من  
حقوقنا أو تخلينا عن شيء من مطالبنا؟ هل اعطينا بريطانيا في  
مقابل هذا العربون الجسيم ثمنا؟ هل سمحنا لها ان تأخذ علينا ادنى  
تعهد أو تقيده؟ كلنا يعرف الجواب على ذلك - كلا!

وبعد فهل نسيتم أو غاب عنكم ان ما تحقرونه اليوم بل تنتقمون  
عليه من ذلك التصريح المتضمن الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال  
قد كان يوما ما انصى ما تطمح اليه انظاركم يوم كان الوفد المصرى  
لا يتمنى على بريطانيا - عند بدء دخوله المفاوضات معها - امنية  
اجل واعظم من مجرد اعطائها اياه وعدا بان يكون الغاء الحماية  
ضمن ما تعترف به لمصر اثناء المفاوضات. في ذلك اليوم (وليس  
العهد ببعيد) لم يكن الوفد المصرى ولا أي مصري كائنا من كان  
يحلم أن في استطاعة الافدار ان تستخلص من بريطانيا العظمى  
غنيمة «الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال» مبدئيا وقبل  
التفاوض كعربون بلا ثمن وكأداة تمهيد وتوطئة للمفاوضات  
المقبلة.

انسيتم يوم كنا نشرب باعناقنا التي قطعها الظمأ ونتناول  
بابصارنا التي ارمدها السهاد اذ نحن في مضال الحيرة ووقفار اليأس

— الى ذلك المنهل العذب - منهل الحرية - الذي كان ممنوعاً منا  
باسوار الحماية المسلحة واسلاكها الشائكة - وقد اذبل العطش  
اسلات السننما - يوم كنا نتوق ونتلهف على رشفة من زلال ذلك  
المنهل الشبم - أم نسيتم ونحن في دياجير القنوط كيف كنا نتشوف  
الى شعاع من ذلك السراج المنير - سراج الحرية الذي كان يطمس  
سنه ضباب الحماية وادجانها المتركمة الكثيفة - فها نحن اولاء نسير  
في وضوح السراج المنير . وننتفع الغليل بماء الحرية النير . فما معنى  
هذا التسخط والتذمر . وماذا تر بدون بهذا التأفف والتضجر ؟  
وما هذا القال والقليل ؟ والصراخ والعويل ؟ والتغريب بانباء البلاد  
والتضليل ؟

نخبرونا - بعيشكم - ماذا كنتم فاعلين لو أن هذا التصريح العظيم  
« بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، جاءكم في ظروف أخرى  
وعلى أيدي آخرين (يوم كنتم لا تحدثون به أنفسكم ولا في  
الاحلام - يوم كنتم تمدون ما هو دونه بكثير منة عظمي ونعمة  
جلي - يوم كانت أقصى أمانيتكم أن يكون هذا الانغاء وعداً  
موعوداً لا ثمرة حاصله ) - ماذا كنتم فاعلين اذ ذلك ؟ أهنالك  
أدني شك في أنكم كنتم تملأون الارض والسماء تكبيراً وتهليلاً  
ونشيداً وترتيلاً . وتحرقون البخور في الحجامر اقامة اشعائر

التقديس المذين ساقوا اليكم الغنم العظيم . وتأدية لمناسك العبادة  
للآلهة الذين غمروكم بالفيض العميم . أما كنتم تقيمون الصلوات  
في المحراب . لا وئلك الارباب . أما كنتم تهزون أعواد المنابر .  
اعلاناً لمفاخر اولئك الاكابر . أما كنتم تنحرون النجائر .  
وتدقون البشائر . وتوقدون الشموع . وتزينون الربوع . أما  
كنتم تقطعون الخاجر وتمزقون الرثات بالهتاف حتي تصبحون  
خرساً . لا تطيقون الكلام الا همساً ونبساً . أما كنتم تمثلون  
في عرصات القاهرة رواية البعث والنشور اذ تحشرون قبائل  
وشعوباً في صعيد واحد متراحمين متدافعين متكديسين اكداساً  
مشتبكة متلاحمة - جبالها تلال من الانسانية المهالجة المألجة وصرحا  
مردا من الجمجم ليس فيه أدنى ثامة ولا فرجة  
فلو حصبتكم بالسماء سحابة

لظل عليكم حصبها يتدحرج

ثم نخلعون كل عذار وتندفعون في كل تيار من تلقى طوفان  
الغرائز الحيوانية من محابس النؤدة والرزانة . مرسلى سيول  
الزعات الشهوانية من قيود الورع والرصانة . ساحبين لعنصر  
التراب والحمأ المسنون فيكم أن يتغلب على عنصر الروح الآلهي  
والنور السماوى — كأنكم كتلة جسيمة من الفوضى يظل من

يبصر فرط اضطرابها وتشوشها واختلاطها لا يكاد يصدق أن  
في استطاعة القدرة التي خلقت نظام العالم العجيب من عالم السديم  
المشوش أن ترد هذا البركان المتطاير اللحم والشظايا وهذه الزوبعة  
المستطيرة الشرر والصواعق وهذا الزلزال البادى في أشنع صور  
التخريب الذهني والتدمير الروحاني - إلى سيرته الأولى من الحياة  
الهائلة المنظمة وصورته المعهودة من مظاهر الإنسانية المهذبة .  
وبالاختصار اما كنتم تجمدون عهد ذلك اليوم المعروف  
٥ ابريل ١٩٢١ الذي يسجل على ترمومتر الحياة الاجتماعية أعلى  
درجة لحيوانية الانسان وأخفض درجة لروحانيته ويقدم  
أصدق مثل تاريخي على تأصل طباع آباء البشر سابقا الكهوف  
وقانصي الوحش في نفوس ابنائهم مهاقدم العهد وتطول  
الأمد .

اجل لقد كنتم تفعلون ذلك وفوق ذلك لو أن غنيمة هذا  
التصريح بالغاء والحماية والاعتراف بالاستقلال التام جاتكم في ظروف  
أخرى وعلى أيدي آخرين . فما بالكم اليوم لانصنعون عشر ممشار  
ما كنتم صانعيه اذ ذلك ؟ بل ما بالكم لا تكتفون بمجرد اظهار  
الارتياح والانسراح . بل بمجرد السكنينة والنبات . بل بلزوم  
سنة الصبر الجميل حتى تروا عواقب هذه البوادر ونتائج هذه

البشائر . فان لم يكن هذا ولاذاك فامامكم مجال المعارضة الشريفة  
في صفاء جواهر الهدوء والحلم اللذين تقتضيهما سنن الجدال وقوانين  
المنافسة - را بئين بنفوسكم عن مواقف التغرير بالشعب والتضليل  
وعن خبث مواطن الارجاف والتهويل وعن سفال مساف التشنيع  
بالوزارة الدستورية الساعية الى خير الامة الممثلة لأمانها بالاذلة  
اقصى الجهد في تنفيذ رغباتها - وعن خسة مهابط الانتقاص منها والنيل  
من كرامتها وتوجيه كاذب التهم نحوها وترويج سوء الظن بها مما  
يفسد اذهان الشعب الذي تدعون انكم قادته وابطاله الذائدون  
عن حياضه ويسم عقيده ويضل رأيه ويطمس على نور بصيرته .  
مابالكم تحاولون باخمد جذوات الأمل في النفوس وابدالها ظلمة  
الياس تثبيط الحمم وقل الزائم واقعاد الامة عن مواصلة السعي  
في سبيل الجهاد أو تحويل ذلك السعي في شر السبل واشدها  
وبالا - اعنى سبيل المشاحنات الحزبية والمطاحنات الفرقيية  
وتقاطع الارحام والصلوات . وتدابر الخلان والثقات - ذلك  
السبيل الذي طالما اغرستم الناس بسلوكة فلم تجدوه يؤدي  
بقضية البلاد الا الى شر غايات الفشل واحرج مضايق  
السكرب وأوخم مراتع الخيبة كما قد شاهدتم أن نذير الخطر  
كلما كان يصيح بالشعب محذراً الاسترسال في ذلك

السبيل سبيل التنازح الممقوت والامعان في شعابه  
داعياً الى الرجعة لسبيل التضامن والاتحاد فيطيعه الشعب  
جامعاً كلمته حاشداً صفوفه - ادبر الشر والطلاح . واقبل الخير  
والفلاح . وابرمت روح الاتحاد من أسباب القضية ما كانت  
آفة التفرقة قد نكثت وتقضت . ووثقت عزة التضافر من  
أركانها ما كانت ذلة التخاذل قد هدمت وقوضت . فأشرق نجمها  
بعد افول . وأورق عودها بعد ذبول . نقول لقد جربتم هذا  
وذاك ولقيتم من الخطتين النعمة والمصاب . وذقم من الكاسين  
الشهد والصاب . فهل انتفعتم بتجارب الزمن . وحنكتكم  
تقايبات الدهر بين نعم ومحن . وهل فقهتكم الصروف . وفطنتكم  
تلونات الظروف . وهل سبكتكم نيران الكوارث في بوتقة  
التمحيص والتهذيب . وقومتكم أيدي الحوادث بثقاف الاصلاح  
والتأديب . أم وجدتكم هذه القوى والعوامل بمنعزل عن نداءها  
وبمنقطع عن صوت دعائها . فكانت انما نحاول في هدايتكم  
تحريك الجبال . وتسكين الزلازل . . وضبط هوجاء الرياح . .  
واسكات العارض السحاح . وكأن موقع وحيها وتمايلها من قلوبكم  
موقع الرقم على صفحة الماء . والنقش في أديم الهواء . وكذلك لم  
تجد هذه المؤدبات الالهية . والمهذبات الطبيعية . من بينكم الا

## كل نافر شرود

جامع في العنان لا يسمع الزج ر ولا يرعوى الى الرواض  
فلأى قوة في الكون يرضخ من أبى الرضوخ لاستاذ  
التجربة ولأى ارشاد ينصت من لم يصغ الى وحى العواقب .  
وأى درس يحفظ من أهمل درس الاسباب والنتائج . ولأى  
صوت يأذن من أغلق سمعه دون صوت الطبيعة . وبأى مصباح  
يسترشد من أغمض طرفه عن سراج الحق . وبأى شئ في هذا  
الوجود يصدق ويؤمن من خادع نفسه وغالط ذهنه في الواقع  
المحسوس والحقائق المأموسة ؟

وأى انكار للحاصل والواقع أشد من انكار كالتلك الحقيقية  
الكبرى التي أصبحت يبصرها الضير ويسمع وقع آناها الاحم  
ويكاد يتحرك لها رفات الاموات في قبورها - تلك الحقيقة التي  
بتنا نتقلب في مضاجع راحتها وبيز اعطاف نعماتها ونجنى باكورة  
ثمارها يانعة جنية : من تحكيم في امورنا وتصرف في ادارة شؤوننا  
وقبض على ازمة السانطة في حكومة بلادنا وتأسيس برلمان  
كأرقى برلمانات العالم دستورية واحسنها نظاما ووزارة مسؤولة  
أمام ذلك البرلمان قد قام رئيسها الجليل ثروت باشا يبرهن للناس  
على حسن نيتها ويقدم لهم أمثلة صادقة من مبدأ مسؤوليتها بما

قد جعل يلقبه علي الملام مرة بعد أخرى من خطابه الرائعة المملوءة بروح الديموقراطية مما لم تمهده البلاد قبل اليوم من أى وزارة قامت بين ربوعها أو رئيس تقلد زمام الحكم فيها . ثم بتنفيذ نصوص هذه الخطب بالاعمال الجليلة والنتائج العملية .

أى انكار للواقع الملموس أشد من انكاركم الغناء الحماية بعد ما أعلنت ذلك بريطانيا وصادق عليه برلمانها وكساه الصورة الشرعية والصيغة الرسمية وبعد ما أمنت عليه دول العالم وهلمت له وصاحت وتواردت به التهاني تطير بأجنحة البريد وتهفو على ساريات البرق . بل كادت تشترك فى اعلانه الطبيعة ذاتها فتتهامس بنجواه الرياح . ويفضى يبشرا المساء للصباح . فتقولون بعد كل هذا انه ما حدث حادث ولا تغيرت حال . وانه

تخرص وأحاديث ملفقة . ايست بنبع اذ عدت ولا غرب تقولون ان هي الا اسماء سميتموها . ورنين الفاظ زينتموها كلام فى كلام . وأضغاث أحلام . ورماد يذر فى الاجفان . وتخدير أعصاب وأبدان . فبحقكم هل كنتم قائلين ذلك لو سيق اليكم هذا الرجح العظيم على أيدي آخرين أم أنتم لانترفون بالفضل ومقداره الا اذا انحدر اليكم من طريق مخصوص محبب اليكم ولا تتحدثون بالنعمة الا اذا جاءكم فى غلاف معين مبصومة

بمباركة معينة لفابريّة معينة لا تعرفون غيرها ولا تعرفون بسواها  
ولا تؤمنون إلا بها ولا تأخذون إلا مصنوعاتنا - ثم المقاطعة  
التامة والويل والعفاء على البضاعة بعينها اذا صدرت عن فابريّة  
أخرى تحمل مباركة أخرى - فأنتم انما تعنون بالواسطة لا بالنتيجة  
وكل ما يهكم هو الزى لا الكائن الحى المشتمل به واوعاء لا المتاء  
المنطوى تحته ومن كان هذا شأنه متعلقاً بالاعراض دون الجواهر  
منصرفاً عن مادة الحقائق الى هباء المظاهر . كان يعيش فى عالم من  
الخيالات والاحلام . ويتقلب فى جو من الاكاذيب والاهام .  
وان تشأقل عنه ولا حرج انه لا يحى ولا يعيش ولا يكون ولم يكن .  
ليت شعرى ماذا نقول للذين يستقبلون نعمة الله بالسخط  
والنقمة ويتلقون فضله العظيم بالاستياء والاسف . ليت شعرى  
ماذا نقول للذين يلقون وجوه اليمن الضاحكة بوجوه مربدة  
عابسة . وينفرون من عرائس النعم المزفوفة عليهم باعطاف  
شامسة . أفلا نقول ان الطبائع البشرية قد انعكست فيهم فدواعى  
السرور تشجوههم . وبشائر الصفو تشجيههم . وانبساط الامل  
يورثهم انقباض الياس . وأسباب الطمأنينة تثير فيهم هواجس  
الوسواس . فأى فائدة ترجى من أمثال هؤلاء لصالح العالم  
عامة ولمنفعة أوطانهم خاصة أى فائدة ترجى منكم يامن هذا

دأبهم وديدنهم سوى انكم تعملون على اماتة الامل ونقض  
العزائم ونكث الهمم . تكذبون العفو . وتعكرون الصحو .  
وتجعدون السلس . وتخشنون الاملس . وتوعرون السهل .  
وتعقدون المنحل . وتثيرون على رونق الاماني المشرقة غبار الضجر  
والتبرم . وتعقدون دون كواكب الرجا غيوم التطير والتشاؤم .  
لا تنفكون تقيمون مناقحة جدية . على مصائب رهيمة . ثم تجعلون  
تشاؤمكم هذا دليلاً قاطعاً على صدق وطنيتكم . وتسمون انكاركم  
للوامع المحسرس واقامتكم العقبات في سبيل تقدم البلاد الى غايتها  
المشودة عنواناً على فرط اخلاصكم وشدة تفانيكم في خدمة القضية  
نخبروني ربكم أهو الاخلاص والتفاني الباعث الحقيقي الذي  
يدفعكم الى اتيان ما تاتون من المعارضة في الواضح المستنير . والمكابرة  
في انكار ما راه الاكراه والبصير . وهل حذاً تعتقدون في صميم  
اقتداتكم انكم أنتم وحدكم المخاضون وان فريق التيمن والاستبشار  
هم المنافقون ؟ وهل حقاً في صدوركم وحدها يتأجج لهيب الوطنية  
وتلى دوايبكم دون غيرها يتنزل وحي الوطنية وهل الوطنية لم تضرب  
في غير ضمايركم قبابها . ولم تغخذ في سوى جوارحكم منسكها  
وعرابها . ولم تقم خلافتكم مداره يدافعون عن قضيتها . ولم تجند  
غيركم عسكرياً يذودون عن حوزتها . وهل هي لم تتعشق سواكم

ولم يهتم قلوبها الا بكم . وهل كل من عداكم خونة غدرة وفجرة كفره  
وهل انساكم حب الوطنية اغراضكم الذاتية وما ربكم  
الشخصية واذهاكم عن طاب الجاه والمنصب والرياسة والهالك  
عن الولوج بمظاهر الابهة والنخامة والزعامة وهل صرفكم  
الشغف بالوطنية عن الشغف بهتاف الناس اكم في كل شهر من  
الأرض والمناداة بأحيائكم وبتخليد ذواتكم السامية العلية .  
في هذه الدنيا الفانية الدنية وباسقاط اصدادكم وبعوتهم وتكفينهم  
ودفعهم

واذا كان ذلك كذلك فهل من حق الوطنية عليكم ان  
تخذلوها في ادق ساعاتها واشد ازماتها بمحاولتكم صدع الشمل  
وهدم البناء وتمزيق الوحدة وتفريق الكلمة بطمس معالم الحق  
الابليج . وترويج الباطل الاجاج . واقباد الهمم والعزائم من مواصلة  
السعي الى الغاية المقصودة وصرف الامة عن الاخذ بالعمرة  
الوثقى وانتهاج الخطة المثلى والانتفاع بما ساقه اليها الحظ من  
الارباح وانعام واستثمار ما تنازل عنه الخصم لمصاحبتها من الفوائد  
والمزايا وعن مضاعفة حورها وقرتها باستخدام ذلك السلاح القوى  
الذى استفادته أخيراً بفضل مساعي الوزير الكبير ثروت بلشا

— سلاح الاستقلال الشرعى التام — الذى أصبحنا اليوم نجتنبى با كورة  
ثماره؟ امن حق الوطنية عليكم ان تصنعوا هذه الهنات وما هي  
الاسهام تصمون بها كبد الفضية المقدسة ومدى تمزقون بها اديهما  
ومعاول تهدمون بها كيانها . أم هل نسيتم — وليس العهد يبعيد  
— يوم خذتموها وهى ملقاة فى قسطاس المفاوضات الرسمية اذ كانت  
تبهل اليكم أن تلتفوا حواها وتشدوا أزرها ليكون من جماعتكم  
محتشدة ومن كتلتكم مندجة خير قوة ترجح بكفتها فى الميزان  
فتشيل كفة الخصوم وتنال هي الظفر والنصر بهممكم وعلى أيديكم .  
فهل أعنتموها ونصرتموها وأجبتتم دعاءها وليبتم نداءها ؟  
أفبعد هذا كله تدعون انكم أنتم وحدكم الوطنيون ومن  
سواكم غدره منافقون . وان الوطنية قد خصت بكم وحبست  
عليكم ووقفت حيث أنتم فالها عنكم . متقدم ولا متأخر ؟  
هذا صنف جديد من الوطنية ونوع غريب لاعهد للناس به  
قبل ظهوره منكم قد سبقتم اليه العالم المتمدن وامترتم به على أهل  
البدو والحضر فلکم وحدكم فخر ابتداعه . وامتياز اختراعہ . واکم  
أن تتخذوا له « ماركة مسجلة » تحتكرون بها مزية الانتفاع بارباحه  
واستثمار فوائده وتمنعونه بها من أن يكون لغيركم من مخلوقات الله  
حلا مباحا يستمتعون به كما يشاؤون ولبئس ما يستمتعون وبئس .

ما يستثمرون . فاحتكروه وحدثكم واستأثروا به وامنعوا منه خلق الله فلان تستطيعوا أن تحسنوا الى الناس اكثر من احسانكم عليهم بمنع مثل هذه « الوطنية السامة » من السريان في كيانهم الصحيح المعافى . ولا ارى كفارة لجريرة اختراع مثل هذا الصنف من الوطنية أفضل من قيام مخترعه بتسجيله واحتكار امتيازه لنفسه دون غيره وما يستدعيه ذلك الاحتكار من صيانة خلق الله الآمنين وعباده الصالحين من شروره وآفاته

الوطنية المحضة الصريحة المخالصة الصادقة لا توحى بأمثال هذه الفعال ولا تغرى بانتهاج تلك المسالك . انها أنبل مقصداً واكرم نزعة من أن تأمر بغرس بذور الاحقاد والضغائن وتأريث نار الشر والعداوة بين ابناء الوطن الواحد وتفريق الكلمة وتبديد الصفوف وفرط العقْد وفصم العرى . هي قد تأمر بالمعارضة ولكن بالمعارضة الشريفة النزيفة الواقمة في حدود الرفق واللين والأدب والحكمة والعقل والمنطق المبينة على أفضل أساس من حسن النية وشرف المبدأ ونصرة العدل والتنقيب عن مواطن الصدق ومكامن الحق ولزوم محجة الحجة الناهضة . والتمسك بأسباب البراهين الدامغة . والتجرد عن شوائب الاغراض والتنزّه عن عوامل الاهواء والتخلّي بمناقب الكرم

والعفة والحياء ودماثة الطبع ورقة الجانب ولين العريكة وسجاجة الخلق - أعنى كل ما ينحصر في مدلول تلك اللفظة المفردة الانكليزية التي اصطلح على تعريبها بلفظة « الرجل المهذب » .

فالمعارضة - تلك القوة الهائلة التي تعد بحق من أقوى عوامل تنظيم الهيئات الاجتماعية والسياسية وأفعال الوسائل المؤدية الى حسن التوازن في كيان الامم والشعوب - يجب أن يكون القائمون بها من أفضل النعم أعنى المهذبن الذين حاولنا وصفهم ومناقبتهم لأن تكون سلاحاً في أيدي الطائشين الخرق المتهورين .

ولا المتفاخرين بما آتاهم الله من قوة السواعد وجهارة الأصوات وصواعق الصيحات المنتشرين من خمرة الزهو والتميه والادلال بشدة البأس وقوة الفتك ونخوة الفروسية والحماسة الذين هم يزون اقلامهم كما يهز بعض الرجال النبائيت والشوم - أو بالاختصار - لا يصح أن يسلم سلاح المعارضة التثريف الى «فتوات» السياسة لا يصح أن تستخدم المعارضة في تضليل السذج البسطاء من الجماهير والتغريب بهم بترويج الاباطيل والاكاذيب ونشر اشاعات السوء والاراجيف وتسميم الاذهان باكاذيب التهم والظنون مما لا يساعد متقال ذرة على خدمة القضييه ولا يتقدمها شبراً واحداً نحو النجاح بل يعمل بالعكس على تعريضنا للخطر

الجسيم . لا يصح أن يتولى المعارضة من لا يهمهم منها الا اتخاذها ذريعة لخدمة الاغراض والاهواء وهم يعرفون الحقائق ولكنهم يتعاملون عنها تعامياً البصير في الليلة القمراء . ولا أن يتولاهما القصار النظر الذين لا يبصرون الحقيقة لما يحول دونها من سحب الاكاذيب والاضايل . ولا أن يتولاهما القوم البطاشون بأسنة الاقلام . وحراب المطاعن وهجر الكلام . الذين لا يلدثم ولا يقر عينهم الا أن يروا ميدان المعارضة حومةً وغى وساحة قتال يضرجونها بدماء المناظرين ولتناقشين تسيل على ظلمات اقلامهم وأسارلت براعانهم من جراح الكرامات الدامية ومن كلوم الاعراض المثومة . فهذا وحده الذى يسرهم ويشفيهم وبدونه لا يرضون ولا يقنعون . اما طريق المنطق والقياس والمعقول فليس مما يالفونه أو يميلون كثيراً الى سلوكه وليس للحجة عندهم راجح وزن أو كبير قيمة . وبدل ما هو اساسى ضرورى للمناقشة الحرة والمعارضة التزيمية من صفاء جو الهدوء والحلم والرزانة الضرورى لوضوح نور الصدق وسطوع نجم الحقيقة تراهم يكبدون الجوبم بالازالون يثيرون فيه من غبار الشغب والشر ويعقدون في ارجائه من دخان الاساءات والاعتداءات باليم المقال ومضاضه . . وهذه الخلال اعمر الحق ليست مما يجب المناقشة الى اربابها وذوى البراعة فيها والافتنان

في اساليبها ولائما يجعل ميدان المناظرة ذلك الندى المأنوس الذي  
يشتاقه ويهرع اليه او لوالفظن والالاب بل هذه الخلال السيئة  
اجدر ان تبغض المناظرة والمناقشة الى من يرجون لحل مشكلاتها  
وانارة شبهاتها من ذوى النضل والحجى -- اذ يرونها الى الصراع  
والملاكمة اقرب منها الى المحاجة . وبالجلاد والطعام اشكل منها  
بالمباحنة . ويرون مجالها احق أن يسمى مأسدة وهسبعة تجول فيه  
الضاريات بالهراثن وتصول بالانياب و الخناب . فليس يجراً على  
ولوج بابها . ودخول غابها . الا من تحصن في الجنن لوقية .  
وتسر بل الدروع الخافية . وايس يخفى ما يكون لابعاد اهل النضل  
والنهى عن مجال المناشئة من الخطر الجسيم على سلامة الحقائق  
والمبادئ بمنع اشعة القرأح الوقادة من النفاذ اليها والاشراق  
عليها و ابرازها للعيان في ضياء الحجج المنيرة والبراهين الساطعة .  
وذلك من شر ما يتلى به أمة ناهضة تقتحم اوعر سبيل الى غايتها  
المأولة من الحرية والاستقلال في ظروف عصيبة وازمات شديدة  
وجو مغيم مظلم تغل فيهِ احوج ما تكون الى الاستنارة بشهب  
الافكار ومصابيح الفطن من عقول الصفوة المحترمة من نخبة  
ابنائها المخلصين النوابغ .

نحن لا نقصد بهذا الكلام الى الطعن في وطنية مصرى

كأننا من كان. لأننا ننظر الى الوطنية نظرة واسعة واعمق مما اعتاد أن يلحظها بها أولئك الذين بعدوها ضربا من الحرف وصنفا من الصناعات والمهن يحترفونها فيقال فلان وطني كما يقال فلان مهندس أو طبيب أو اولئك الذين يعدونها حلية وزينة يتملح بها المتبرج المتأنق فيقال فلان قد برع في الوطنية وحذقها كما يقال قد تفوق فلان في الباياردو او الرقص او الناي . واكنا نرى الوطنية شيئا عرق من كل ذلك في كيان الانسان وتركيبه وأشد امتزاجا بنفسه وارسخا جدورا في طبيئته وارسب اصولا بلا نعدو الحقيقية اذا قلنا انها هي بالفعل مادة حياته وعنصر كيانه . فهي ليست حرفة الا اذا كان التنفس ذاته حرفة وليست حلية الا اذا كان الشعور والوجدان ذاته حلية . ولا هي مما يفتخر به ويباهى ويتيمه به صاحبه عجا وادلا لا الا اذا صح ان يفتخر انسان على آخر ويتيمه ويزهى لغير ما سبب سوى انه حي يرزق وموجود تحت الشمس يستطيع أن يتحرك ويهضم . والواقع أن الانسان وطني بالطبع مثلما هو مدني بالطبع وأناني بالطبع وخرافي بالطبع الى غير ذلك من الغرائز والفطر المكون من مجموعها ذلك المخلوق المدهش المسمى انسانا . بل أتى لأذهب الى ابعده من ذلك فاقول أن الوطنية اعنى فرط تثبت الانسان وتعلقه بالارض اتى منها نشأ ونجم ليست

مقصودة على النوع البشرى بل مشتركة مشاعة بينه وبين كافة  
ضروب الحيوان من النملة الى الفيل ومن الاسفنجية الى النسر -  
كل لا يقرب ولا يطعم الا في وطنه وبيئته . بل ان النبات ذاته  
وطى اذا نقاته الى غير وطنه وغرسته في غير مألفه ذوى فذبل  
فات .

. اكثر من ذلك ان الوطنية اكونها غريزة وجبلة هي  
كسائر الغرائز تفعل فعلها وتجرى شوطها مستقلة عن العقل  
لا نقول ان استمالاتها عن العقل فرض لازم وشيء دائم فانها قد  
تفق معه احياناً ونسترسد بوحيه ولكن ذلك شىء عرضى وهو  
من محاسن الصدف وحينذاك تكون وطنيه رائدة مبصرة .  
واكن ذلك ليس من وظائفها ولا من طبيعتها بصفتها غريزة  
كسائر الغرائز التي لا بدار تهيج منها جهات وتحدث حدثها بقانون نافذ  
ازلى غير خاضع لسلطان العقل واكن اسلطانة هو . فلا عجب  
ان ترى الوطنية مندفة في مجراها في نير صحبة العقل . بل لقد  
تسلت الوطنية مسلكها في غير صحبة الشعور فيأتى الرجل الفعلة  
الوطنية من حيث لا يشعر انه صنع شيئاً البتة . واكن من حسن  
عناية الله وتوفيقه أن يلبس الوطنية الانضمام الى العقل والانضواء  
تحت لوائه لأن العقل وحده هو المبصر الثاقب النظر وسط

ظلمات الكون والدليل المهتدي بين مضالته ومجاهله وكل شي عسار  
في صحبة العقل فقد ضمنت له السلامة وقدر له النجاح . وكل  
مالم يكن كذلك فقد تعرض المتألف واستهدف للمهاك .

على أن العقل حينما يصحب الغريزة المسماة الوطنية  
للمشاحة في انه يكسر من حدتها ويفل من سورتها لما يتحتم  
عليه من مراقبتها وتديرها بالكبح من جماها وصددها في الاحايين  
الكثيرة وقدها وقمع طغياتها وتوقيفها عند حد الامان وفي دائرة  
السلامة . فنه يبع بلا شك - من حيث مبلغ قوتها وشدتها -  
أضعف بكثير من الوطنية المستقلة عن العقل الراكبة رأسها  
المهائمة على وجهها . ومعنا يتهمها الناس بالفتور والتراخي بل ربما  
غالوا فاتهموها بالمروق والخيانة . ومن ثم كانت الوطنية المستبدة  
العمياء في نظر الجماهير أغلى قيمة وأعظم قدراً واوجب الاجلال  
والتقديس من الوطنية المتبصرة السارية في ضياء العقل ومن ثم  
نشأت نظرية القائلين بأن الوطنية أعظم ما تكون واقوي واشد  
اخلاصاً وحرارة في الجماهير والمجاميع - وانها تتناقص قوة وحمية  
ولهيباً كلما ازداد نصيب صاحبها من العلم والفلسفة حتى اصبح  
الكثير من نوابغ العلماء والفلاسفة وفي مقدمتهم « جيتا » أعظم  
فحول الالمان يتهمون في وطنيتهم . والحقيقة خلاف ذلك فان

الوطنية في كلا الفريقين جوهر لا يقبل التجزئة والتقسيم ولا  
النقص والزيادة وإنما يختلف مظهرها في الفئتين تبعاً لشدة اندفاعه  
وطغيانه بلا رقيب ولا مدبر في الواحدة أو انطوائه في زمام  
العقل وعنان الحكمة ومسراه في ضياء الرأي والبصيرة في الثانية.  
وبعد كل هذا الكلام أرجوا أن أكون أقنعت من عساه  
يكون قد أساء فهم مرامي فظن أني طعنت في وطنية فرد ما من  
أفراد شعبنا الكريم - بأنني ما قصدت البتة إلى ادنى شيء من  
ذلك . بل الذي أقوله هو عكس ذلك كما حاولت اثباته بإبراهيم  
الآنفة من أن الوطنية تظهر في فئة المعارضين على أشدها بدأت  
فيه الوطنية منذ خلق العالم من اسطع الصور واغنف المظاهر .  
فإن كان فيها علة فإنما هي الافراط والطغيان لا القصور والضعف  
وإن كان بها آفة فهاتيك هي الغنف والبطش لا اللين والهودة .  
فإن كنت آخذ عليها شيئاً فذلك هو الزيادة لا النقصان .

وهنا أقول أن الذين يذهبون إلى فصل الوطنية عن مظاهر  
التعقل من الاناة والتؤدة والرفق والهودة بحجة أن هذه العوامل  
من شأنها أن تضعف من قوة الوطنية وتكسر من حدتها فتعوق  
كثيراً أو قليلاً من فرط اندفاعها وشدة انصبابها إلى ما ترمى  
إليه من شريف غايتها - قد فطنوا إلى شيء وغابت عنهم أشياء .

لأنهم نظروا الى الامر من وجهة واحدة ولم يستوعبوا سائر  
جهاتة . وكذلك النظر الجزئى الى عظام المسائل جدير ان يضل  
صاحبه ويعمى عليه الشيء الكثير من العوالم .

لقد فات هذا الفريق ان الغرائز والعواطف مهما شرفت  
ونبلت ومهما كرم غرضها وحسن مقصدها فانها اذا لم تجعل تحت  
رعاية العقل (الذى هو وحده منبع النظام وأساس سلامة-  
الكون) تصبح عرضة للودوع تحت تأثير آفة الآفات ومصيبة  
المصائب وادوى ادواء المجتمع والاعداء الانسانية - اعنى داء  
الانانية . وليس هذا محل الخوض فى هذه المسألة الكبرى  
وما اظن المجال ينفصح أو يسمح باستقصاء البحث والدخول فى  
فى الجزئيات والتفاصيل وضرب الامثال - على ان الفارضى اذالقى  
هذا الكتاب برهة وراض الذهن على فحص هذه النظرية جهده  
طافته لم يبخل عليه بالجمل العديد من الشواهد والأمثلة المؤيدة  
لهذه القاعدة العامة - خذ مثلا بسيطا : عاطفة الحب التى هي انزه  
العواطف فى أصلها وطبيعتها وأشدّها تضحية وابعدها من الانانية  
بل اقتلها للانانية اذا تسربت اليها آفة الانانية فقدت تلك المزايا  
الكريمة والمناقب الحميدة - فقدت روح التضحية والنزاهة وروح  
التفانى فى شخص المحبوب فاصبح صاحبها اكثر اهتماما بنفسه

منه بمحبوبه واشد عشقاً لذاته السخيفة السمجة منه لذات معشوقة  
واشغف واهيم بملاحات جماله ومحاسن دلاله منه بمفاتيح الحبيب  
فكل عنايته واكثر اثاره لذاته وكل عواطفه وشهواته تدور حول  
محور نفسه . ومن ثم تصيح نفسه « السخيفة السمجة المقنونة »  
هي العنم الذي ينصبه ويخر له ساجداً ويريد معشوقته المسكينة  
على أن تسجد له أيضاً . ثم بدلاً مما يكون في حالة عاطفة  
الحب التزبه الطاهر من تلك الفضيلة الاخلاقية الاجتماعية  
الكبرى أعنى روح التضحية السامية الفاضية بنسيان العاشق  
ذاته الضئيلة واتجاه كل ملكاته وقراه وجهوده نحو خدمة النوع  
البشرى ممثلاً في شخص حبيبه وتقديس المجتمع الانساني مصوراً  
في هيكل معشوقه - ترى جميع قواه وملكاته قد انعكست  
نحو ذاته المقنونة فيظل يحسب أن نفسه هي الجوهر الوحيد في  
الوجود وان سائر الكائنات اعراض خسيصة وان كل ما في  
الكون من خلائق لم توجد ولم تكن الا لتسره وتلذه وتسعى  
في خدمته وتسبح بحمده . لا يحسبن القارئ أن في كلامي هذا  
شيئاً من المبالغة فلقد رأيت بعيني رأسي كثيراً من هذا الصنف  
من العشاق ولا أراني مغالياً اذا قلت أن مثل هذا العاشق لا يعير  
محبوبته من الاهتمام عشر معشار ما يبذله في سبيل انتقاء «دبوس»

أو « بمباغ » أو « حمالة » أو في سبيل المقارنة والمفاضلة عند اختياره لون ثيابه بين « الكحلى » و « الكريم » و « الكاكي » ورأيت أن مثل هذا العاشق ينتهى به الأمر الى خسران محبوبه وخسران الصحب والصدىق والخللان . وكلما ازداد جمالاتى عين نفسه ازداد قبجاً فى عيون الغير وكبر مقتاً عند الخالق والخالق .

نقول لقد فات ذلك الفريق أن العواطف والغرائز مهما شرفت ونبات فانها عرضة للاصابة بداء الانانية مالم تحسن برادع العقل والرأى . ولما كانت الوطنية كما بينا أنفأ عاطفة وغريزة فهى بهذا الاعتبار والحكم عرضة لداء الأنانية - لا يقىها من شره سوى العقل الذى هو الدواء القتال للانانية ولغيرها من العواطف الخبيثة والشهوات الشريرة . لأن العقل هو القوة المدبرة المسيطرة على الكون . هو اس النظام ووسيلة الصلاح وعامل الرقى وهو الدواء المستأصل لجرائم الفساد والشر والفوضى . وهو سلاح الحق الذى لايزال ينتصر به فى كل مظهر من مظاهر الحياة وفى كل ذرة من ذرات الوجود على جيوش الباطل . ولما كان الباطل والغي والشر والفساد والفوضى لا تزل تتخذ من العواطف والشهوات أثواباً تلبسها وتظهر فيها وأدوات تستعملها فى اغراضها ومطايا تركبها الى غاياتها الرذولة فلسنا نخطيء اذا قلنا

ان وظيفة العقل في هذا الوجود هي محاربة الشهوات والعواطف .  
لذلك نقول ان الوطنية باعتبارها غريزة وعاطفة اذا نحت  
عن مسقط اشعة العقل قام حولها من ظلمات الالهواء شربئة  
تتكون فيها جرائم الانانية المنكرة وتظهر بمظاهر شتى من  
التمعصب والتشيع والتحزب وما يستدعيه . ذلك من التباغض  
والتشاحن والتحاقد والتضامن وحب الانتقام والنار ولذة التشفى  
والشامة .

هذه الحال بالدقة هي التي تسود اليوم في فريق المعارضين  
المتشائمين - وطنية قوية شديدة لاشك فيها ولكنها وطنية  
مرتدية ثياب التمعصب والتشيع مدفوعة بعوامل التحاقد والتضامن  
ساطية بسيف الانتقام والنار - اعنى وطنية مساحنة بكامل عدة  
الانانية واسلحتها - او بعبارة ابين واقرب الى الحقيقة - انانية  
مساحنة بسلاح الوطنية .

الآن احسب القارئ قد أدرك مغزى كلمتي ( المتناقضة في  
ظاهرها المتناسقة في حقيقتها ) حيث أقول للمعارضين ان الوطنية  
فيكم بالغة أقصى حدها عتب قولي لهم ان أعمالكم لا تنفق مع  
الوطنية .

الوطنية كغيرها من الغرائز والعواطف لا تنهج المنهج

القويم المؤدى الى الغاية المفصودة الا اذا تسيطر عاها العقل لانه  
يمصمها بذلك من أن تنقاد في عنان الانانية أو تجرى وراء  
الاغراض الشخصية . لأن العقل لا يواع الا بالصدق ولا يهيم  
الا وراء الحقيقة - فهو يهيم أثر الحق متعاضاً اليه متلهفاً عليه  
كالعين منهومة بالحسن تتبعه

والانف يطلب أقصى منتهى الطيب

صبا به مستهما - أقول كذلك يهيم صاحب العقل في طلب  
الحق معرضاً نفسه لشفار السن المعارضين تنهش عرضه وتفري  
أديمه ولا يكتنه يعضى رغم ذلك كالسهم المرسل والسييل الجارف  
أو كما انقض كوكب أو كما طا

رت من البرق شقة في غمام

والناس يعجبون له كيف لم تستثر هذه العوامل المهيجة  
عواطفه التي تحال كأنها الصخور الصم . أو الهضاب الشم . بل  
يكاد يخيل اليهم ان مثل هذا الانسان ربما كان بلا عواطف  
والواقع انه مادام يهيم في أثر الحق فهو عديم العواطف الا عاطفة  
الهيام بشخص الحقيقة فأما عواطف الاستياء والغیظ والتألم من  
المطاعن والمفازد ومضيض الهجاء والقذع وعواطف الاحقاد  
والاضغان والتعصب والتشيع فهذا ما ليس له محل في صدر ذلك

الرجل الذى افعم قلبه حب الحقيقة افعاما لم يدع مجالاً لآى عاطفة أخرى . فاذا كانت العواطف والشهوات الانانية هي مقياس انسانية الرجل ومسبار بشريته فانه يصح لنا أن نخرج مثل هذا الرجل من عداد البشر ونجرده من الانسانية فنسميه أى شىء الا انساناً. والواقع انه أشبه ببعض الآلات والمكينات ( كآلة الاحصاء مثلاً التى تمر خلال جملة عمليات حسابية بغاية الضبط والدقة وبلا ادنى شعور أو تأثر بما يحيط بها من المؤثرات الجوية والعوامل الكونية - الى نتيجة مضبوطة لا تقبل تغييراً ولا تبديلاً) منه بابتداء البشر .

نقول أن الوطنية في مثل هذا الرجل لا يخشى عليها من بوادر الالهواء والشهوات وآفات التحيز والتعصب اعنى من مظاهر الانانية . فوطنية هذا الانسان خايقة ان تعد وطنية محضة صريحة نزيهة تقية - منطوية على عناصر الخير وعوامل النجاح مضموناً لها ادراك البغية وبلوغ الغاية .

فهل وطنية اخواننا المعارضين هي من صنف تلك الوطنية المحايدة المجردة من المادة البشرية والعناصر الانسانية اعنى من العواطف والشهوات - هل وطنية المعارضين هي من قبيل

تلك الآلة الحسابة المركبة على مكيئة العقل المجرد ودينامو  
الفكر المحض - هل وطنية المعارضين هي تلك الآلة العقلية  
المتحركة الفعالة في صفاء الفكر البحت وأثير الرأي الخالص - في  
جو صاف نقى الأديم من كل شائبة لاشخصيات والميول الذاتية -  
هل وطنية المعارضين كذلك أم هي أشبه الأشياء بالغانوس  
السحري « يجاو على ناظر كوسط الظلام معرضاً مستمراً من  
الصدور والاشباح يحاول مديره أن يدهشك بصورة هذا البطل  
وتكلم هذا الهمام - أم هي (أعنى وطنية المعارضين) أشبه شيء  
بداخل العبيد أو الكنييسة كل جدرانها مزدهان بالانساوير  
والتهاويل والدمى والتماثيل - وأنت بين هذه الانصاب والاصنام  
لا يسمح لك أن تبدي رأياً أو نجهر بفكرة بما كان لك أن تحاول  
فعل ذلك ولا أن تظن أن لك فكراً أو عقلاً بل كل ما يرب عليك  
اعتقاده أنك لم تفهم ولم توجد بين هذا الجمع المحتشد من القديسين  
والشهداء والملائكة والعذارى الانسبيح ونحمد وتبتهل وتضرع  
وتخر ساجداً لهاتيك الآلهة على عروشها

لو كانت وطنية المعارضين هي من صنفت وطنية العقل الهادئة  
المحايدة المحضة المجردة من نزعات العواطف ونزعات الشهوات

الذاتية والميل الى الشخصيات والتشيع للاشخاص لما كانت - كما  
شاهدنا مراراً وتكراراً - عرضة في كل آن ولحظة لان تغتاظ  
وتغضب بتأثير الالهواء والغايات وتثور وتتهيج بعوامل الحب  
والبغض والحقد والضعينة مما صيراهما بالهفات الشخصية أشد  
منه بالمسائل السياسية واكثر اثماً للذاتيا - إحصوية أعظم منه  
لأهمات المسائل العمومية. وقد اثبت العلم والفلسفة انه اذا ضعف  
سلطان العقل على العواطف أصبح تأثير الانسان بالمسائل الشخصية  
مما عس شعوره الذاتي وما يتصل مباشرة بشهوته وأغراضه أشد  
الف مرة من تأثيره بالمسائل القومية والشؤون السياسية ومن  
ثم ترى الرجل الذي لا بأس في وطنيته واخلاصه ابلاده ربما  
اغضى عن الكلمة يكون فيها مساس عظيم بحقوق وطنه  
ولكنه لا يغضى على اللفظة يكون فيها أدنى مساس بشعوره  
الذاتي واحساسه الشخصى . وترى عين هذا الرجل ربما سمع  
الطعن في مذهب حزبه وشيعته فيحتمله هادئاً وادعاً مبتسماً فاذا  
ما وجه الى شخصه أقل نسبة ثار ثائرده فارغى وأزبد . ثم أبرق  
وارغد . وانطلق اسانه بالسب واللعن يصب على رأس شامه  
صواعق غنبيه وحنقه . وربما سبقت يده الى ذلك المعتدى  
باللظة أو اللسكة بل بالخنجر او المسدس



الاول ولا تصریح الثانی بغير مثقال ذرة من نظام الدنيا ولا بمبدل من شيمة هذه الحياة الارضية وخلقها - ولا بناف هذه الحقيقة المرة الاليمية وهي ان العقل ما زال ولن يزل بحكم ناموس الحياة وتركيبها وفطارتها اندر الاشياء فيها كما ان العواطف والشهوات ما زالت وان تزال اكثر الاشياء كمية وبأشدها تفشياً وانتشاراً وان هذا الناموس الازلي (وايس لنا معشر البشر العجزة الضعاف أن نعارض فيه ونطاعن - وما ذا تجدى المطاعنة والمعارضة - بل كل ما علمنا هو أن نتقبه على علته ونستثمره جهد طاقتنا) هو مصدر ما تنطوي عليه الدنيا من الظلم والطغيان والشور والمصائب والشقاء والمؤس - بالدليل الواضح البين وهو ان العواطف والشهوات هي بطبيعتها سفلية جهنمية ومنها يتكون الجزء الدنس القذر الخبيث من هيكل الحياة (وهو الجزء الاعظم) - كما ان العقل هو بطبيعته سماوي الهي ومنه يتكون الجزء الطاهر النقي من هيكل الحياة (وهو الجزء الاصغر) وهو توزيع قد رآه القدرة الالهية مناسباً لنظام هذه الحياة الارضية التي لم يرد الله سبحانه وتعالى أن تكون فردوساً أو ملكوتاً أعلى أو مقام قدسین وابرار - بل أرادها أن تكون ( كما أنبأنا الكتب السماوية ) دار توبة وندامة وتكفير عن جناية ابوينا الخاطئين

في دار الخلد - أو بالاختصار ارادها الله أن تكون سجننا أو - بمباراة  
أخف وألطف - املاحية أو مستشفى . فاما الجنة - دار المكافأة  
والجزاء ومقام الابرار والشهداء والفديسين - فما ظن أن الخالق  
سيبنى نظامها على قاعدة هذا التوزيع المحزن - ندرة العقل وغلبة  
العواطف المتسلطة بجيوش الاحتماد والضعفان - بدليل قوله  
سبحانه وتعالى في وصف أهل الجنة : اخوانا على سرر متقابلين  
ونزعنا ما في صدورهم من غل .

نقول كذلك مذهب القدرة الالهية في خلقه هذا الوجود -  
بينما تراها كأبخل البخل في هبة العقل كأنها تجود به من خرت  
ابرة اذا بها كأسخى الاسخياء في هبة الشهوات والعواصف نسح  
بها سحوا وتهطل هطلا . فهي كلما جادت على هذا الكوكب  
الارضى بمنقال ذرة من العقل جادت مقابل ذلك بمليون قنطار  
من العواطف - عطية مشتركة بين الانسان وسائر ضروب  
الوحش والبهيم والحيوان من أعلى درجات سلم الحياة الى  
ادناها . على حين أن العقل القوى المسيطر على العواطف لاتبه  
الطبيعة الالاسمي طبقات الانسان - اعنى الانسان المفكر .  
هذا المخلوق البديع السامي نادر جداً بالنسبة الى ما يملأ فضاء  
الله ويتشاحن فيه ويتطاحن ويتنافر ويتناحر ويتصالح ويتعاوى

من مختلف ضروب الوحش والحيوان وفي مقدمتها (أوفي مؤخرتها وهو الاصدق) ذلك الوحش الساعي على قدميز المسمى انساناً - اعنى الانسان الاعتيادى الخاضع لسلطان الشهوات والمواطف الذى منه تتكون المجاميع والجمهير والعامّة والسواد الاعظم من نبي البشر

وايس يتخفى على ذى لب أن المسائل السياسية والاجتماعية حتى اينها وابسطها هي - وأن خيل للبسطاء السذج أنها سهلة الفهم والادراك قريبة المأخذ والاستيعاب لا يحتاج - بنجتها وخصها لكبير عقل أو ثاقب فطنة - لهن في الحقيقة والواقع صعوبة عويصة وعرة السالك لا يستطيع أن يحيط بها ويستجلي غوامضها الا ولو الفطن والاباب . وانما هو الغرور والتبجح والدعوى التي توهم السذج البسطاء من الجماهير والعامّة انهم قادرون على فحص وتمحيص هذه المسائل التعذبة وانهم هم ايضاً لهم الحق في مشاركة أولى الاباب في تناول تلك المسائل وابداء الراى عنها - والبت فيها . واذا كان هذا هو موقف الانسان العارى من المسائل السياسية والاجتماعية وهذا هو مبلغ ضعف عقله وقصور ذهنه عن فهم ماهيتها وادراك دقائقها وغوامضها في حالته الطبيعية أى في حالة هدوء عواطفه وعدم اهتياج احساساته وشهواته - فما بالك بمقدار

عجز ذلك الذهن وقصوره اذا زدته ضعفا باستثارتك عواطف  
ارجل وشهوانه وتسليطها على ذلك الذهن الضعيف من  
اصله .

ومن ثم ترى أن العامة والصبيان والنساء في كل أمة يكونون  
لغالب العواطف فيهم على العقل وامتلائهم بالشهوات النارية أشبه  
شيء بمخازن البارود ومعامل الذخيرة . وهذه المزية العظيمة لا تخفى  
بالطبع على عشاق المعارضة في كل أمة فهم كالصيادي يعرف مسارح  
الظباء ومسارح المها وكالمنتجع يهتدى الى مساقط الغيث ومنابت  
الكلا . أقول أن زعماء المعارضة يعرفون مواضع تلك العناصر  
المتهدية والمواد المفرقة من قلوب العامة والصبيان والنساء فما  
هو الا أن يرسلون عليها شرارات مما تجيش به صدورهم حتى  
تشتعل فتتأجج .

فالى زعماء المعارضين اللاعبين بأبواب الصبية والنساء والعامة  
نقول : اتقوا الله في عقول اضغفها الطبيعة لا تزيدوها ضعفا  
واتقوا الله في احلام خففتها الطبيعة لا تزيدوها خفة وطيشا  
وراقبوا الله في عواطف واحساسات قابلة نلأهاب بفطرتها  
لا تضر موها على اربابها وعلى البلاد نارا حامية . واخشوا الله أن  
يراكم تسلون من قلوب أولئك البهطاء سيوف عواطفهم وشهواتهم

فتجهزوا بها على ذرة العقل الضئيلة التي تفضت عليهم به الطبيعة  
مما بقي لديها من مادة العقل بعد ان كالت منها كيلا للفضلاء  
النوابغ اتقوا الله ان يراكم تطلقون سيول تلك العوطف الجارفة  
تسلطون طوفانها على تلك الشرارة الكليمة التي منت بها الطبيعة  
على ادمغة اولئك البسطاء بعد ما اشعلت مصاييح الفطنة الوفاة  
في سماء اذهان الاذكياء الالباء . رفقا اولئك الضعاف لاتعينو  
عليهم الطبيعة الفاسية الضالمة بافسادكم ما جادت به عليهم  
من النزر الطفيف من مادة الفهم يوم قسمة العقول والبصائر .  
وهنا يجدر بنا القول بأن ما يقوم اليوم بين ظهر انينا من  
تغلب العواطف الثائرة في مجال تبادل الاراء الهادئة وسيطرة  
الشهوات المائرة في مقام أعمال الفكرة الناقبة والعقل المجرد  
عن شوائب الاهواء - انما هو مظهر من مظاهر آياتنا الاولى في  
العصور الغابرة ونزعة رجعية الى عصبية ذوى الثارات والعداوات  
من أجدادنا أهل البيد والفلوات

ان أهم منيزات الطبقات العليا على السفلى والخاصة على العامة  
هي ان الفئة الاولى لحدة ذهنها وقوة للملكة المنطقية فيها تستطيع  
التفكير والكلام في المعنويات كالتنظريات والكليات والقواعد  
والقوانين بينما الفئة الثانية اضعف ذهنها وقصور الملكة المنطقية

فيها ازاء قوة الحواس والاحساسات لاتفهم المعنويات ولا تقوى على ولوج أبوابها وخوض غمارها فهي لاتتمذ ولا تعنى الا بما قد كاد يقصر عليه إدراكها من المرئيات والمحسوسات كالاشباح والذوات والاشخاص ولذلك اذا غشيت مجامع العامة ومجالس الصبيان والنساء الفيت حدِيثهم قد كاد يقنصر على الاشياء المحسوسة كوصف المراقص والملاهي وأما كن الفرجة كالمعارض وحدائق الخيرات والمطاعم وحواريات الفواكه والحلوى الى انفصول المسهبه النرح والتفصيل في مسائل الالبس والتفصيل وأصناف الاقشة والمنسوجات وآلات الزخرف والزينة الى ما يماثل ذلك ويجرى مجراه من المباحث الافتصادية في تاريخ المطبخ والكيميلار والتاريخ الطبيعى اشقى أصناف الطيور والدواجن الى المحاضرات الفلسفية في فنون « الغيات » المختلفة الحمام والخيل وورق البريد والعملة القديمة والسجاجيد والجعارين وما لا يحصى ولا يعد من أمثال ذلك واتباعه - ولكن هناك شيئاً آخر هو اعلاق بأذهان هذه الطبقات واروح على فلوبهم وذلك هو التعرض للاشخاص أنفسهم ( لاني متعلقاتهم من مأكل وملبس ) والخوض في شخصياتهم وتناول سيرهم قدحاً أو مدحاً .

أما الكلام في المعنويات وارسال الذهن الصافي البلورى  
يسبح في عام الافكار والروحانيات وينغمس أجنحته في ضياء  
الحقائق ويقلب المعانى محضه بحتة عارية عن ثياب الاشخاص  
والمادة والزمان والمكان فذلك مالا نستطيعه ولا تعرفه هذه  
الطبقات من العامة والنساء والصبيان وانما هو شأن العلية الفضلاء  
اونى الفطن والالباب

ولا يخفى ان هذه الخصلة اعنى تعلق النفس وجولان الذهن  
في عالم الحس وضعفها عن خوض سالم المعانى والنظريات هو من  
مظاهر الامم والشعوب غير المتمدينة التى تكاد تنحصر أعمالها  
ومساعيها فى التكافح والتقاتل وشن الغارات بعضهم على بعض  
لا تزال هذه القبيلة تغزو وأختها وهذه الفصيحة تكتسح جاراتها .  
ثم ترى أفراد كل قبيلة لا تم لهم اذا ضمتهم محافلهم وانديتهم الا  
وصف مواقف أبطالهم فى ساحة الوغى ونعت ما أتوه من آيات  
النجدة والبطولة ثم تعجيد الزعيم الأكبر وتقديس ذاته . فأحاديثهم  
وأفكارهم مقصورة على الاشخاص ومظاهر المادة لا تتعداها الى  
عالم المعنويات والمبادئ والقوانين العامة .

ولا تنس مالا بدأ أن يصحب هذه الحالة ( اقتصار الافكار  
والحديث على عالم الحس ) من تعرض العواطف والاحساسات

بسبب سرعة الانفعال والثورة والهياج لما هو مفروض في تلك الحالة من ضعف سلطان العقل وضؤولته امام جيش العواطف . ونحن لانزال في غدواتنا وروحاننا نبصر أثر هذه الخصلة العتيقة أعنى الولوع بالاشخاص لمجرد أسباب مادية لاعقلية ولا روحانية وتقديس اولئك الاشخاص لمجرد تأثيرهم على عواطف مفتونينهم من العامة لا على ماكانت لهم العقلية والروحانية = باديا في كل شهر من اراضى بلادنا وفي كل آن ولحظة من خمنوع العامة لرجل قوى البطش فيهم مرهوب السطوة يسمونه «فتوة» فمن شاء أن يرى اصدق صورة تمثل تاريخ العصور الوسطى = هذه الافطاعيات او عهد الفروسية في أوروبا المظامة ووقائع «قلب الاسد» و «اورلندو» و «اماديس دي جول» فليطالع على مايجرى من مظاهر العواطف العمياء والانانية الخبيثة في طبقات العامة مما يدعوهم الى تمجيد زعمائهم من «الصبوات» و «الفتوات» وان تشأ مثلا آخر على هذه المظاهر المقونة فتفقد ليلا محافل العامة في قهواتهم حيث تتلى عليهم قصة عنزة وأبي زيد وانظر في وجوه القوم وحركاتهم مظاهر تلك النزعة الرجعية = نزعة تقديس الزعيم لمجرد قوته العضلية ومزاياه العدوانية وفرط تأثيره على عواطف شيعته وانصاره . بل أنظر اليهم

كيف ينقسمون شيعاً واحزاً بأحسب ميولهم الغريزية للاشخاص  
الخرافية السرودة عليهم افاصيصها - كل فريق يتعصب لزعيم  
دون الآخرين . وكيف في سبيل انتصار كل لزعيمة الخرافي  
وتشيعه له يتهيج ويثور وبما وثب على مناظريه من انصار الزعماء  
الآخرين واستطال عليهم بالسب وأحياناً بالضرب . فهكذا يبلغ  
من حدة العواطف البشرية وغلواء سورتها حتى في حين تأثرها  
باموامل الحيايية الوهمية المستمدة من عالم الفصص والخرافة -  
فما بالك بفرط سطوة هذه العواطف وطغيانها اذ تسلطت عليها  
عوامل فلية واقعية من عالم الحس والحقية

هـ - هذا هو الحاصل بيننا اليوم وذلك هو شأن المعارضين  
ومن شايعهم وتابعهم - والا فكيف كان يمكن ويتأتى ان ينكروا  
المحسوس والملموس ويماروا في الحق الصراح ويلوموا غير ملوم .  
ويذموا غير مذموم . ويرتعوا سائمة الهجاء في غير مرتع .  
ويشروعوا صادية القدح في غير مشرع . وكيف - لولا هذه  
الحال التي شرحناها - كان يهون عليهم ما يحاولون اتيانه من تفريق  
ذات البين وتبيد الصفوف وتمزيق الوحدة وفك الاواصر .

حتماً ان المعارضة اذا خلت من عوامل العواطف الشخصية  
والشهوات الحزبية وصحت من سكرة الأثرة والانانية عز عليها

أن تأتي كل ما من شأنه عرقلة المساعي وأضعاف الجهود وإيذاء القضية . ولكن ماذا تصنع المعارضة وماذا تفعل الوطنية اذا أصابها الانانية ؛ اليس الأناية جديرة ان تصم أذن العقل وتخرس صوت الضمير وتغشي ناظر الرأي والبصيرة . وتطرح في زوايا الإهمال كل مسألة وقضية الامسألة شكائهم الوهمية وظلامتها الخيالية

وفي هذه الحالة تتوق ونصبو الى فكرة الانتقام . وقدمنا قبل ان الانتقام حلولاً عند الانسان الاعتيادي الحد العواطف وكم رأينا وسمعنا عن التضحيات العظيمة تبذل في سبيل الانتقام ومن أجل تذوق حلاوته واستمراء لذاته . ولا جرم فلا انتقام هو كما وصفه الروائي الأشهر « السير والتر سكوت » « اشهى لقمة طبخت في نار جهنم »

ولا عجب اذا رأينا المعارضة رغبة في الانتقام تشين الغارة أثر الغارة وتصول بجيوش المظاهرات وتقيم مسرحاً عظيماً للشغب واللجب والسمياع تلعب عليه أو تتفرج جماهير العامة والنساء والصبيان مدفوعة بما جبلت عليه تلك العنقبات من حب الهياج والصخب والضرضاء وبما فطرت عليه من الشغف بمشاهدة ملاعب الصراع والملاكمة مما يثير الشعور ويولد تلك اللذة الحاصلة

من التهاب العواطف واشتعال الشهوات - فضلا عن اللذة المترددة في المظاهرات من احتكاك الانسان بالآلاف المؤلفة من الاجسام البشرية ومن تفرج الانسان على مثل ذلك العدد من الوجوه الآدمية المختلفة السحن والملامح .

كذلك تحاول المعارضة الانانية قلب الحقائق ومسحها وتشويبها وانكار الواقع الملموس والمشاهد وطمس ما اثر الذين ساقوا البلادهم الخير والغنيمة وجحدوا لما طوقوا به جيد الوطن من بيض الأيادي - تحاول بذلك شفاء غلة جهنمية . وانتقاماً لاساءات وهمية . وقد تفلح وقتاً ما في ترويح مذهبها بخلقها جواً من الهياج الوجداني والانفعال النفساني تلهب فيه العواطف وتحتدم الشهوات - تبذر في ارجائه بذور اراجيفها ونذرو في انحاءه لقاح اباطيلها واضاليلها . ولكن هذه الحال لن تدوم وماهى الا مؤقته - شأن غيرها من الاكاذيب التي مهما امتد اجلها فألها حتما الى الزوال والفناء .

وكذلك تلك الارجيف والاباطيل وتلك الظنون السيئة بالحكومة الحاضرة والتهمة الكاذبة مما لانفتت المعارضة تصوغه وتختره - مهما صادفت من الرواج في هذا الدور الاول من العهد الجديد بسبب مايسود في اذهان بعض الطبقات من عراجل الحيرة

والارتباك المثيرة للريب والشكوك من تأثير صدمة هذا الانقلاب السياسى الخطير - فهي لا بد أن تأخذ في التناقص والهبوط والكساد ثم يؤول أمرها الى الأضمحلل والزوال على مر الايام متى تتاع على ابصار تلك الطبقات من مزيد الشواهد والآيات وتوالى على بصائرهما من جديد الحجج والبيانات ما يحو من اذهانهم ذلك الخلط والارتباك والحيرة - ويبرز لا بصارهم الموقف الجديد ومعالم وحدوده وخصائصه ومزاياه فى اجلى مظهر من الحق الصراح .

والكن حركة القضية نحو النجاح وسير البلاد الى الغاية المنشودة من الرقي والافلاح دائبة مستمرة لا تنتظر ذلك اليوم الذى يسطع فيه نور الحقيقة على ابصار المضلليين من مفتونى المعارضة . لقد نهضت الطبيعة بنفسها فقبضت على زمام القضية بيدها القوية تدفعها فى سبيل التقدم - فمن ذا الذى يقوم فى وجه الطبيعة يردّها عن قصدها وغايتها ؟ وأي قوة بشرية تستطيع للطبيعة دفعا أو مقاومة أو ليس اذا هبت على شىء مارج المدد والمعونة من جانب عرش الله اصبحت أقوال المعارضين فى هذه الريح الشديدة هباء . وذهبت اراجيف المعاكسين فى نفحاتها جفاء هذا بحر السياسة العجاج قد لان جانبه . وسكنت غوار به .

وسلم قياده . واطمان مهاده . وقد سربت فيه الفلك وانساب  
تمخر الى الامام عبايه . وتشق الى مرادها جابابه . تزجيها ربح  
السلام ويهدبها كوكب اليمين والتوفيق . فانزعت المعارضة ولتبرق .  
فاشئ من ذلك المصخب والضجيج بضائر الفلك في عجزاها .  
أو صبارفها عن قصدها ومبتغاها .

لقد ولجت البلاد باب الخبرة سواء اعترفت بذلك المعارضة  
أم لم تعترف . وقد مذكت البلاد فورا تسهيل الاستقلال سواء  
شاءت المعارضة أن تصدق ذلك أم لم تشأ . وقد انبرت البلاد  
تجتاز تلك السبيل آمنت بذلك المعارضة أم لم تؤمن

لقد اعترف بالغاء الحماية وباستقلال البلاد في الداخل والخارج  
وأمنت . على ذلك دول العالم وتواردت به المهائم من ماوك الارض  
وقد زال العهد القديم وانذر وطواه الدهر فيما لايزال يطوبه كل  
لحظة من هالكات هذا العالم وفاباته . فلن يرجع هذا العهد حتى  
يرجع أمس الدابر

وحتى يردب القارذنان كلاهما

وينشر في الموتى كليب بن وائل

وقد اطلق مدفع الاستقلال - ناعوس جناية العهد القديم  
المنذر ووق البشارة بميلاد العهد الجديد المبارك وكان دويه

المستفيض يحمل صوت البشير مهنماً فى ظلمات الغيب الى ذرية  
المصريين من أهل المستقبل البعيد فى عالم الذرات متغلغلا الى  
الى أعماق الأبد !

## الفصل الثالث الحالة الحاضرة

واجب الامة في موقفها الحالي

من كان يسره التشبث بأهداب الاماني البعيدة والهيام وراء اشباح الخيالات فالعافل من اغتبط بالشيء الواقع وان قصر عن مدى أمله ووقع دون غاية مبتغاه . وحسبه أن يكون ذلك الواقع منطوياً على عنصر الخير وجرثومة الفلاح  
ألا ما أعظم الواقع المدرك الحاصل في حوزة الامة وما أجل خطره وقيمته ! أليس هو الدررة المستخلصة من أعماق بحر الخيال والجوهرة المستصفاة من غمار لج النظريات والاحتمالات . أليس هو ذلك الشيء المائل أماءك حقيقة ثابتة مؤكدة لا ريب فيها ولا شك ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ أليس هو الاساس الوطيد الذي تبنى عليه الامة نظام الحياة والعمل - والسلم المتين الذي عليه تسمو في معارج الرقي والرفعة الى حيث يبلغ بها ما تبذله من الجهودات والمساعي ؟ لذلك كان من الحزم والحكمة أن تشبث الامة بما يسوقه اليها الحظ من الخير الواقع

أشد تشبث وتذتفع به جهدها وتستثمره وتتخذة وسيلة وسبباً  
إلى غيره من الثمرات والفوائد بفضل الجهد والعزم والمنابر.

نحن لا ندعى أننا قد قلنا أقصى أمانينا القومية أو بلغنا غاية  
مطالبنا الوطنية . ولكننا نقول ونصرح أننا إدركنا شيئاً كثيراً  
إدركنا الأساس الثمين الذي نستطيع أن نشيد عليه صرح  
الاستقلال التام بفضل الجهد والمواظبة وملسكنا فوهة الشعبيل  
الذي إذا تضافرتنا على اجتياز أوعاره وافتحام عقباته ادانا بلا  
شك إلى أقصى غايتنا المنشودة .

لذلك ترانا نعجب كل العجب ونتملىء فلو اننا دهشة من  
الذين لا ينفكرون إزاء هذه المعانم العظيمة والفوائد الجمة فيصيحون  
أن حالتنا السياسية باقية على ما كانت عليه من قبل لم يطرأ  
عليها أدنى تغير . فهل يقول مثل هذا الأتغال عن الحقائق الناصحة  
والشراهد المأمومة أو متغافل ؟

هل يشك مخلوق كأننا من كان ان بريطانيا بتصریحها  
التخدير ( الذي اعترفت فيه بالغاء الحماية واستقلال البلاد ) قد  
سحت من سجلات السياسة والتاريخ تلك الصحيفه السوداء التي  
كانت سجلت بها على مصر الحماية المشؤومة . فاصبحت مصر بفضل  
ذلك بلاناً مستقلة ذات سيادة في نظر القانون الدولي وفي اعتبار الدول

جمعاء وأصبح من المفروض على الدول قانوناً أن تعامل مصر على هذه الصفة كما تعامل سائر البلدان المتمتعة بالاستقلال التام . ولمصر الآن كامل الحق في طلب الانضمام الى عصبة الأمم متى شاءت وفي صيرورتها ضمن أعضاء هذه العصبة . وأصبح غير مـُظور على الدول أن تعاملنا معاملة النضير للنضير وأن ترأى معنا كل ما هو سقرر بين بعض الدول والبعض الآخر من الحقوق والحرمات والواجبات فليس في استطاعة الدول الآن أن تذكر وجودنا مثمنا فعات حينما أوصدت في وجهنا أبواب مؤمر فرساي واعتبرتنا أمة عديمة الشخصية قاصرة لم تخرج بعد من طوق الحماية والوصاية بل لا تملك حق الكلام والتعبير عن ذات صدرها

كل هذه المزايا العظيمة كانت الحماية تحول بيننا وبين التمتع بها . فقد زال هذا الحائل بزوال الحماية وأصبحنا في حل من التمتع بها واجتناء مـُظيم ثمراتها .

هذه خطوة كبرى خطوناها في سبيل الاستقلال التام . وبلغنا بها الشيء الكثير الذي لا يستطيع نكرانه الا غافل عن الحقيقة الناصعة أو متغافل . أما بقية أمانينا وتكملة مطالبنا والشيء الذي يندعص استقلالنا فهذا منطو في المسائل التي احتفظت

بها بريطانيا معلق على تسويتها تسوية نهائية في المفاوضات المقبلة التي سيكون لبرلماننا الحق في تحديد موعد افتتاحها وانتخاب المفاوضين فيها والاشراف عليها .

هذه المسائل التي احتفظت بها بريطانيا لم يقل قائل ولا خطر على بال انسان انها قضاة تتوهم لا دافع له او ضربة لازب باقية على الابد او أن بريطانيا قد احتفظت بها بحسبة نهائية لا تقبل تمويلا ولا تغييرا . وانما هي شيء عارض لمدة مؤقتة اقتضته ظروف ذلك التطور السياسي العظيم كما ورد ذلك صراحة في تصريحها الخطير .

فاستقلانا في الحاله الراهنه وحتى تتم التسوية النهائية بشأن هذه التحفظات في المفاوضات المقبلة التي سيشرف عليها البرلمان انما هو استقلال حكمي اكبر منه استقلالا فعليا وان كان قد اذبح بمدينتنا فعملية عظيمة الشأن كالتي ألمعنا اليها آنفا من ارتفاع الرفاة الانكليزية عن أعمال الحكومة في كافة أركان الحكم والادارة وكالذي يسرى الآن في البلاد من مبدأ مسؤولية الوزارة أمام الشعب ممثلا في برلماننا المشروع في النشأة .

لذلك لاندعي أننا قد نلنا أقصى أمانينا وانا قد بلغنا الغاية ولم يدع ذلك رجالنا العاملون الخاصون ولا أمداه بطل النهضة

الحالية وفارس حليتها دولة الرئيس العظيم ثروت باشا فقد أورد دولته في غضون رده على تهنئة الحكومة البريطانية بمناسبة اعلان استقلال مصر هذه العبارة الآتية التي جمت بين ادب الكاتب التحرير ودهاء السياسي الفدير والتي يناق في ديباجتها المصقولة مع طلاوة ورقة الخطاب ولينه شعاع الوطنية الحارة ووهج الغيرة الملهبة على مصلحة البلاد ومستقبل الاوطان فذكر دولته المركزي سرزون صاحب النواغراف الآنف الذكر ( مع حسن رده على التهنية بارق منها عبارة والطف اشارة ) بذلك الأمر الجليل وهو أن مصر لم تقنع بالحالة الراعنة وانها أشد ما كانت يقظة وانتباها ومطالبة يباي حقوقها - فذلك حيث يقول دولة الرئيس في ذلك الرد

« وأنا لعرب لفخامتكم عن تقديرنا جميل ما اظهرته حكومة صاحب الجلالة البريطانية واظهره البرلمان البريطاني من الميول الحسنة وامتد على هذه الميول في الحصول على نسوية تامة للمسألة المصرية تتع على أحسن وجه وادعاء للمحافظة على صلوات الود والثقة بين البلدين واتنمية هذه الصلات »

نحن لا نقول لامتنا الكريمة قد ادركنا الغاية ونلنا المدى وبلغنا أقصى منتهى المنى والآمال فاحبسوا اعنة السعي واريحوا

مطايا الجهاد . وارخواقسى النضال واغمدوا سيوف الجلال .  
واقترشوا مهاد الراحة وتوسدوا وثار الدعة وتمرغوا فى حجور  
الصفو وتقلبوا بين اعطاف النعيم . ولو قلنا لهم ذلك الكناهم  
خادعين وبهم مغررين ولحق لهم اذذاك أن يهتمونا بما به يسموننا  
الآن زورا دبهتنا من التعمية والتضليل . ولكننا من وجهة اخرى  
لا نقول مع جماعة المعارضين اننا على حالنا الأولى لم نتقدم قيد  
قتر ولم نتأخر ولا نجارى المغالين منهم فى زعمهم ما هووا اكثر من ذلك  
اذ يقولون ما نانا خيراً بل شراً ولم نتقدم خطوة نحو البغية بل  
تأخرنا خطوات وان الوزارة - معاذ الله - لا تناصر الأمة بل  
هي الى خذلانها اميل وان القادة الامجاد ( الذين سخرهم الله لخدمة  
الشعب واظهار حجته وتأيد قضيته ) لا ينهضون بالوطن الى  
ذروة المجد والعلاء بل يهبطون به - لا قدر الله - الى الوهدة .  
نحن لا نقول ذلك لانا لا نعتقده ولا نه غير الحق ولأن شفاهنا  
لا تطاوعنا على قوله وتنقطع من دون النطق به السنننا ولو فعلت  
لكذبها الدلائل الساطعة والشواهد الناصعة التى قد ابانت الاملاً  
باوضح الادلة واثبتت للعالم بأظهر الآيات البيّنات أن حكومة  
اليوم هي غير حكومة الامس وان دولة رئيس الوزارة واصحاب  
المعالى زملاءه لم يتربعوا فى كراسى الحكم الاعلى شروط استمدوها

من الرأي العام واردة الامة . وانه لو لم تعترف انكثرا بالغاء الحماية  
وباستقلال مصر لما قبلوا الوزارة ولما اتسنى لجلالة الملك أن يكل  
اليهم العناية بأمر النظام الاساسي فهم من هذه الوجهة ومن وجهة  
مشاركة الامة في كفاحها وجهادها لا يمكن فصلهم عن مجموع الامة  
واعتبارهم حكما بالمعنى العتيق المنقرض يتحكمون في الشعب بحكم  
العابف المستبد الذي لا يحترم ارادة الامة ولا يعترف بسلطانها  
المقدسة . كما كانت الحال في العهد السالف

ذلك عهد قد انقرض وباد . وقد اصبحتنا اليوم في عهد جديد  
ميمون تتضافر فيه الامة والحكومة معا على تقويض صرح  
الاستبداد ونسف دعائمه واستئصال جرثومته انغرسا شجرة  
الحرية المباركة اعنى شجرة ساطعة الامة الى تردها في تربة الوطن  
العزير بين رفات الالاء والاجداد وتسقيانها دماء الشهداء من  
ابناء الامة لتزكو على ضفاف النيل المبارك وتنفتح يرد ظلالها  
عظام العرب والفراعنة في اجداثهم وتغدق على الالاء والذرية  
ثمارها اليانعة الجنية .

فالوزارة اليوم من الامة والامة من الوزارة . وهما في الحقيقة  
كتلة لا تنقسم ووحدة لا تقبل التجزئة وحاماة مفرغة لا يعرف  
اين طرفاها . هذا من حيث الاخلاص في الوطنية وصدق

الحمية وفرط الغيرة والفضحية والتفاني في خدمة الفضيلة وان  
اختلفت منهما الوسائل والذرائع - كل يؤدي في خدمة الوطن  
وظيفته . فالحكومة ترسم الخطط والبرامج . وتمهد السبل  
والمناهج . كغرفة الكشافة في الجيش العرمرم والامة من  
ورائها كالجنود تقدم وتزحف محتملة من المواقع الحصينة والاماكن  
الخطيرة بايذاء لها فرسان الطليعة .

بيد أنه لا ينوت الامة ان هذه الطليعة أو الكشافة  
( أعني الحكومة ) قد لا تستطيع - ولا سيما في مثل ظروفنا  
الاستثنائية المترتبة على تطورنا الفجائي - أن تنجز كل هذه  
الاعمال التمهيدية في بضعة أيام أو أشهر ( مهما تأقت القلوب  
واولمت النفوس بسرعة هذا الانجاز ) وانه لا بد للجيش ( أي  
الامة ) أن يهب طليعته الكشافة ويعطيها الكفاية من الوقت  
ولمنسأ لها وجه العذر مقدراً حرج مركزها وصعوبة موقفها  
معاوناً لها بما قدره عليه الله من حسن المؤاتاة والمساعدة والملاينة  
والصبر الجميل والناييد والنشبيع - ذا كراً تلك الكلمة المأثورة  
لرجل الدهر نابليون بونابرت « الدنيا بخذافيرها تنساق في النهاية  
لمن يعرف كيف يصبر »

وجدير بالناس ان يذكروا هذه القاعدة الخطيرة وهي ان

الانقلابات السياسية لا تستلزم إلغاء النواميس الجارية والدساتير السائدة ولا تستدعى هدم الكائن من نظم وتقاليد وإيقاف سير ما هو نافذ من أحكام ولوائح فتصبح البلاد فوضى لانظام ولا قانون الى أن يتم انشاء البرلمان الجديد ويبنى عليه أساس الحكم في البلاد . فهذا مناقض لسنة العمران في العالم ناقض لاسباب انظام والأمن والسلام . وهو مالا يكون ولا يمكن أن يكون أو يتأتى بحال من الاحوال . وعامى الشواهد التاريخية تدلنا على أن الامم التي هبت من قبلنا تطالب بحريتها قد أصدرت يوم استقلالها أوامر بابقاء أحكامها العسكرية نافذة توثيقاً لاسباب الامن وتوطيداً للدائم السلام وتوخياً للتنسيق أركان الحكم الجديد تحت لواء النظام .

جدير بكل فرد من أفراد الشعب أن يظن تمام الفطنة الى حقيقة موقف الامة ودقة مركزها كومة وضيق مآزقها ووعورة مسالكها وما يعترضها في كل خطوة من المصاعب والمشاكل فيعطف عليها بكل ما أوتى من عواطف البر والكرم والمروءة . ويسلك معها سبيل المصابرة والتحمل لينظر ماسوف تصنع وما عساها أن تأتي وتذر وتحمل وتعقد - حتى لا يرمي بالتعجل في الحكم وابرار الرأي فجاً غير ناضج .

نحن اليوم ازاء مشكلة من أعوص المشاكل لايتأنى حلها بسوى التعقل والروية والتبصر وذلك مالايتسنى الا فى جو صاف من الهدوء والسكينة تسود فيه الاناة والتؤدة ويشرق فى افقه سراج العقل المتبصر المتدبر - وأساس كل ذلك هو كما المعنا فى موضع سالف هدوء الخواطر وسكون الجوانح وثبات الجأش والجنوح الى الرفق واللين والهواذة والحسنى وتوخى أسباب الحلم والمجاملة والرقوة فى الخطاب وأساليب الادب والملاطفة والدمائة فى مجال المنائشة والمناظرة - شأن أفراد الامم المهذبة الراقية التى يحق لها أب - تفخر بسمو مكانها فى درج المدنية والحضارة

ان المشاغبات والمشاحنات واستمارة العداوات وبذر الشقاق ما كانت قط لنؤدى الى خير ولا لتتقدم بأمة خطوة نحو غايتها المنشودة ولا سيما اذا كانت أمة فى مثل مركزنا السياسى قد وضعت قدمها على فاتحة سبيل الاعمال والمجهودات العظيمة للوصول الى ماتبتغية من أقصى غايات الاستقلال التام .  
نحن الآن أحوج مانكون الى العمل - الى العمل المنتج المثمر - الى عمل البناء والتعمير أو التسييد والتجديد . نحن الان أحوج مانكون الى تنظيم حركتنا وتنسيق نهضتنا بضم

شواردها وجمع شتاتها ولم شعنها وتسييرها في منهج قاصد قويم  
يسود في جوهر العقل والنظام والحكمة والتدبير .

لقد انتهت حركتنا من دورها العاصف العنيف وجرت  
شأوها المحتدم المضطرب وأدت ما عاينها من مهمة الهدم والنسف  
والتقويض - هدم الحماية ونسف دعائم الحكم المطلق وتقويض  
أركان التدخل الاجنبي . أجل . لقد انتهت حركتنا من دور  
الهدم والتدمير . وأن لها أن تدخل في دور البناء والتعمير لقد  
هدمت برج الحكم الاجنبي ووضعت على انقاضه أساس  
الاستقلال - وقد آن لها أن تبذل أقصى الجهد في أن تشيد على  
هذا الأساس صرح الاستقلال التام .

فكان حركتنا كانت في دورها الاول العنيف التأثير أشبه  
شيء بالسيل الجارف المنهمر المصطدم بالصخور والجلاميد المتوثب  
بين العقاب والاوزار - وهي في دورها الحالى الهادي المطمئن  
يجب أن تكون مثل هذا السيل حيث ينتهي من الصخور  
والاوزار ويفضى الى أرض سهلة مستوية لكنها فقيرة جرداء فعلى  
هذا السيل أن ينسكب في فضاءها متسلسلا منسجما هينا لينا  
وايكنه يكون مع ذلك قويا شديداً جائشاً زخارا يؤدي ما عليه  
من واجب الري والسقيا ووظيفة الاخصاب والانتاج فيحول

الجذب خصبا . والصخر عشبا . ويترك الفلاة الجرداء .  
جنة غناء .

وهذا ما لا يكون ويتم الا بالالفة والاعتقاد وهما لا يتوافران  
الا بحصول الثقة المتبادلة بين عناصر الشعب وأحزابه ثم بين  
فئات الشعب كافة وحكومته . والثقة المتبادلة لا تتأني ما دام  
سوء الظن متمسكاً بالنفوس . ومعلوم أن سوء الظن هو كفة  
الشعوب ولا سيما في ادوار انقلاباتها السياسية وتطوراتها النظامية  
اذ في مثل هذه الظروف المصيبة تكون النفوس هائلة نائرة  
واخواطر مضطربة قاعة ومتي كانت النفوس والخواطر كذلك  
أصبحت بيئة صالحة لجرائم الريبة والتهمة تعشش فيها وتبيض  
وتفرخ منتجة الضغائن والاحقاد المؤدية الى اعظم الشرور والمضار  
لا جدال في أن ما ادركناه من الفوز السياسي الأخير  
وما اكتسبته القضية من النجاح والتأييد بما صارت اليه من  
المركز الحصين الجليل لجدير أن يعد من أعظم دواعي الابتهاج  
والاستبشار ولا جدال أيضاً في أن هذا الابتهاج والاستبشار  
الذي نراه متفشيّاً في جانب عظيم من الامة ممن عصمهم الله من  
تأثير ما يروجه المتشائمون من باطل الاشاعات والاراجيف اذا  
ازداد تفشيّاً في مجموع الامة وسرايانا في أفئدتها وجوانبها كان

من اكبر أسباب النجاح وأعظم وسائل اليسر والتوفيق وأغزر مصادر الخير والبركة والفلاح - فانه لا خلاف في أن روح الابتهاج والاستبشار من أقوى بواعث الهمم ومرهفات العزائم مما نحن بامس حاجة اليه في موقفنا الحالي لاقتحام ما لا يزال يواجهنا من المصاعب والعقبات كما انه ايسر أخطر بنا في الحالة الزاهنة ولا افسد تقضيتنا من بث روح التشاؤم المنبطة للهمم والعزائم الموهنة له جهودات والمساعي

وأى شيء - - هداك الله - - أجب للخسارة والبوار وأدى الى العشل واخيبة من هبوط العزيمة ونبوط الهممة وأى شيء أشد اضاعه للحقوق وفساداً للامور واذهاً للدولة والسلطان وابداء العجد والحسب مما تحدته روح التشاؤم والسخط والضجر في الأمم والشعوب من خور القوى ووهن الارادة الداعيان اليه داء التخاذل والتواكل والفتور والتواني ؟

وعلى العكس من ذلك أى شيء اجلب الالفهم والفائدة وادى الى النجاح والملاح وأجمع اشمل الامور وأحوط للسلطان والدولة واكسب العجد والحسب مما يورثه روح التفاؤل والاستبشار من تنبيه الهمم ونهضة العزائم الداعيان الى التماسر والتضافر ؛ بل أى شيء لا تستطيعه قوة العزيمة وبعد الهممة ؛ ان قوة

العزيمة لتوجد اسكل باب موصل مفتاحا . ولكل شبهة مظلمة  
مصباحا . وتبرز كل شيء في صورة جديدة وشكل مستحدث  
وقد رأينا الرجل القوي العزم المصمم المضاء يستطيع بشكل  
وقفته ازاء الحادث الجلل وبنبرة صوته وسط ملتطم الخطوب  
ومصطدم الكروب . أن يأمر الداهية الدهياء المنهمر سيلها  
المتدفق تيارها . فتجمد وتقف . ويزجر الكارثة النكراء المنتشر  
شرها المتسيطر شررها فتخمد وتكف . وقد جاء في المثل القديم  
« يقال الظنر من يرى نفسه قادراً على نياله »

أولم نر مثل هذا الرجل الماضى العزيمة فى شخص بطل  
النهضة الحالية عبد الخالق ثروت باشا ؛ ألم يقف هذا الرجل العظيم  
فى وجه الحادث الجلل وقفة من يشمر أنه يحمل بين جنبيه من  
روح الله ومدده ما هو أجل من الحادث الجلل ومن رده  
وكفه وقمه .

وحينما رفع ثروت باشا عموته المهيب يؤيد قضية وطنه  
ويطالب برده حقوقه المغتصبة ألم يسمع الملائكة فى نبرات الصوت  
العميق تلك الرنة العاصفة القوية النافذة الى اعماق قلب الاسنيداد  
القارعة حبة فؤاد السطوة والجبروت - ألم يسمع العالم فى نبرات  
ذلك الصوت المرهوب ذاك الدوى القاصف القاهر الغلاب الذى

ترتعد من هوله فرائص الظلم وينزوي من هيئته شبح الباطل  
المتسلط على الامم بسلاح الظالمين والعدوان . ألم يسمع العالم  
في نبرات ذلك الصوت الجدير تلك الرنة المؤثرة العويصة التي اعتاد  
أن يسمعها في صوت الطبيعة التاهر الثغاب على كاية قرعة نسايت  
في صوت الرياح العاصفة والزعماء الفاضحة . والموج الطامح .  
والسجيل الجائح . ألم يلمن هذا الصوت الهول في نفوس الانكليز  
حتى تار له ثائرة ردمت من أجله فيا تهم يوم نفرت أحزابهم  
ووثبت طوائفهم تفروا من عظم ما نادى به ذلك الصوت  
وتستكثر ما طلبه وهه ان تترس . يوم حنيج ربانهم من هول تلك  
الشروط والمطالب وصاحت جرائدك وفضحت كخبر القوم من  
الرضوخ لتلك المطالب وتبان الا في قبوسا . يؤن تهديد عظمة  
الامبراطورية وباطامها واخذاف . ان اناز كيانها ؟

ألم يملأ هذا الصوت دلوب المصريين فرحة بطربا ؟ ألم يستثر  
همهم ويخفر عزائمهم ويفهم صدورهم روح الفبة والتأييد والتشجيع ؟  
ألم يبين ان هذا الصوت مبالغ تأثير روح الرجل العظيم في ارواح  
الملايين من البشر ؟ وقوة سلطان شخصيته على شعورهم ووجدانهم ؟  
ألم يثبت ان هذا الصوت ان الرجل الفرد الذي يستطيع بعصره  
النائب أن يلمح نتائج الشؤرن وعرفاب الامور من وراءه حجب

الغيب ويستطيع أن يتبين اقصد الطارق وأسد المسالك الى تلك  
النتائج والعواقب خلال العقبات والقجم والمآزق - لهو في الحقيقة  
خير من الف رجل بل هو المسيطر والمسير للامم والشعوب  
ممن لا يستطيعون استبانة النتائج والعواقب ولا الاهتداء الى  
ما يؤدى اليها من الاسباب والوسائل ؟

وماذا ترى يكون الاساس الذى يقوم عليه صدق النظر  
ونفاذ البصيرة فى عظماء الرجال أمثال ثروت باشا ؟ هو بلاشك  
رباطة الجأش وهدوء النفس فى الزعازع والزلازل . وذلك ما يؤثر  
عن وزيرنا الجليل ثروت . لقد روى عن اكابر قواد العالم  
أن أحدهم كان يزداد سكينه وهدوءاً كلما ازدادت زوبعة القتال  
من حوله ثورة وهياجاً وأن القائد العظيم « مالبرا » كان ذهنه  
يظل اصفى ما يكون وادق حساباً فى اشد ادوار الموقعة اضطراباً  
وارتبا كما . وان بعضهم كان اذا انهزم جيشه وولى الادبار ووقع  
فيه من المهرج والمرج والتخبط والفوضى ما يعترى الجيوش  
المدبرة ساعة المهزيمة بلغ من صفاء ذهنه فى تلك الساعة العصفوف  
المهزاة ودقة تفكيره وهدوءه باله انه كان يستطيع رد تلك الفلول  
المهزومة وضم شواردها وجمع شتاتها وتنظيم صفوفها والكر بها

في ساحة الوعى على جيش العدو في اتم نظام وادقه فر بما تمكن  
بعد ذلك من القبض على ناصية الحال ثم من هزيمة الاعداء .  
ويروى عن نابليون الأول انه كان آية معجزة في رباطة الجأش  
وفرط الجلد والرزانة وذلك انه خسر الدنيا بمخذا فيرها فلم يابه لذلك  
ولم يبيل وكأنه لم يخسر الا دوراً في لعبة النرد أو الشطرنج .

كل هذه الامثال ضربناها للقراء لنظهر بها فضل تلك الخلة  
العظيمة اعنى رباطة الجأش وهدوء الدماغ في الزوابع والزعازع  
وانها أساس كل نجاح وسبب كل فلاح وأن عليها مدار نهضة  
الامم والشعوب وتشديد مجدها ورفعتهما وانقارن بها ( اعنى بهذه  
الامثال المضروبة ) وافر نصيب ثروت باشا من هذه الخلة المجيدة  
وجسيم حظه منها . ولنبين بها أن شر ماتبتلى به الأمم والافراد  
في أوقاتها العصبية هو فقدان رباطة الجأش وهدوء الدماغ  
الناشئ من خور القوى ووهن العزائم المتسبب عن بث روح  
التشاؤم والسخط والتقنوط في أفراد الشعب وما أصدق ما قاله  
أحد قواد الفرنس في هذا الصدد « اذا فقد الرجل رباطة الجأش  
وتملكه الذعر فغرب عنه عقله - كما هو شأن المذعور -  
أصبح لا يدرى ما يأتي وما يذر . فاذا ما سألت الله شيئاً فسله أن  
يفر عليك عقلك كاملاً . فانه مادام لك ذلك فما من خطر يهددك

أو كرب يحزبك الاكنت بفضل ذهنك جديراً أن تصيب منه  
مخرجاً بوجه ما . فاما اذا استحوذ عليك الروح وذهبت نفسك  
من الجزع شعاعاً فقد كتب لك الفشل والخيبة وسد في وجهك  
باب النجاة والسلامة والفيت البر بجرأً والبحر برأ وحسبت الحبل  
ثعباناً والظفرة طوفاناً

كأن فجاج الأرض وهي عريضة

على الخائف المذعور كفة حابل

يؤتي اليه أن كل ثنية

تيممها ترمى اليه بنايل

واذا بصر بفرد من أعدائه خيل اليه انه يرى خميساً عرمرما  
مثله في ذلك كاسكران ينظر الى الشمعة الواحدة فيخالها  
ألف شمعة .

هذه آفات الخبل الناجم من فقدان هدوء الدماغ ورباطة  
الجأش المتسبب عما يبيته جماعة المتطيرين في بعض طبقات الشعب  
من روح التشاؤم والسخط والقنوط

فإن هذه الحال مما يجب أن يستشعره الشعب الناهض  
للمطاب بحقوقه من روح التفاؤل والاستبشار والابتهاج الموقظ  
للهم والعزائم . الباعث على الخفة والنشاط وبارك الله في المزم

والنشاط . ألم يقل الحكماء ان الدنيا تنساق للنشاط المعترم . والمنجرد  
المصمم ؟ الا ترى أن قوة الارادة ومضاء العزيمة تخاق له عينين  
جديديتين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير وصنوف الذرائع  
والوسائط ما لم يكن يراه من قبل ؟ هلا نظرت الى الرجل المتشائم  
الواهن العزم الفانراهمة كيف يجد نفسه مقروراً ويظاير تعد  
ويرتعش وعليه مثل جلد الفيل وفروة الدب من دافئ الثياب  
والملايس . ثم نظرت الى « الاسكيمو » ساكن القطب - ذلك  
المتفائل المبتهج المالموء مرحاً ونشاطاً كيف يصنع لنفسه ثياباً  
دفة من البرد والبلل والثلج ذاته . افلا تعلم - عامت الخير - ان  
من المصاعب والاختار ذاتها ومن الاهوال والمحن والمصائب  
يعرف الرجل المتفائل المرح العزوم كيف يخلق الاسباب والحيل  
لتذليل هذه المصاعب وازالة هذه الاخطار وابداء تلك المحن  
والمصائب ؟ اليست الطبيعة ذاتها تلقى علينا هذا الدرس حينما  
تراها تحفظ على البحيرات دفأها وحرارتها بتغطيتها بملاءة من  
الثلج وتصنع مثل ذلك باديم الأرض بتفشيته لحافاً من الجايد ؟  
ان المتشائم يسكن الجنة فيصيرها من جراء سخطة وضجره  
وفتور عزمه وقلة حيله جهماً . ويسكن المتفائل النار فيصيرها  
بفضل انشراحه وارتياحه وبحدة نشاطه وقوة عزمته وسعة تدبيره

## وحياته فردوساً

ان الانسان بفطرته متفائل مجبول على الميل الى الاستبشار  
والانشراح والنشاط والعزم . وان هذا التفاؤل هو الذى يجعله  
صالحاً للسكنى هذا الكوكب الأرضى الذى لا يهب الانسان  
شيئاً على لزومه خطية التسخط والضجر وفتور الهمم والعزائم ولا كنه  
يسخو له بكل شىء على التزام سنة التفاؤل والابتهاج وما يورثانه  
من سعة التدبير والحيلة . فابناء البشر باعتبارهم متفائلين نشطين  
ترى كل فرد منهم كأنه مجموعة قوى وجمعية كفاءات - فنذاله  
قضايا مغناطيس فوق كرة من حديد . فكل انسان فى هذا  
الوجود كأنه مبدع ومخترع قد ابخر فى سياحة استكشافية  
يسترشد بخريطة ذهنه الخاصة التى لا يوجد لها نظير مع غيره  
من سائر البشر . وهذا العالم الأرضى يظل فى نظر المتفائل وكله  
ابواب و منافذ ومسالك - وكله فرص ونهزوم غنائم وكله حساس  
وكأن فى كل موضع منه وترا مشدودا يجاوب بالنغمة المدارية كل  
عزفة عازف . وهذه الأرض الصخرية الصلدة هي فى الحقيقة  
جوهر حي حساس يفيض روحا وشعورا يتأثر بكل لمسة  
ويجاوب على كل مسة وجسة . وسواء سبرت غوره بمحراث  
آدم أو سيف قيصر أو قارب كولومبوا أو مرصد غاليلو أو

منطاد زبلين فلا بد أن يجاوبك على كل واحدة من هذه التجارب  
باعظم جواب واروعه .

كذلك جبل ابناء البشر على التفاؤل وعلى أن يستثمروا  
بفضله وبفضل ما يورثه من القوة والمقدرة صخره الأرض الصلدة  
ويسخروا الطبيعة الهائلة في قضاء اوطارهم وما ربهم وعلى أن  
يغتبطوا ويفرحوا برويتهم انتصار الانسان على الطبيعة وسيطرته  
على العناصر وبرويتهم أن كل رجل متفائل سليم الفطرة قوي  
الارادة يظل مصاحبا منظما ويكون كأنه قانون افضى الى تشويش  
وفوضى فاستخلص منه نظاما وصلاحا .

وجبل الناس أيضاً باعتبارهم متفائلين نشطين على الاغتراب  
والفرح باستعراض ثروة الطبيعة العظمى وكنوزها العديدة وبرؤية  
هذه الذخائر الجملة يتناول من كل متفائل مستبشر من سكان هذا  
العالم . ولا جرم فذلك يفجر في قلوب الناس ينابيع الامل ويستحثهم  
الى المباراة والمساجلة في سبيل النشاط والهمة

وعلى ضد ذلك التشاؤم فانه داعية الفتور والتبلد ومجلبة  
العجز والتقاعد . وقدما قيل ان انقباض التشاؤم يفتق الاعين  
ويشل الذهن فهو خليق أن يعد انتحارا تدريجيا

وأخيير - اصلحك الله - في بث روح التشاؤم والاكتئاب

في افراد الشعب وأي بركة في تشويه جمال الحياة في اعينهم وفي  
تغشية ابصارهم ذلك المنظار الأسود الذي يبرز لهم كل شيء في  
رداء قاتم ويكسو عروس الطبيعة الحسناء ثوب حداد . ويحيل  
عرسها الدائم المتجدد مآتما ويرد بشيرها نعيها . ويحدث في السلسل  
الزلال اقداء وفي مذاق الشهد الجنى مرارة وفي انسجام  
النعمة الرخيمة تنافرا وبطلع في وجنة الشمس الصقيلة نكتة  
سوداء ويجرى نجوم السعود بالشؤم ويريك المشتري ضمن كواكب  
النحس !

ولكن الخير كله والنعيم والسعادة في مسذهب التفاؤل  
القائل بأن هذا العالم ملك المؤمن المجتهد وان لكل بغية وسيلة  
ولكل غاية سبيلا وان كل امرئ يحمل في يده مفتاحا لاغلاق  
خزائن الطبيعة ونخا لا احتبال صيدها .

فقل المتشائمين من ابناء هذه الامة وغيرها من شعوب  
العالم - لا تشاؤم ولا اكتئاب ولا تسخط ولا تبرم . فهذا العالم  
الذي تعيشون عليه وتسعون في مناكبه انما هو مصنع هائل  
مفعم بالقوة بافلاكه الدائرة وفصوله وازمانه ومداه وجزره  
ومكينة العالم الضخمة لها ثلثة تملأ الفضاء عرضها السموات والارض  
وهي محكمة البناء دقيقة التركيب لا يعترها الفساد ولا يتطرق

اليها والوهن والخلل - وهي لا تزال تصلح نفسها بنفسها بقدرة  
كامنة في كل ذرة من ذراتها - وهي تصنع كل شيء وتقدر على  
كل شيء - فهذا عنصر الماء اتراه يعجز عن حمل أي ثقل مهما  
عظم؟ وهب ان هناك ثقلاً يعي الماء حمله فهذا البخار امامك  
فجر به أو دعك من هذا وجرب الكهرباء مثلاً . فهل ترى بعد  
ذلك لذخائر الطبيعة نفاداً . وهل حاولت مرة ان تزن بالفناطير  
مقدار ما تسكب الفناذ الصغيرة الجارية في مزرعتك من كميات  
المياه؟ اجل انه لا نفاد لثروة العالم وانه لاشيء في الحقيقة  
عظيم هائل العظم الا كنوز الطبيعة . هذا على ان الطبيعة  
لا تبدي اناسوى قشورها وسطوحها وهي من تحت ذلك بعبدة  
الاعوار يقدر عمقها بجلايين الفراسخ .

الا أن الحزم والحكمة في التفاؤل والانشرائح والتشاؤم  
دليل الحق والجمود . وقد يكرون من السهل على جماعة  
المتشائمين أن يحقروا مذهب التفاؤل واربابه ويأخضوهم بعين  
الازدراء ادعاء للفطنة والكمياسة وتظاهراً بالارباب والدهاء والكنى  
أرى أن آمال المتفائلين المشرقة ومانيمهم البراقة وما يزخره خيالهم  
من قصور الهواء المونقة أحسن الف مرة واعود بالخير والنفع  
واجلب للرخاء والدعة مما لا يزال المتشائم يحفره من جحور السخط

والضجر وسجون الهم والشقاء .

ماذا يستفيد العالم من أوائك المتشائمين الذين لا يبرحون  
يبصرون في كبد السماء فوق رؤوسهم كوكباً أسود يتخلل لألاء  
الغنياء . السحب البهيجة الألوان . وربما احتجب آوأة وراء ما يمر  
دونه من أمواج النور ولكنه لا يابث أن يعرود ظاهراً أقبح  
ما كان وأشد سواداً .

وعلى خلاف ذلك التفاؤل فإنه منبع الحول والقوة والباعث  
المحرض على السعي والعمل . وعندى إن الرجا الذي لا يجعل هم  
تحبيب الحياة والطبيعة إلى الناس بإظهارها لانظارهم في أحسن  
صورة وأجمل مظهر فإن موته خيراً من بقائه . وعلمه أنفع  
من وجوده

التشاؤم مرض والتفاؤل صحة . والصحة شريطة العقل  
رأساس الحكمة . والابتهاج آية ذلك وإمارته . والبر الكريم  
والأريب اللبيب هو من حرك فيك نسيم الأمل وأشعر قلبك  
روح الثقة وبرد اليقين وعمقك من ريق الهم . لامن أذافك مرارة  
الجزع وجرعك غصة الكرب وأشعر فؤادك ذل الخوف  
ومضاضة اليأس .

وانما كان الابتهاج والانشراح وسيلة النجح وسبب الفوز

في هذه الحياة لأنه سنة الطبيعة ومنهجها ويخيل الى أن الفرح  
والسرور هو روح الطبيعة ومنبع حياة الكون واعلك اذا  
استطعت أن تنفذ ببصرك الى صميم قلب الوجود أفيت ذلك  
القلب يدفع لدى كل نبضة من نبضاته تيار السرور الزاخر في كل  
وريد وشريان من اوعية جثمان الكون حتى يبطل نظام الكائنات  
بمخذايره مغموراً بفيوض الفرح وسيول الحبور يدفع بأمواجها  
الطامية ويفرق . فان ترى في نواحي الكون موضعاً مهماخلته  
جديدا الا ما كان في الحقيقة منغماً بالخير والبركة . فأفقر مكان  
يحتوى من الثراء مالا يدكديحصى مقداره . وأجذب محل لا تستنفد  
حاصلاته ولا يفرغ من اجتناء ريعه وثمرته .

وكل صوت من أصوات الطبيعة ينتهى باحن ويختم بنغمة .  
وكل صفحة من صفحاتها تزخر فحافاتها وتدبج حواشيتها الصبغ  
الجميلة والالوان البهجة

لا تعلق على جدارك الصور الكئيبة المحزنة ولا تلوث  
أحاديتك بسواد الشكوى وظلمة التشاؤم . ولا تكثرن من  
الضجيج والالين والتأفف والتلف والتعسر والتضجر . وكن  
على أن تظل صناجة تطرب الملاء بموسيقى الولائم . أحرص منك  
على أن تبث نواحة تبكى الجماهير بمرآثي المآثم . ولا يصدرن عنك

من المقال والفعال الا ماجدد من أمل . أو خفز الى عمل . أو استنهض همة . أو استثار عزيمة .

من كل ما تقدم يستنتج اننا في موقفنا الحالي ازاء ما يعترضنا من العقبات وما يكتنفنا من المصاعب نظل أحوج مانكون الى من يبعث فينا روح التفاؤل ويضئ قلوبنا بشعاع البشر والانشراح ويذكى في صدورنا جذوة الامل ويطلع علينا في أفق السياسة كواكب الرجاء هداية لنا في مسالكها الوعرة ومجاهلها المضلة فيملاً نفوسنا بذلك ثقة وايماناً ويشعرها قوة الثبات وعزة اليقين والاعتماد على النفس والاعتداد بالذات مما ينبه الهمم ويوقظ العزائم ويحفز الى جسيم الاعمال وجيليل المساعي .

أما خلة التشاؤم والنظير فلا أرى لها البتة مسوغاً ولا مبرراً ولا سيما في حالتنا الراهنة التي ليس فيها ما يدعو الى التشاؤم أو يبعث على الخوف والفرع كما بينا وأوضحنا فيما سلف فقد اتضح انه ليس لفريق المعارضة المتشائمة من علة أو حجة على مالا يألون جهدهم في نشره وترويجه من الاشاعات والاراجيف والريب والتهم وسيئات الظنون بالمخلصين الغيورين من جلة رجال هذا البلد وخوله وصفوة ثقاته ودهاته الآفة الغرض والهوى . وقد ما ادرك الناس أن المرء اذا سلم زمام ارادته لقائد الغرض والتي عنان

مشيئته في قبضة الهوى فقد نبذ طاعة الحق وخرج عليه فليس  
تغنى معه حاجة ولا مناظرة ولا يفلح في اقناعه واخامه الحجة  
الناصعة والبرهان القاطع

لذلك تراه اذا اراد نشر اباطيله وترويج اضراليه انصرف  
عن مجالات اهل الرأي والحجى ودوائر ذوى اللب والنهى من  
الماذنى البصر الناقي الفطنة والذكاء الذين يصلون بامضى سلاح  
من المنطق والقياس . ويكشفون دياجير الاشكال والالباس .  
باسطع سراج من الدليل المشرق وابهر نبراس . فتحول عن  
هؤلاء الى جماهير العامة والنساء والصبيان الذين قد يسهل عليه  
اقناعهم لا باساليب المنطق والقياس ولكن بقوة التأثير على  
العواطف والاحساسات ( كما اوضحنا ذلك باسهاب فيما سبق  
من فصول هذا السفر ) بل بقوة التكرار والالاحاح وشدة  
الاصرار والعناد حتى يخبل أذهان من يتسلط عليه من البسطاء  
الذين يصبحون لفرط تأثير هذا التسلط يهتمون عقولهم بل  
يهتمون حواسهم ويغالطون أنفسهم عن الحقائق الناصعة الساطعة  
ويخدعونها عن الشاهد الناطق والواقع الملموس

وهنا يجدر بي أن أورد فكاهاة قصصية أراها أصدق مثل

يضرب لتمثيل هذه الحالة الالمية

جاء في الاساطير القديمة ان برهميا تقياً نذر للالهة نذراً أن يضحى بشاة في يوم محدود ثم خرج في ذلك اليوم ليشتري شاة وفاء بنذره . وكان في جواره ثلاثة رجال قد عرفوا شأن هذا الناسك وما كان قد نذر للالهة فرأوا في ذلك فرصة انتفاع لم يحبوا أن تفلت من أيديهم فانبرى له أحدهم نخاطبه قائلاً « أيها البرهمي اذاهب أنت لا بتبعا لشاة تضحيتها » ؟

قال البرهمي « أي وربى ما خرجت اليوم الا لهذا الغرض »  
فحينذاك فتح الرجل جراباً كان يتأبطه واستخرج منه حيواناً مشوهاً - كلباً ضريباً أعرج . فصاح به البرهمي « ويلك يا خبيث يا من يدنس كفه بلمس المقاذر ولسانه باقتراء الاكاذيب ! أتسمي هذا الكلب النجس شاة ؟ فأجابه الرجل بمنتهى الجرأة والثبات « أي والله ومن اكرم صنوف الغنم - من انعمها صوفاً وأطيبها لحمًا . ايها البرهمي اغتتم ما ساقه اليك الحظ من هذه الهدية النفسية وأسرع بتضحيتها تكسب بها أحسن الاجر والثواب من الالهة » فقال البرهمي « هداانا الله واياك نارجل . لا بد أن يكون أحدنا قد أصيب بالعمى » .

في هذه اللحظة قدم عليهما ثاني الثلاثة المتآمرين فصاح كالفرح الجذلان « لله مزيد الحمد والشكر . هذه شاة من

اكرم الغنم . لقد كفيت مؤونة الذهاب الى السوق ومشقة  
مزاحمة الناس هنالك . بكم تبيع هذه الشاة يا رجل ؟ » فلما سمع  
البرهمي ذلك الكلام أخذ دوار في رأسه وهفا ذهنه على ارجوحة  
الشك يعلو ويهبط ولعبت به موجة قلقة من الخيرة تطفو به  
وترسب . يخاطب القادم الجديد قائلاً مهلاً يا هذا وتدبر ماتقول  
وما تزعج . هذه ليست بشاة ولكن كلباً دنسا مشوهاً فاجاب  
القادم الجديد بقوله « ويمك أيها البرهمي ما أحسبك الاسكران  
أو مجنوناً »

في هذه الآونة دلف اليهم ثالث المتآمرين فقال البرهمي  
« اذن فلنحكّم هذا القادم في الامر . وقد عاهدت الله أن أقبل  
حكمه » فوافق الرجلان على ذلك . ونادى البرهمي الرجل القادم  
« خبرنا يا أخي ما ذا تسمى هذا الحيوان ؟ فأجابه الرجل بقوله  
« أيها البرهمي هذه بلا أدنى شك شاة مليحة » فقال  
البرهمي « لا ريب ان الالهة قد سلبتني حواسي » . ثم اعتذر الى  
صاحب الكاب واستسمحه واشترى منه الحيوان القدر بثمن  
جيد وضجاء للالهة فاستغضبها فرمته بداء خبيث في مفاصله  
هذه فكاهة وادحة الغرض بينة المغزى تشير الى مبلغ  
تسائط ذوى النغيات في كل زمان ومكان على عقول البسطاء بمحض

الكلام والاعراض والمغالطة . واعلمها أصدق مثل ينمت ما نكابه  
الآن من تأثير المعارضة المنشأة على العامة والنساء والصبيان  
وزجهم في متائه التضليل والتغدير بما يروجون بينهم من  
الاشاعات والاراجيف مع شدة ظهور بطالنها وفرط وضوح  
زورها ومنافاتها للواقع المأموس . ولكن ذوى الغايات والاعراض  
ان يمدموا في كل آن ومكان من جمهور الناس من يستطيعون  
خده عن الحقائق المدهشة المحسوسة حتى يحملوه على الاعتقاد  
بعكس ما تعرضه عليه عينه وأذنه وبضد ما يكيفه له ذوقه  
ولسه تكذيبا لوجي شعوره وشاهد حسه . حتى تراه يسمى  
التمر جمرآ . والفجر عصرآ . ويخلف لك أن العسل مر بالرغم من  
حلاوته في فمه . وان الطيب نتنا مع عبق اريجه في شمه وان الغزال  
فيلا على الرغم من غيده وحوره . وان الكلب شاة وان عرف نفسه  
للابله بنباحه وضموره

واكن الحق ابلج والباطل لاج . والا كاذب في هذه  
الحياة محكوم عليها بالفشل في النهاية مهما نجحت مؤقتا وبالكساد  
مهما راجت حيننا . وهي كما نوهنا سابقا مكتوب عليها الحكم  
بالاعدام في صحيفة الاقدار وسجل الازل - مهما تراخت مدتها  
وطال أجلها

وما دامت وزارة ثروت باشا لا تبرح - كما نراها الآن -  
تقدم للامة في كل يوم ويلة دليلا صادقا على تنفيذ خططها  
وبرامجها وعلى المسير بالبلاد نحو بغيتها وغايتها . وما دمنا نرى  
رئيسها الجليل ثروت لا يزال يسوق من ناصع الادلة على شدة  
اخلاصه لوطنه وفرط غيرته على مجده وحسن عطفه على أهليه  
وادمائه السعي الحثيث في تقريبا من أمله وانائه من أمانيه يقطع  
بذلك النهار جهادا . والليل سهادا . - أقول مادمنا نرى بطل  
النهضة الحامية ثروت باشا لا ينفك يزلف الى ابناء وطنه من  
بينات الآيات على بعد همتته ومغضاء عزمته وعظم بطولاته ما يجعله  
خليقا بقول الطائي

كل يوم تبدي صروف الليالي

خاتا من ابى سعيد عجيبا

طاب فيه المديح والتذخى

فاق وصف الديار والتشيبيا

اقول مادامت هذه حال الوزارة الحاضرة من صدق

الاخلاص لاوطن وحرارة الغيرة على مصابحته وشدة التفانى في

سبيل خدمته كما نشهه بذلك الادلة المتواليمة والشواهد المتواترة

المتتالية فلن يب ذلك اليوم الذي تصبح فيه آيات الحق الساطعة

قد محقت أشباح الزهات البسابس . وعقائد اليقين والايان  
قد بددت هو اجس الريب والوساوس . فيهتدي ضلول ويرشد  
غوى ويؤمن مشكك ويدعن مكابر وتنقشع عن أعين غشاواتها  
فتبصر وعن آذان سداداتها فتسمع .

لقد المعنا فيما سبق من فصول هذا السفر أن من أقطع  
الادلة على مضي الوزارة في تنفيذ برنامجها توليها الامر بنفسها في  
حكم البلاد وادارتها بشكل ظاهر مأموس لا يقبل ارتياباً ولا  
تشككاً على الرغم مما لا ننفيك تدعيه المعارضة المتشائمة ( في وجه  
البراهين الساطعة ) من أن الوزارة لم تصنع شيئاً من هذا القبيل  
ولم تزل مسيرة يتصرف فيها الموظفون الأجلز آلة في أيديهم  
يحركونها كما شاؤوا وشاءت أهواؤهم .

تحتج المعارضة على زعمها هذا بحجة واهنة مفندة وهي بقاء  
عدد مذكور من الموظفين الاجانب في الدوائر الاميرية . فهل  
هذا يدل على تحكم العنصر الاجنبي في ارادة الوزراء بسحب السلطة  
من أيديهم واتخاذهم اعباء وآلات لاحول لها ولا قوة ؟ ان الوزارة  
لا ترى من الحكمة ولا من المعقول الاستغناء عن كل موظفيها  
الاجانب في يوم أو بعض يوم . فان هؤلاء الاجانب اطلعا على

أسرار حركة الادارة ووقوفاً على خفاياها ومعرفة عميقة بدقائق تركيب مكيئة الحكومة وتصاريف حركاتها . فمن الخرق والحماسة أن تتخلص الوزارة منهم دفعة واحدة بين عشية وضحاها لما هو محتم أن يسببه مثل هذا التسرع والتهور من اضطراب أسباب الادارة وارتباك دولاب العمل .

وماذا علينا من بقاء أوائلك الموظفين الاجانب مادام ذلك مؤقتاً الى حين ومادام زمام الادارة العامة في قبضة الرؤساء الوطنيين تحت اشرف الوزير الواضع الخطاط والبرامج المنفذ لها المسئول عنها . وماذا يهمنا بقاء هذا العنصر الاجنبي مادام لاحول له ولا قوة ولا يملك ضراً ولا نفعاً وليس له أن يتصرف في الادارة العامة حلاً وعقداً وابطاراً ونقضاً .

وما أحسب أن هناك شيئاً أدل على حقيقة هذه الحال الذي نصفها ونشرحها من ذلك المنشور الذي وزعه وزير المالية على رؤساء المصالح مقررأ فيه مسؤولية الوزارة وتوليها العمل بنفسها بطريقة واضحة لاغبار عليها للشك ولا ظل للشبهة والريبة وهذا نصه

« ان وزير المالية هو الذي يملئ ويراقب السياسة المالية العامة . وهو المسئول نهائياً عن اعمال جميع المصالح التابعة له . لذلك يطلب

الى رؤساء المصالح .

أولاً - أن لا يتخطوا السلطة المخولة لهم الى ما هو من اختصاص الوزير ووكلائه فيما يتعلق بتعهدات تربط الحكومة أو باتخاذ قرارات أو ابداء آراء قاطعة في مسائل خطيرة

ثانياً - أن لا يستعملوا السلطة المخولة لهم ضمن دائرة اختصاصهم فيما قد يكون فيه مساس بالسياسة العامة .

ولما كان يصعب تحديد هذه المسائل بتفاصيلها منذ الآن فإنه يحسن برؤساء المصالح أن يكونوا على اتصال بوزير المالية اما شخصياً واما كتابة ليأخذوا رأيه في المسائل الهامة التي تعرض لهم "

أتريد المعارضة بعد هذا دليلاً على أن الوزارة قد توات الامر بنفسها وقبضت على أزمة الشؤون ودفة الاعمال ؟ أم تطلب المعارضة برهاناً بعد ما عرفه الملاء أجمع من قيام معالي وزير المالية اسماعيل صدفي باشا عقب تأليف الوزارة الحالية بفحص ميزانية هذا العام قبل اصدارها ببضعة أسابيع وبحثها وتمحيصها ودرس أصولها . وفروعها وفصولها . على ضيق وقته وفادح اعباء واجباته الاخرى . مما لم يعهد في وزير مصرى قبله

وعلى هذا النحو يسير سائر الوزراء في وزاراتهم اذ يأخذون

في فحص أعمال تلك الوزارات ودرس شؤون ما يتبعها من المصالح  
بجد وحدوهم لا تعرف الكلل . ولا يعرفها السأم والملل . ليضعوا  
من خطط العمل وبرامجه ما يمكنهم من الاستقلال التام بأعباء  
العمل دون أدنى احتياج الى معونة الموظف الاجنبي مهما علا  
قدره وسمت يرتبته .

أجل لقد سار الوزراء شوطاً بعيداً . وجروا شأواً واسعاً  
مديداً . في تولى الأمور بانفسهم وادارة دواليب الاعمال وتدير  
دفته كل ذميلة وميدانها . ادارة الناعض بالثقل . المستقل بفادح  
العبء والحمل . المتمثل كل ما عسى أن يسوقه اليه عواقب أعماله  
من التبعات والمسؤولية .

وهالنا لا بعان الحق ونعترف بالواقع وذلك أن الشعب عامة  
وموظفي الحكومة الوطنيين خاصة قد أخذوا يشعرون في عهد  
الوزارة الحالية بأن يداً حديدية بياضه كانت تأخذ بمخنقهم قد  
انسحبت من حول أعناقهم ووطأة ثقيلة بأعظمة كانت تضغط على  
متنفسهم قد رفعت عن صدورهم وان كابوساً فادحاً كان يجثم على  
قلوبهم قد رنق جناحيه المظاير ثم حلق . وجذوة حامية كانت  
تأبج فوق الكباد ثم قد خمدت فاطفت . كيف لا وقد كان الموظف  
البريطاني مهما صغر قدره وانحطت رتبته في العهد السالف

المنذر ربما غلب رأيه على رأى الوزير فنفذ برغم ارادة الوزير  
مشيئته . لقد كنا فى ذلك العهد نجزع من امثال هذه البلايا  
ونأسف ونطأطئ ذلة وانكسار افسىغ الشجى . ونغضى على  
القذى . وتتقاب على حجر الغضا . اترانا اليوم لا تزال على  
هذه الحال أم ترانا نتيه ادلالا . ونشمت عزة وجلالا . ونرنح  
الاعطاف فرحا ونتمشى فى الأرض مرحا . وكيف تجوز المقارنة  
بين حال كنا نختنق فيها اختنافا مكبانين بانلال الرق فى أضيق  
مسجون الاستبداد الاجنبى وبين حال اصبحنا نلتق فيها نسيم  
الحرية فى فضاء الاستقلال الرحيب . رأين الضعف من القوة  
والمهانة من العزة والوثبة من الركود . وانهمضة من الجمود .

شمتان ما يومى على كدرهما      و يوم حيان اخى جابر  
فى مجدل شديد بنيانه      بزل همه ظفر الطائر  
لا يجعل الجد الظنون الذى      جذب صوب اللجر الماطر  
مثل الفراقى اذا ما طما      يقذف بالبوسى والمهر

فابال اقوام لا يحمدون الله على هذا الفضل العظيم والمنة  
المضاعفة وما بلهم لا يعترفون بالفضل لذويه ممن ساق الله بواسطتهم  
وعلى أيديهم هذا النور العظيم والنجاح الباهر . أو قد خلت  
قلوب من عواطف الشكر واقفرت نفوس من غريزة الاقرار

بالفضل والاعتراف بالجليل؟ أم هي برودة الحقد والكرامية  
قد جمدت ينابيع الأريحية والشعور في قلوب الناس وعصفت  
الضعينة والبغضاء القارة القارسة قد تلجت انهار الاحساس في  
نفوسهم . فوقف تيارها وانحبس فيضها .

ان أس الفضل والكرم والنبيل والشرف والبر والمروءة في  
هذه الحياة هي شكر النعمة والاعتراف بالجليل وان أصل الرذائل  
ومصدر الخبائث وينبوع المنكرات والمفاسد وعنوان الضعة  
والخسة وشعار اللؤم والنذالة وعلامة الغدر والفجور هو كفران  
النعمة ونكران الجليل . ومن ثم ما نراه يملأ الكتب المقدسة من  
كثرة الحض على شكر الاء الله ونعمائه والنهي عن ججودها  
ونكرانها مع شدة غنائه عز وجل عن ثناء العباد وعدم أذيه  
او تأثره - سبحانه وتعالى - بنكرانهم وججودهم واكنه علم - عز  
شأنه - ان الشكر مصدر الخير كله فحث عليه . وان الكفران  
منبع الشر أجمع فمنه عنه

وقد قال الحكماء : الأصل في الدنيا انها هيكل ومعبد يقوم  
فيه الناس بتقديس شيء واحد ألا وهو « حضرة الرجل الفاضل  
المخلص الهمام » وشكر ما يسدي اليهم من غر آلائه . وجزيل  
نعمائه . اجل ان هذه الدنيا التنطوي على شيء واحد - هو الجدير

بحق أن يسمى الالهى المقدس - اذ هو عنصر كل ظاهرة الهية مقدسة في هذا الوجود - وأنى بذلك الشئ هو ما يشعر به الناس فى أعماق قلوبهم من عاطفة الاجلال والاعظام نحو الابطال الاما جد فى كل زمان ومكان . فهذه الخلة القدسية الالهية هي الدليل الباهر على سرىان روح الله ورضوانه بين ظهرانينا وعلى وجود ما كونه الاعلى فوق اديم هذه الارض المستضعفة المنكوبة .  
خيثما خلت الارض من هذه العاطفة الشريفة والجلال الفضل والسكرم والمروءة فى أهلها من عظماء العالم وأبطاله - فقد احتجب نور الله عن هذه البقعة وقد حيل ما بينها وبين ملكوت السموات وقد حلت عليها نقمة الجبار واعنته . بما قد أقفرت من أس المكارم وينبوع الفضائل . وايتا بقعة من أرض الله كان هذا شأنها وتلك حالها فأى خير فيها وفى أهلها وأى غبطة فى معاشرتهم ومجاورتهم أو ثمرة فى مخالطتهم ومعاملتهم . فقد وجب على البر الكريم أن يغادرها لتوه وساعته واهبا للشيطان الرجيم نصيبه منها ومن أهلها وعليها وعليهم العفاء ما بقوا وما بقيت كذلك !  
جبل الانسان على الطرب الى رؤىة الجمال والجلال حيث كانا . والفرح بمشاهدة الرائع المليم والتلذذ با كبار البارع الفائق - غريزة فى نفوس البشر . بل ان الاعجاب الصادق الحق لجدير أن

يحرر الروح البشرية - ولو برهة - من اغلال سخافات الحياة  
ويصفيهما من شوائب خباياها وذناياها . ولذلك قيل ان الناس يولدن  
من بطون أمهاتهم عبادا - فهم لامندوحة لهم عن العبادة  
حيثما أصابوا الهام موضعاً . ولقد يطبق الانسان أن يعبد الشيء  
الصغير اذا كان حنفاً . فأما الباطل فذلك ما لا يطبق اجلاله وعبادته  
مهما أصم الأذان بطينته الاجوف واستطار الابصار بزبرجه  
المومنين وأى مظر - أصلحك الله - ادعى الرحمة والثناء من  
منظر الجماهير والجماعات يزدحمون لائقاء نظرات الإعجاب والابلال  
الى مواكب الملوك واحتفالات الزعماء وامثال ذلك من مظاهر  
الفخامة المزورة والابيه الكاذبة - وايس في هذه الجماهير  
المحتشدة والجموع المتكاثرة الا من تتوق نفسه الى بذل عراطف  
الاحترام والاعظام واداء فرائض الاجلال والتقديس . ولو كان  
كم منهم يعود ادراجه مطرفاً كشيء يشكو الى الله خيبة أمه  
فيما كان قد حسب وقدر وشدة هبوط ما يبصره من الحقيفة  
دون ما كان قد تخيل ونوهم . « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والارض وايتكون من الوقنين فلما جن عليه الليل  
رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قل لأحب الافين . فلما رأى  
القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال ان لم يهدي ربي لأكونن

من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا كبر  
فاما أفلت قال يا قوم انى برىء مما نشركون .

ان مذهب الناس فى اجلال العظماء لهو فى النواع قطب رحي  
حياتهم و عنصر كيانها و عليه تترتب سائر فروعها و أركانها و على  
حسبه تتكيف جميع فصولها و ادوارها . سواء فى محفلهم العامة  
و سواء مرهم الخاصة . بل مساجدهم و كنائسهم و اسواتهم .  
فايكن مذهبك من اجلان العظماء أن تحرص الحرص كله على  
الاهتداء الى العظيم بحق الصادق البدوثة ذى الفضل الخالص  
لا المزيغ فانك ان اهتمت الى ذلك كان اجلالك حراً صادقة  
فادركت الخير كله و البر بجدانيره و كمال النجاح مسعاك . وان  
كان اجلالك كاذبا حداك الى البطل الكذب فوسعته اكباراً  
واعضاءً أفذهبت مع الشيطان كل مذهب . و ركبت من الضلال  
كل مركب . و استعجبت الانم كاد و الشر أجمع و بهت بالخبيثة  
و الخذلان و الخسارة . الا فويل للناس اذا سميت منهم قلوب  
و بمئات فجازت عليهم أناديع ادعياء البطولة ثم خفيت عليهم مواطن  
العظمة الحقيقية فتمافتوا على مظاهرها الكاذبة ! إذن لساد الباطل  
و فسد العلم الكثير من مصانع هذه الحياة و مرافقها و حل به الدمار  
و التلف و ظلت تعبت به أيدي البلى برأى من الناس من حيث

لا يشعرون بذلك ولا يفتننون اليه . ذلك لان هذه الحياة الدنيا  
انما هي دار جد و اخلاص وليست بأعوبة ولا أخذوة ولكن  
حقيقة من أخطر الحقائق .

قال توماس كارليل : « ان الابطال ما برحوا موضع اجلال  
الناس حتي في هذه العصور الفاسدة الاخيرة . ولعل الانسان لم  
تتحرك في روحه عاطفة هي أطهر وأتقى . وأبر وأتقى . من اجلاله  
لمن هو أعظم منه قدرا . وأجل خطرا . وما أراني مغالياً اذ قلت  
ان هذه العاطفة هي الأثر الفعال في حياة البشر أو انها الأساس  
الذي تقوم عليه الاديان سواء الوثنيات وما هو أرقى وأفضل  
من الديانات الاخرى . فهذه الديانة النصرانية هلى ترونها في  
عنصرها وجوهرها سوى اجلال واعجاب وضراعة وخشوع  
لذات انسانية سامية الهية . ذات أعظم أبعاد العالم قاطبة . ذات  
من لا أسبىه ههنا بلساني بل أترك ذلك الغرض المقدس لتأملات  
الرحمة المقدس !

و اذا انتقلنا من الدين الى غيره من مناحي الحياة وشؤونها  
الفينا في جميعها من آيات احترام الصغير للعظيم والدقيق للجليل  
ومن مظاهر ولاء الوضيع للشريف ما يماثل عقيدة الايمان ومناسك  
العبادة في أمر الدين . وماذا ترى الايمان الدينى سوى عاطفة الاحترام

والولاء لنبي أو قديس . وماذا عسي تكون عاطفة احترام الوضيع  
للشريف وولاء الصغير للكبير - تلك العاطفة التي هي في الحقيقة روح  
المجتمع الانساني وعماده وقوامه الا صنفاً من عبادة الابطال . وعلى  
هذا فعبادة الابطال هي أساس المجتمع وسلك نظام الرتب والدرجات  
في سلم الانسانية - ذلك الاساس الذي يقوم عليه صرح العمران  
وذلك المحور الذي يدور عليه دولاب التعاشر والتعامل - حتى  
ليصح لما أن نسمى مذهب « عبادة الابطال » « هيرواركي » أي  
« حكومة الابطال » - فالعظماء والابطال وذوو الرتب والمقامات  
في الامة يكونون لها بمثابة الاوراق المالية تمثل الذهب وتقوم  
مقامه وان اتفق أحياناً لسوء الحظ أن يجيء الكثير من هذه  
الاوراق المالية مزيفاً مزوراً فنحن قد نحتمل الاوراق المالية  
ونعيش بها وان وجد بينها المزيف المزور . فاما أن يكون كلها  
مزيفاً فذلك مالا يعاق ولا يحتمل ولا يستقيم به عيش ولا حياة  
وإذ ذلك تهيج الفتن وتقوم الثورات ويهيب الناس يصيحون  
« المساواة المساواة ! » إذ تزول ثقتهم في الاوراق المالية السخيفة  
أو الذهب أعني تزول ثقتهم في الابطال فيظنون أن البطل المرتفع  
عن منزلة الاعتياديين من الناس مفقود لا وجود له وان عبادة  
البطل ضرب من الخرافة والخيال والحقيقة ان صنف البطل

وعباد الابطال موجودة في كل زمان ومكان فهي من العناصر  
المكونة منها الانسانية ولن تزول حتى يزول الانسان من  
الوجود .

انقد فشا في هذا العصر الفاسد رأى فاسد - ذلك هو  
انكار وجود الابطال بل كراهية وجودهم . اذا ذكرت المرء  
بطلا من أبطال العالم الذين انقذ الله بهم الدول والعصور  
من وهدة الخراب والدمار أخذوا يعيبونه ويتقصونه وأوسعوه  
ذما وقد حاثم زعموا ان ما يعزى اليه باطلا من البطولة انما هو  
في الحقيقة مستعار مما أحاط به من الظروف الخاصة والاحوال  
النادرة يقولون ، الوقت هو الذي خلق ذلك البطل فهو سليل  
تلك الآونة وابن هاتيك الساعة ولولا ظرفه الخاص اسكان كأي  
امرئ عادي - كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون  
الا كذبا يزعمون أن الوقت هو الذي اعاره ثوب البطولة  
الوهمي وافاض عليه نور العظمة السرابي - وانه في الحقيقة لا بطل  
ولا عظيم . وان كل ما جرى عليه من عظيم المآثر وجليل الفعال  
ليس من صنعه بل من صنع الوقت . فتي كان الوقت هو الذي  
يصنع الخوارق ويأتي بالمعجزات . لقد طالما رأينا الوقت يصيح  
أين البطل العظيم وينادي هل من فتى همام وفارس ضرغام يقيم

اودى ويصلح مفاسدي وينقذني مما أنا منحدر اليه من وهدة  
التلف وهاوية البوار فلا يجد من يجيب دعاءه ويلاي نداءه - ويدور  
بعينه في فضاء الله فلا يري بطلا ولا عظيما  
انى أغمض عيني ثم أفتحها

على كثير ولكن لا أري رجلا

وبعد أن يبيح النداء صوت الوقت ويقطع الدعاء حنجرتة  
تخور قوته وتبيد منته ثم تنهار اركانها ويثقوز بنيانه ويعمه الغماد  
ويشملة التلف والخراب وما ذاك الا لأن البطل لم يدركه في  
ساعة محنته وبلائه ولان العظيم لم يكن اذ ذاك موجوداً ولم تكن  
القدرة الالهية قد خلقتة وأرسلته هدي ورحمة للعالم  
والواقع أن غوائل التلف والفساد ما كانت قط انتصيب  
عصراً من العصور لو أنه أتيح له رجل عظيم يجمع بين العقل  
والعزيمة - بين عقل يعرفه حاجة العصر وعزيمة يستعين بها على  
قضاء هذه الحاجة - فيبلغ بعصره غاية الامل والمنى ويصل به الى  
مدى الفوز والسعادة . فاما العصور الفاسدة الخربة المصابة بداء  
الشك والحيرة والكفر والجحود فهي في مذهبي أشبه شيء  
باكداس الحطب اليابس الميت تنتظر من السماء شهاباً يسقط  
عليها فيذكيها ويشعلها حريقاً وما الرجل العظيم يتاح من جانب

الله مثل هذه الاكداس الذابلة الميئة يحميها ويوقظها الا ذاكم  
الشهاب الساطع - يودى إلى العصر رسالته وينطق كلمته . فاذا  
فيها شفاء الغلة . وبراء العلة . واتحاد الآراء . واتفاق الاهواء .  
وانتماء العقائد والمذاهب . وائتلاف المقاصد والمشارب . فما هو  
الآن يقع ذلكم الشهاب على تلکم الاكداس المبكدة من الحطب  
اليابس الميت حتى يتأجج سعيراً . وبعد ذلك يجيئك الجاهل  
السخيف الغبي الجامد الطبع المظلم الروح الذى لا يفهم معنى العظمة  
ولا يفقه سر البطولة فيهزأ ويسخر من ذلك الشهاب الذى أشعل  
اكداس الحطب الذابلة بشعلة ذكائه الوقاد و جذوة عزمه المتسعر  
فيزعم أن اكوام الحطب الميئة هى التى خلقت ذلك الشهاب  
واوجدته من العدم . ياللسخف وياللعماقة !

الا انما يفهم الفضل ذووه ويفقه المروءة أهلها والبطولة  
سر لا يدركه الامن تعرف معناه فى صميم قلبه وتسمع نجواه فى  
ثنايا ضميره . وقدما قيل : ان البطل لا يمكن أن يكون بطلا فى  
عين خادمه . وليس اللوم فى ذلك على البطل بل الخادم . ولونظر  
الخادم الى البطل بعين تستمد شعاعها من روح بطل اعرف بطولته  
وأسكنه ينظر اليه بروح خادم سوقى عامى من طائفة  
الطغام والغوغاء . ولهؤلاء مذهب آخر فى البطولة يتفق مع

نذلتهم ولؤمهم ودقتهم ومع سفاهم وضعتهم وخستهم - ولهو لاء  
ايضاً ابطالهم وعظماؤهم الذين يأتون من الاعمال والوفائع ما يعجب  
نفوسهم الخبيثة وارواحهم القذرة - فوائك في نظرهم هم الابطال  
والعظماء حتماً ولا بطولة الا بطولتهم . ولا جرم فمن ذا الذي قال  
ان الحشرات تطربها نغمات موسيقى الطبيعة أو يروعها سناهاجة  
الزيرات في ابراجها والكواكب في افلاكها - بل الله وعلماء  
الحشرات اعلم بالذى يطرب تلك المخلوقات من دقيق الأشياء  
وحقيرها مما لا تراه العين الا بالمجهر لفرط ضوئته وخسته  
اما انه ما بلى جيل من الاجيال ولا نكب عصر من  
العصور بأفة هي انكر وانكى . وامر وادهى . من أفة التكذيب  
بعظمة الابطال وجلالهم . والكفر بحسناتهم وآلاتهم  
اما انه ليس شيء أدل على سفالة الافراد والمجاميع ولا اشهد  
على لؤم غرائزهم ودقة اخلاقهم وخسة طباعهم ولا انم على غباوتهم  
وجهالتهم وسخفهم وخرقهم من انكارهم قوة البطل ومقدرته  
واقرارهم للجهاير والجماعات الاعتياديين بالفضل العظيم والعقبرية!  
من كفرهم بالبطل الفذ النادرة وایمانهم بالامامة والدهاء ! من  
عماهم عن نور الله المقدس . عن الشهاب الساطع واعتقادهم في  
اكداس الخطب اليباس الميت !

هذا وایم الله الغفلة التامة والجهل المطبق والخسة والدناءة  
ومنتهى الحقد والبلادة واقصى غاية الكفر والجحود . فهالعلم  
امثال هؤلاء ان الرجل العظيم مازال منذ بدء الخلیقة كوكب  
الهداية فى الظلمات . وزورق النجاة فى الغمرات . وسهم الرشد  
مسددا الى كبدة الغواية . وسيف الحق مجردا على هامته الضلال  
والعمایة . وانه الشهاب الذى لولاه ما شبت النار فى الهیثم ولا  
تأجج الخطب ضراما ؟ أليس البطل هو مصدر النور تنعكس  
اشعته على الاجرام المعتمة . وينبوع الحیاة تفيض انفاسه  
فى الاشباح الخاوية العدمة . وهى تاریخ العالم الاساسية حاقتها  
نوابغه وابطاله ؟

ولا یسعدنا الآن فى مقام وصف الابطال والبطولة الا التنويه  
بذكر بطل من أعظم ابطالنا وزعيم من اكبر رعماء نهضتنا وأمهـر  
قواد حركتنا . ذلك هو دولة الرئيس الجليل حسین رشدى باشا  
وكیف يتصدي امرؤ الکتابة عن ابطال النهضة الحالیة ثم  
لا یدفمه الشعور وانواجب الى وضع صورة هذا البطل العظيم فى  
متحف المجد القومي ونصب تمثاله فى هیكل الوطنیة المقدس أولم  
یکن فى كل شوط من اشواطه الطرف الأغر فى حلبة الجهاد .  
والفارس المعلم فى کتیبة الكفاح والجلاد . أم هناك من یسکر انه

انه ما زال الجوهر الكريمة في قلادة ماثرنا. والدرة اليتيمة  
في تاج مفاخرنا؛

ان اول ما يروع المشاهد المتأمل من منافع رشد باشا  
ومحامده الجمة العديدة هو ذلك الاخلاص الحار والغيرة الملتهمبة -  
ومالى لا أقول ان ذلك البطل العظيم انما هو جذوة حمية متقدمة  
وجمرة ايمان متأججة . أولم نره في مواقفه العديدة في حومة  
النضال عن حتموق وطنه كيف كانت انفته وأبأؤه . وشتمه  
وكبرياؤه . وكيف كانت عواطف الوطنية الحادة اذا ثارت في  
جنانه وجاشت في وجدانه فنأق وهجها في حر وجهه الكريم  
ولمع شعاعها في عينه الصريحة فذف بها منطقه الشريف في وجه  
الخصوم جهاراً كلمات صدق وآيات حق لانسد سبيلها حجب  
المدحاة والمواربة ولا تقوم من دونها حوائى المداواة والمصانعة  
شأن الذى لا حد لصرارته واخلاصه . وقد ما كان الاخلاص  
عنصر البطولة وأساسها . أجل ان الاخلاص الشديد العميق  
هو - كما قال كارايل - « أس فضائل الرجل العظيم . ولا نغنى  
اخلاص من لا يزال بعجز الناس باخلاصه - فان ذلك  
وأيم الله - عيب ومنقصة - وهو اخلاص سطحي حقير وقع

بل غرور وسفاهة . انما الاخلاص اخلاص من كان مثل رشدى  
لا يباهى به ولا يفاخر ولا يكاد يحسه أو يشعر به اذ كان فى نفسه  
فطريا غريزيا فهو معدن روحه وجوهر نفسه

ان ما يبدوا لنا صريحا من فرط اخلاصه وعطفه ورحبه لا بناء  
وطنه وعطفه على امانيتهم وغيرته على مصالحهم هو ذلك الذى  
يدنيه منا ويصل ما بيننا فلو بنا وقلبه الكبير بامتن روابط الحب  
واسلاك كبرياء الشعور المتجاوب والاحساس المتبادل . فعينه نيم  
عن نجوى ضمائرنا ومكتون سرائرنا وفؤاده يخفق على دقات  
أفئدتنا ونبضات قلوبنا والرجل المخلص الفيور يراه الشعب  
فيعرف لا ول وهلة انه فتاه وبالله وبنيته وصالته وما زال الرجل  
العظيم يحقق الظنون ويصيب مكانه ومركزه من زعامة الشعب  
وقيادته - اذ يكون مجرد ظهوره كفيلا أن يفسح له المسكان  
اللائق به ويجذب اليه الانصار والاعوان ويخلق له الاسباب  
والوسائل والمدد والذخائر فهو فى ذلك كالجدول الفيض يخاق  
بذاته لذاته صفاهه الخصبية المريمة المنتجة المثمرة حيثما جرى  
وتسلسل

لقد جاهد رشدى فى سبيل الوطن حق جهاده وأبلى فى  
الدفاع عن القضية أحسن البلاء وكان فى طليعة من عملوا على تحقيق

ما قد تم لنا من الموز والنجاح وحسبه فخاراً انه أهدف صحته  
النفيسة الغالية في سبيل بلاده اسطوة المرض وأبلى في محبة  
وطنه سربال عافيته العزيزة على جميع مواطنيه وان ارتخصها هو  
- سلمه الله وعافاه - وامتهنها في خدمة ممسألهم . وقد ثبت في  
الميدان ثبات الجنداد على رغم ما كان يقاسى من يرحاء العلة .  
شأنه في ذلك شأن الفارس المغوار لا ينميه عن الكفر في حزيمة  
او غي ما قد أصابه من طعنات الأعداء . دأبه ذلك الى أن خرج  
من المعركة أغر أباج وضاء الجبين بحمل علم العزة والنصر وما هو  
أشرف من ذلك وأبلى - أنى جرحه الدامى الأليم !  
حيا الله رشدى باشا !

## الفصل الرابع مناقب ثروت باشا

نقف الآن وجهاً لوجه أمام شخصية من أعظم ما انجبت هذه البلاد من الشخصيات الجليلة نحاول جهد طاقتنا بيان ما اوضحت من آيات القوة والنفوذ ودلائل الفضل والحجى وتحليلها الى ما يكون مجموعها من عناصر الذكاء واللذة . وأسرار النبوغ والعبقرية . هذا ما نزومه الان وما نحاوله وان كان فريق قدرتنا الضئيلة وحوانا الضعيف لأننا نعلم ان البطل لا يزال اغزاً يعي الناس حله وان ما يظن لنا من ما آثره وحسناته ثمار تختفي جذورها في أعماق سر الطبيعة وخفايا مجاهل الابحاث البسيكولوجية . ونعلم أن تهجم الكتاب والنقاد على شخصية الرجل العظيم ابتغاء تعرف اسرارها وتحليلها الى عناصرها يكون في الغالب كتهافت اسراب الفراش على الشهاب المتقد بهر ابصارها ويحير البابها وقصارها بعد ذلك أن ترد عن لهيبه الساطع برؤوس مطرقة . واجنحة محرقة .

ولكننا على الرغم من كل هذا - وبياعث غريزة الاستملاء

الفنى التى تدفع كل فنى الى الجرأة على اعوص مضاب فنه وابعدها  
غورا نحاول الآن ان نجول جولة فى عالم هذا النبوغ العجيب  
ونسبح سبحة فى خضم تلك العقبرية للمهيب . لعلنا أن نعود من  
هذا وذلك بتليل من نفاذسها الجملة و ثروتها الطائفة .

ثروت باشا رجل عظيم قد توافرت فيه شرائط العظمة التى  
اساسها قوة الشخصية المتسلطة على النفوس والاذهان بسنجر  
الجادبية . ومن ثم ما يهد فيه ملل تفوق ملكة البيان و خلاصة  
المنطق فى جميع مراتب الكلام من اسمائها اعنى الخطابة فى الجماهير  
و الخافى الى ادائها اعنى التهامس والمسارة .

لقد عرفنا ثروت فى جميع ادوار حياته منذ كان نائبا عموميا  
وقبل ذلك الى وقتنا هذا الذى يتربع فيه دست الوزارة ويدير  
دفتى الادارة والسياسة - خطيبا محققا ومنطقيا مقفحار ومتكلما  
مؤثرا خلايا . لقد عهدناه فى كل ادواره ساحر البيان يقتاد افكار  
سامعية فيمكنه ذلك من اقتياد اراداتهم حتى يجيب اليهم من  
الاعمال والاعراض ما كانوا يستنكرونه - جهلا منهم بفوائده -  
منذ ساعة فيحماهم على الارتياح الى مزاولته بعد احجام عنه ونفور  
وايس بعسير على من بلغ من سحر البيان والخلابة منزلة الرئيس  
الجميل ثروت باشا أن يلعب بالباب سامعية فيقرع بها أوتار السرور

تارة وأوتار الحزن أخري وآونة يبعث منها رنات الندم والاسف وآونة  
صدحات الجبور والعارب . ومثله قد يران يسأل بقوة بيان سخام  
العدو . ويستأصل جذور الضغائن والاحقاد - تي يترك العدو صديقا  
حليفا . والضد صاحباً أليفا . ويملاً اقلوب اليأسفة رجاء وأملا .  
والنفوس المرحة أنسا وجذلا أولم تحدث خطابه الاخيرة الرنانة  
أمثال هذه الآثار الحسان في نفوس الشعب المصري الكريم يوم  
نزات على القلوب بردا وسلاما ليرددن ما كان لانزال عالقها بنفوس  
الكثيرين من بقايا الريب والظنون والتناق والاشفاق فكان في  
آياتها البليغة جلاء الشبهات وفي حجبها الدامغة زوال الظنون  
وكانت منبذة الهموم والأتراح . دعاة المسار والافراح .

ان مثل الوزير الجليل ثروت إذا اذا قام يخطب أو انبرى  
يتحدث خيال اليك كأنما يعجب ببار روح الزائر في أرواح سامعيه  
فيملك نفوسهم ويستحوذ على ألبابهم ويفتاد أفئدتهم بأعنتها .  
ثم يرى نفسه أحق بالخطابة من سائر المتكلمين لها اذ كان أغزرهم  
مادة وأملاً ثموعاً فينبى لكلام وانها لأجابه وأولى . واذ ذلك  
يصغر بجانب الخطباء ويتغاضون . ثم يذاهم فرط السرور بسماع  
مطربانه عن الاشتغال باساسات الحسد والحقد . وغيرها من  
نزعات الانانية فيرتاح كل سامعيه الى التذاول في حضرةه وبلذ

لهم أن يغمسوا أرواحهم في معين بلاغته الفياضة ويغمروا نفوسهم  
برحيق بيانه المنعش . فمثل هذا الخطيب المصقع والمحدث البارع  
علا الساعا التي يقضها بالخطابة أو بالحديث من بدائع آياته وروائع  
معجزاته بما يجعلها غرة في جبين العصر ويترك غيرها من ساعات  
حياتنا الاعتيادية وكأنها بالنسبة الى تلك الساعا الغنية الفياضة  
ساعات نوم ورقاد . فن ذا الذي يعجب بعد ذلك لفرط ما أوتى  
أمثال ذلك الخطيب من التأخير والنفوذ والسلم ان على  
نفوس البنس ؟

ثروت باشا خطيب عظيم ومن اجل هذا كان بطالا - لأن  
قوة الخطابة نوع من البطولة . ذلك لأن الخطيب العظيم يقف  
من جماهير سامعيه موقف المبارز المناجز المستعد للملاقاة كل قادم  
فهو قد وطن النفس على أن يكون في كمانه الحارة المتألفة . وفي  
عباراته الثرة المتدفقة . ما يقنع جميع سامعيه مها تكثر عددهم  
ويفهمهم وبشفى غليلهم ويكون فيه الجواب المسكت على كل  
ما عساه ان يجيش بصدورهم ويجول في خواطرهم من الشكوك  
والظنون والاسئلة . لذلك ترى مثل هذا الخطيب اذا قام يخطب  
في المحافل وقف وقفه المشمر المنجرد المنحفز بقدم متقدمة الى  
الامام كالذي قدم ان يزحف على تلك الجموع المحتشدة ويفزوم

وتلك هي الحقيقة لأنه يزحف عليهم فعلا بجيوش من افكاره  
اليدعية السامية ويفزوهم بكتائب من آرائه الجديدة المبتكرة .  
لذلك يجب أن تكون خطبته سابقة في منازل الرقي لافكار  
سامعيه ايا كانوا - بل سابقة لافكار جيله ونصره والا كانت  
فضولا وانغوا وهراء . ومن ثم كانت الخطبة الجميلة اجدر أن  
تعد عملا نافذا من ان تعتبر مجرد كلام والفاظ . اذ هي في الواقع  
كهر بجم العمل والحركة . فهي تخطوي على القوة الدافعة الى الاعمال  
- شأنها في ذلك شأن ما يريه قائد الجيش من خرائط المواقع  
والملاحم وما يصدره من أوامر السكر والفر والدفاع والهجوم .  
وكذلك الخطيب إما أن يكون قد جاء لأمر عظيم - ليستنهض  
جواهر سامعيه ويستنفذهم الى استئصال جيوش الاباطيل  
والاضاليل والى افتتاح عوالم جديدة من الآراء والافكار -  
فتكون خطبته مناداة الى الغزو وصيحة الى الجهاد - والافاوي له أن  
يسكت .

- ان ثروت باشا باعتباره خطيبا مفعما ومتكلما خلا باي اثر  
في سامعيه ويقنعهم ويحملهم على اتباع رأيه والأخذ بعبدته وذلك  
بفضل ما يجلو لهم من غوامض الأمر ويحل لهم من مشكلاته  
وباعارته اياهم بصيرته النافذة ورويته الثاقبة ينظرون بها في نواحي

الموضوع وجوانبه ويتغلغلون بمنظارها الكشاف الى خفاياه  
وخباياه فيبدو لهم الأمر على خلاف ما كانوا يعمدون وعلى  
العكس مما كانوا يحسبون فاذا السواد بياض والفساد صلاح  
والتنافر وئام والاعوجاج استقامة والسراة حسنة والياس رجاء،  
فمثل ثروت باشا اذا شاء انماع سامعيه وحملهم على ما يريد رأيته  
ينظر الى الامام ويتعبه بنظره البعيد الى ما سيكون - في حين  
ترى سامعيه قد جاؤود وهم ينظرون الى ما كان من الامر وما  
انقضي اعنى الى الماضى وما قد انقضى من حوائده واحواله .  
فنظروهم بذلك الماضى معتبرد وفيما يخص دورهم ثم كان فصر  
نظروهم وضيقه واحتباسه في دائرة صغيرة محدودة يترددون  
فيها ويتعثرون كالخفافيش في ظلمة الشك والحيرة - وقد يسوا  
من استقامة الأمر وصلاحه - اما هو ( اعنى ثروت باشا ) فغير  
ذلك شأنه وما كان من زمرة الخفافيش حتى يحصر نفسه في  
دائرة الماضى الضيقة وبجس نفسه في ظلمتها ( و ان كان لا ظلمة  
مع شهاب رأيه الساطع ونجم فكره الالامع ) ولكنه - وهو  
ذلك النسر الطامح - يضرب صفحا عن الماضى المنقرض الدائر  
ويستقبل بعينه الثاقبة شمس المستقبل الباهرة فيصفق في شعاعها  
البراق جناحيه الطموحين ويستدر عليهم اقطارات انداء البشارة

من مزنة الامل الصدوق والرجاء المحقق ويستهبط آيات الوحي  
والالهام من آفاق المستقبل المشرفة . وكذلك اذا استدبر القوم  
للمعارضون امرهم وتشبثوا باذيال الماضي واعقابه فاوصدت في  
وجوههم أبواب الاراء واغلقت منافذ الافكار وانحبس عنهم  
فيض الخواطر الا ما يصبوب عليهم من اليم الذكريات مما تكف  
به سحائب الماضي المنقشمة - رأيت ثروت باءاً ذلك الهمام الطامح  
العزيمة والاربيب الثاقب البهر ولروية يضرب صنفجاً عن ذلك  
الماضي ويمد الى معين ذمته الفياض وينبوع قريحته المتدفق  
فيغترف من ثمت . سجل الرأي السديد . والفكر الأنف الجديد .  
ثم يستطلع نجوم فراسته الصادقة فيتدلس في صحفها المشرفة تطوابع  
السعود أو يتسقط من شوابك أفمن شجرتها الذهبية أوراق  
اليمين والبشارة . وحينئذ يقبل على سامية فيباغتهم من سوانح  
الهمام بصيرته وخفارات وحي بديته بما يبدد سحائب شكهم  
وريباتهم وينفر اسراب خوفهم ووحشتهم . وهناك يبصرهم من  
غوامض أسرار الأمر وخفايا: فان الله مالم تكن نظراتهم السطحية  
لتنستطيع من قبل أن تكشف نقابه . وتهتك حجابيه . هنالك  
يفيض اناءه المفعم الملائن في اوعية صدورهم من مادة العلم والعرفان  
ما يبرز لهم الموضوع في مظهر آخر وضياء جديد وشكل مستحدث

حتى تراه يفتن الباهم ويسحر عقولهم ويملؤهم دهشة وعجباً كما لو كانوا زمرة أطفال فينسيهم أفكارهم القديمة في الموضوع ويذهلهم عما كان يخالج نفوسهم فيه من فاسد الاعتبارات والاهام . وكذلك ينتصر عليهم بقوة التكهن والتنبؤ وقد كانوا يحسبون أنه لا يملك من سلاح الافناع الا تكرار البراهين المعروفة المتبذلة والعبارات المرددة والكلام المعاد .

وانى كلما تأملت ماقد أوتي الرئيس الجليل من قوة الخطابة وسحر البيان وخلاصة التأثير تذكرت ماوله توماس كارليل في وصف ذلك العبقري النابذة نادرة زمانه . ومعجزة أو انه . الشاعر الاعظم البريطانى ، « روبرت بارنز » ورأيت أن النقد المتصدي لوصف مايتنازبه الرئيس الجليل من المالكات الببانية والخطابية الرائعة ان يستطيع أن يبالغ غرضه بأحسن من ترديده في الرئيس ماقاله سالفاً توماس كارليل في بطل أمتهم روبرت بارنز

قال ذلك الكاتب الكبير ، كان بارنز آية في خلاصة المنطق وسحر البيان . كان حديثه العادى أبدع من شعره وأقنن من حديث كل من رأيت وسمعت به من سائر الناس .

شرك العقول ونهزة ماملها      المصمئين وعقله المستوفز  
ان طال لم يمل وفي ايجازه      يهوي المحدث انه لم يوجز

كان حديثه كالسلم الموسيقي قد استوعب درجات النغم من أخفت جرس التحية وأرق كلم الملائفة الى أرفع صيحة الغضب وأشد صرخة الوجد . ففيه ضحكة الطرب الجذلان . وزفرة الصب الوهسان . وإيجاز المجتري بأشارته . وأطناب وليم بيت في خطابته .

وقد روت عنه السيدات والاميرات ربات الادب البارع والفضل الرابع . انه كان يزدهين بفقنة حديثه ويستحفظن بخلاصة بياته حتى يكدن يثنن في الهراء ويطنن في الجور . فهذا وايم الله عجيب . وأعجب منه مارواه النقادة الجهد المستر لو كهارت من أن خدام المنادق كانوا اذا رقدوا في مضاجعهم للرقاد ورنقت سنة النعاس في أجفانهم ثم سمعوا سموت الشاعر بارنز يتكلم وثبوا من مراقدم فالمفوا به وكلهم اقبال عليه واصغاء لحديثه . ومالى أعجب من ذلك ؟ اليسوارجالا ينصتون الى رجل ؛ وأعظم مايؤثر عن بارنز مارواه لى شيخ مسن كان من أخص أصدقائه . من أن بارنز مافتح فاه قط الا لى منه حكمة . قال ذلك الشيخ « لقد كان بارنز كثير الصمت فاذا تكلم جلى من غوامض الامر وأنار شبهاته . ولا أدري لماذا يتصدى امرؤ للكلام اذا لم يكن قادراً على هذا . »

إذا فلنا ان ثروت باشا قد حذق فن الخطابة فانما نعني بذلك انه قد استكمل أدوات هذا الفن وملاكاته : أعنى صفاء البصيرة وقوة الذاكرة وحسن البيان . ومثانة الحجبة والبرهان وحدة الخيال - أي القدرة على ابراز افكاره في صور طبيعية ناصعة - ويضاف الى ذلك الارادة النافذة القوية التي اذا تجملت بالثبات والنزاهة كانت جدرة أن تسمى « الخلق العظيم أو العظمة الاخلاقية » وتلك هي التي مرانها الرجولة

لاشك في أن السر في نجاح ثروت باشا كما نأظر وخطيب - يرجع الى قوة أعظم من البراعات اللفظية والمحسن الظاهرية كدمانة الطبع وحلاوة الشيم وورقة الثمائل ، عذوبة المناظر والصوت - يرجع الى قوة خلقية كبرى وملاكمة وجدانية عظيمة - أعنى الاخلاص والايان ورسوخ العقيدة بما يدافع عنه ويحاول اثباته من النظريات والمسائل . فهو يقبض على ناصية نظريته ويعتنيها أشد اعتناق وأحره . والحرارة - نتيجة الاخلاص والايان - هي العامل الأكبر في قوة الخطابة ونجاحها . فإذا أردت أن تفاح في خطابتك فكن كالرئيس الجليل غير متعرض الا لما أنت به عالم وموقن وخبير ، كفيلاً أن تتقبل تبعته ومسئوليته وتقدم عنه أوفى حساب وأدقه . فانما الخطابة والبلاغة أزر تمد الى الحقيقة

الخطيرة الجائلة في وجدانك فترجمها الى افهام سامعيك باقرب لغة  
وأعقبتها بأذهامهم وأوقعها في نفوسهم . ولا مرأه في أن هذه  
القدرة العظيمة - هذه الكيمياء العجيبة التي تستطيع أن تحول  
الحقائق المنقوشة بلغة الخلق على صحف الضمائر المرقومة بالقلم  
العالوى في سجلات السرائر الى حقائق مؤداق بلغة سامعيك من  
إلهامات والافراد لهي أبداع سلاح طبع في مسبك الصانع الاجل  
والصيقر الاعظم

لا نعنى بلغة الخطيب التي ينقل بها افكاره الى اذهان  
سامعيه مجرد ما يفوه به من الالفاظ والعبارات - وهذه أحقر  
وسائل تأديته وأيسر وسائط ابلاغه - وانما نعنى ذلك النيار  
الروحاني المنبعث من ينبوع نفسه والسيال الكهربائي المنبث من  
جهاز أعصابه . وكما ان القائد العظيم يحرز النصر لا بكثرة الوفائع  
والملاحم ولكن بفضل ما يدبره من الخيل والمتاورات فكذلك  
الخطابة والمناظرة هي حرب افكار وارواح . فالالفاظ المنطونة  
هي أضعف عناصر الخطبة وأقل أجزائها وانما الاساسى الجوهرى  
الذى عليه المعتمد والمعول هو موقف الخطيب وما تتم عنه هيئته  
وصوته ونغمته وحركاته وشمائله من قوة رجواته وسهوهته ومن  
انه يحمل بين جنبيه روحاً أجلاً واعظماً من روح الخادب .

هكذا شأن خول الرجال الذين يصلون في ميادين الخطابة  
والمناظرة بقوة شخصيتهم الهائلة ويسيطرون على النفوس بسلطان  
الروح النافذة الباهرة . والطبيعة الغلابة القاهرة . وبهذه وتلك  
محرزون الظفر وينالون الغنيمة . وقد روى عن رويسبير - أحد  
الثلاثة الزعماء المعروفين في عهد الثورة الفرنسية - ان سامعى  
خطابه من الجماهير والجماعات كانوا لا يكادون يفهمون كلماته واكثرهم  
كانوا على الرغم من ذلك يفهمون في خطبه الرنانة ما هو أعظم  
وأخطر من الفاظها وعباراتها - كانوا يفهمون ما ودعت تلك الالفاظ  
من حرارة الوجدان ونازية الشعور والعاطفة - وكانت عدوى  
هذه الحرارة والنازية تنقل اليهم وتسرى في اعصابهم وتشمع في  
جوانحهم وهل يريد الخطيب نتيجة أعظم من هذه أو اثر أشد وأبلغ ؟  
مثل هذا النوع من الكلام والخطابة وان كان اثره  
الفعال مضمونا محتوما قد يكون من الزور والباطل وقد أريد  
به التمويه والتضليل واتخذ سبيلا الى الفساد ومطية الى الشرور  
والرذائل . نقول قد ينجح مثل هذا الكلام الخلاب المؤثر في  
النفوس بسلطان شخصية باهر ذلكمها غير مخصصة - ولكن نجاحه  
لا يكون الامؤقتاً - لان الاكاذيب - والباطيل هي كقلنا غير مرة  
رهينة بالزوال والفناء قد كتب لها الموت وصدر عليها حكم الاعدام

في محكمة الازل مهماطال عمرها وتراخت مدتها . فانت اذا بنيت  
خطابتك على أساس من الباطل وكانت مقدمة قياسك المنطقي  
أكذوبة فبهما استعملت بعد ذلك من خلافة اللسان . وسحر  
البيان . وبهما أثرت في سامعيك بإدارة العاطفة ونارية الوجدان  
وبهرتهم بقوة الروح القاهرة وغابة الشخصية الباهرة فالك ان  
تصنع شيئاً ولن تحدث في عالم الحقيقة أثراً . تكون انما انتهت  
من حيث ابتدأت . وما كان امرؤ قفاً لا يستطيع بأكل عدد  
الفصاحة وأمضى سلاح البلاغة أن يرفع الى ذروة الحق من  
فنون الباطل ما تراه يهبط بعلمه الى الوهدة ويهوى الى  
الخصيض .

أما الفوز الدائم والنجاح النهائي فذلك نصيب البارعين  
المخلصين والحاذقين الصادقين أمثال الرئيس الجليل من جموا  
بين رجاحة العقل ونزاهة النفس — بين حدة الذكاء وشدة النيرة  
والتفحيط — بين الملكات الذهنية والفضائل النمائية — بين سمو  
الفكر والروح معاً . وصفاء الذهن والتدابير جميعاً .

لقد بلغ ثروت في براءة الخلق والبيان منزلة أصبح معها  
مليئاً أن يتتاد أعنة قلوب سامعيه تتدعن نأيه وتمنوه فهو المسيطر  
على نفوسهم المتحكم في عراذلهم ووجدانهم وقدمائيل : ليس

الامير من اابس التاج وجلس على الاربيكة . انما الامير من عرف  
كيف يحكم النفوس ويسيطر على الافئدة . وكأني بالرئيس الجليل  
يستطيع بحدة ذكائه أن ينفذ الى اعماق القلوب عاياً بذات  
الصدور مما اما على مكنوناتها طبياً بادواء النفوس خبيراً بأمرضها  
وعلاها قديراً أن يداوى هذه العالم والادواء بخلاصة القول - لديه  
لكل جرح بلاسم من فتنة اللفظ والكل كلم مرهم من روائع  
الكلم - فنون شتى من البيان . تعالج بها فنون شتى من الآلام  
النفس والجنان . ولا عجب فاقدم يؤثر عن « انتيفنون » اليوناني  
أحد الخطباء العشرة الذين روى « بلوتارك » أنهم أفتاب الخطابة  
في العالم - أنه اشرف في أتيننا اعلاناً عن نفسه قال فيه « انى مستعد  
لتطبيب أمراض الذهن بالكلام ومداداة على النفس بالانفاظ »  
وليس ذلك بمستحيل . وقوة سلطان الكلام معروفة مجربة في  
كل زمان ومكان منذ كان الانسان وآثار الانفاظ في التساط على  
الامزجة والعواطف والاحساسات وفي العقائد والافكار  
والمذاهب وتسكييفها ونشكييفها حسب أميال المتكلم وفي قاب  
كيان الأذهان والنفوس في الافراد والجماعات - بل قلب كيان  
الدول والممالك تعد من قبيل الخوارق والمعجزات . وهـل ترى

— اصلحك الله — مايسمونه الرفي والتعاويذ والنفت في العقد الذي نزلت فيه آية الكتاب الحكيم اذ يقول جبل شأنه « ومن شر النفاثات في العقد » وغير ذلك من ضروب السحر وفنونه — شيئاً سوى الانفاذ والكلمات ؛ وهل رأيت رجلاً بلغ من النعيم أقصاه . ومن الصفاء والرغد منتهاه . فوثق بالخط وأمن من طوارق الحدثان . وأخذ على القدر الميثاق ومن الدهر الأماز الأكان في استطاعتك — الا كنت ممن أوتى سحر البيان أن تبدد ثقته وتذهب طمأنينته وتورثه القاق والاشفاق باللفظة تنبذها في سمنه . والكلمة تلقى في روعه . أفلم يروا لنا التاريخ أمثال هذه الحال عما كان يحدث بين الملوك ووعاظهم من العباد والنسك اذ كان يطلع الناسك على المالك العظيم وهو منغمس في غمار اللذات والملاهي فيرميه بالكلمة من الوعد فاذا هو قد أفاق من غمرته . وهب من رفدته . ثم أطرق فاعتبر . وارعوى فازدجر . ألم نقرأ أمثال هذه الاخبار عن كسرى والسامح وعن النعمان وعدي بن زيد وعن المنصور ومخالد بن صفوان ؛ وعلى العكس من هذه الحال — أي كارثة عظيمة أو فاجعة أليمة تنوب الفتى فلا يكون في مقدرة المنطق الخلاب أن يشرع في تسكين حدتها . وتلطيف سورتها . وقد عرف أفلاطون البلاغة بأنها « فن سياسة العقول

وتدبير حركات النفوس». أليس في استطاعة البلاغة أن تغير في ظرف سويغات ماشيدته الحقب والاجيال من العادات والاخلاق والعقائد؟

وكذلك قد يبلغ من سيطرة الخطيب العظيم مثل ثروت باشا أن يعصبج جمهور السامعين بين يديه كالآلة الموسيقية بين يدي المطرب البارِع - فهو يعزف على أوتار القلوب كما يعزف المطرب على أوتار آتته ويسننير من أفانين الاحساسات والعواطف من جمهوره أمثال مايسننيره المطرب من أفانين الاصوات والالخان من معزفه - فتارة يسكن نائرة غضبهم ويظفيء ييران وجدع ويرد شاردهم وعازب رشدهم بتهديئة خراطيم وطبائنة قلوبهم واخرى يربيع حقيقتهم ويجرد عزيمتهم وهمتهم . يكسبهم آنا وانا يعضكهم . اذا شاء لوى بالطرب أعناقهم . وشق بالفكاهة أشامهم . وان شاء استذاب بالعظات عبراتهم . واستدار بالحكم والامثال زنراتهم . وكذلك تراد يستولى على قلوبهم ويستحوذ على شعورهم ويتملك ارادتهم وهشيتهم فنكون طوع بئانه رهن اتارته فهما أمرهم به ياتمرون ومهما كلفهم يتحملون ويتجشمون ولو كان انتحار النار . وحوض الاحجج والقيار . اولم ياتك نبأ بو نابت حينما ترك منفاه في جزيره « البيا » فافلا الى باريز حتى اذ نزل ارض فرنسا

وسار يؤم العاصمة في نفر قليل من محبيه و بطانته لقيهم جيوش عدوه  
لوزير الثامن عشر الذي كان قد تبوأ الأريكة الفرنسية بعد اعتزال  
نابليون . فما هو إلا أن رأت تلك الجيوش الحرارة شخص  
بونابارت وسمعوا صوته حتى خضعوا له واذعنوا وحيوه تحية  
الأكبار والجلال يدعونه امبراطورهم ومالك رقبهم وارواحهم  
ثم انضموا اليه وانضوا تحت لوائه وساروا في قيادته يؤمون  
باريز واذ ذلك بهت لوزير الثامن عشر وزلزل به وسقط في يديه  
وفر من وجه نابليون « يحتمت أنجى مطاياها من الحرب »  
مثل هذه السيطرة الخطابية والتسلط بقوة البيان على ارواح  
الافراد والجماعات شبيهة بما يؤثر عن ساطان الموسيقى وتأثير  
النغمات وتحكمها في شعور سامعيها وفي عواطفهم واراداتهم كالذي  
يروى عن « اورفيوس » وداوود وغيرهما من نوابغ الموسيقيين  
انهم كانوا يجتذبون اليهم بقوة عجيبة من قبيل قوة الجاذبية الطبيعية  
جميع الكائنات ما بين حي وجماد من انسان وحيوان داجن  
ووحشي ومن سبيع ضار وضيعم فراس وحشرة وهامة ومن شجرة  
ونبات وصخرة وجامود . أو كالذي يروى عن المطرب « ميودون »  
كيف لما حرك برخيم النغم اوتار مزهره في بعض المآتم استطاع  
ان يسحر عقول حملة النعش ويفتن الباهم بقوة تأثيره حتى ذهبوا

عمام فيه وبعرضه من شعائر الجنائز وانبروا يرقصون حول  
نعش الميت .

ان الخطيب البارع والمحدث الرائع لا يحتاج الى جرس  
يلفت اليه الناس وينبهيهم الى مكانه ويشعروهم بنفاسة اقواله - كما  
انه لا يحتاج الى بوليس يقوم بمهمة توقيف الناس حوله وتثبيتهم  
تحت بالقوة الجبرية ومنعهم من الاصراف قبل تمام الحديث أو  
الخاتمة ذلك لأن الحديث العذب والخطاب الشيق يجذب  
بطبيعته الخلائق ويججزم بلا اسطاة نشويقي أو ترغيب . وكأني  
بالوزير الجليل ثروت باشا من ملاك اعنة البيان وفقه اسرار  
الخلافة اذا انبرى يتحدث أو يخطب استدرج الشيوخ من  
مجالسهم والفتيان من ملاهيهم والصبية من ملاعبهم والمرضى من  
مضاجعهم وأئبنهم حوله مغاوير بأوثق قيود من الفتنة والطرب  
فسلبهم ارجلهم حتى لا ينصرفون وسلبهم ذاكرتهم حتى  
لا يتذكرون اهم اشغالهم وافدس واجباتهم فتشغلهم عن كلماته  
وتلهيهم . - وسلبهم عقائدهم حتى يكون ايمانهم باقواله  
خالصا صريحا لا يشوبه رأي مخالف ولا تعارضه افكار منافية أو  
نظريات مضادة .

وقد حدثنا المؤرخ اليوناني العظيم « بلوتارك » قال « لما

سأل ارخيداموس « ملك اسبرطة » ثيوسيد يدس « عن صراعه مع « بيريكليز » ايها كان أشد باساً واصعب مراساواقهر لخصمه وقرنه قال « ثيوسيد يدس » انى كلما صرعت بيريكليز ووسدت جنبه الثرى انكر ذلك وجادل فيه وتمارى واستطاع بخلاجة لسانه ان يحمل الناظرين والشهود على تصديق مزاعمه مروجا لديهم الزور ومحقا الباطل » ولما سمع فيلب ملك مقدونيا وصف احدى خطابات « ديموسطين » وقوة تأثيرها قال « اما والالهة لو كنت شاهده لاستطاع ان يحمنى على اعلان الحرب ضد نفسى وتجريد السلاح لقتلها » . ولما قام الخطيب البريطانى « بيرك » فى البرلمان الانكليزى فلقى خطابه الطنانة فى اتهم « ورين هتستن » حاكم الهند اذ ذاك قال ذلك المتهم مع اعتقاده براءة نفسه من التهمة « لقد بلغ من فرط تأثيرى بكلمات « بيرك » انى لبتت اثناء خطبته اعتقد انه ليس على وجه الأرض آثم اشنع منى جريمة وافظع جنابة . »

لقد رأينا ثروت باشا فى احاديثه وخطبه يجمع الى الخلابات اللفظية المحضة والبراعات البيانية البحتة مزايا اجل من ذلك واشرف اعنى العناصر الروحية والقوى الوجدانية من اخلاص وغيره وصدق ايمان وتضحية . وهذه هي التى تكسب الخطبة

أو الحديث صفة الجزالة والفحولة ومزية الجلال والعظمة  
وتطبعها بطابع المجد والخلود . فاذا خلت الخطبة من هذه  
الصفات العظيمة والميزات الجميلة واقتصرت على الخلابات اللفظية  
والبراعات البيانية كانت فائدتها وقتية وأثرها سريع الزوال وكان  
قصارى فعلها أن تسترق الأذان بحلو اللفظ وعذب الكلام وتلذ  
ملكه التصور والخيال فتكون بمثابة ملهاة ومسلاة ليس  
الآ . فهي وإن أثرت أشد الأثر في وقتها وساعتها فليست تعدو  
كونها خدعة وشعوذة لا يلبث أثرها أن يضمحل فيزول  
فهي أشبه شيء بصوت الآلة الموسيقية تمر في الطرقات والشوارع  
فتحرك خيال المارة وتثير عواطفهم وتتركهم وكأنهم شعراء لحظة  
من الوقت ريثما ترن في أسماعهم نغماتها وإسكنها لا تلبث أن يزول  
أثرها من النفوس متى تحوات إلى الحي المجاور . لذلك أرى أن  
اللسان الطامق الذليق إذا لم يكن من الحدة بحيث لو يوضع على  
الشعر لحلقه . وعلى الصخر لقلقه . ولو لعق النجم لمحاه . أو القمر  
لطواه . لكان أقصى جهده أن يحدث نشوة لا تلبث أن تزول  
وغاية ما يستحقه أن يدرج في عداد المسكرات والمخدرات  
كالأفيون والحرة . ولكن أحسن علاج يتقى به تأثيره سدادات  
القطن تجعل في المسامع أو قطع الشمع التي جاء في أساطير اليونان

ان « يولوسيس » سد بها آذان نوتية سفينته حينما كانت تمر بهم على جزيرة الساحرات اتقاء ما خشيه عليهم من فتنه اصواتهن وسحر الحانهن

هذا النوع من البيان السعاجي هوشيء خلاف ما قد امتاز به ثروت باشا من قوة البلاغة الحرة لصداقة . واني أرى فرق ما بين الصنفين كالذي بين رشاش الفوارة الصناعية الذي لا يكاد يتصاعد حتى يتهاوى ولا تكاد تتألاً على لبات الضحى فلائده . حتى ترفض حبابه وفرائده . وبين البحر الخاضع في دوافق موجه ودوافع لجء . بجيش فيه زواجر عبابه . ونمصف في حجرتيه زماجر عجاجه وصحابه . وبكمن في اعماقه . نفائس اعلاقه . ويستكن في ضميره روائع ودائمه . وبدائع بضائعه . وكذلك شأن الخطيب السامي المدرجة في مراتب البلاغة . وهذه صفات من تسنم ذروة البيان ونزل من الفصاحة في الغارب والسنام وتلك لعمرى مزية نادرة وغاية بعيدة المنال تتقطع من دونها النفاس البراذين ولا يدرك مداها الا الكرام العتاق

وابن اللبون اذا مالز في قرن

لم يستطع صوت البزل القناعيس

وانما نال ثروت باشا هذه الغاية وبلغ هاتيك المرتبة بفضل

ما اجتمع له من خلال قاما اجتمعت الا لواحد في جيل وفرد في أمة - وهذه هي العقل والدهاء والعزم والحزم وقوة الارادة والغيرة والاخلاص والشغف بالحق والهيام بالحقيقة يعزز هذه خلاصة المنطق وحسن البيان ودمانة الطبع ورقة الشامل . هذه الخلال اذا استكملت في رجل تكون فيه من مجموعها تلك القوة العجيبة النادرة المسماة « فتنة الجاذبية الروحية وسحر السيطرة الشخصية » ومن كان هذا شأنه فذاك خليق أن يرجح بسائر أهل جيله وخايق أيضاً أن يتغلب على كل امر وحادث فاذا صادفته المضلات والمشاكل صادفت فيه فكذلك عقدها وحلال الغازها واذا لاقته الحزن والكوارث لاقته فيه فنا كبا وفراسها ويتلقى منه الرجال جامود صدام يصححهم فيسحقهم . ومقذف رجام برسهم فيمحقهم . مثل هذا البطل يكون كقوة الكحل حادثة وكارثة الكحل أزمة وشدة . تأين الرجل الاعتيادي مثلي ومثلك من ذلك البطل في ساعة الروع والخطر وقد حسرت لداعية الدهياء من نقابها . وكشرت المحنة النكراء عن ناهها . قل لي ما ذا تصنع اذا وجدت نفسك وسط زوبعة على كواهل امواج كالجبال في بحر جموح الموج مجنون العباب وحولك اناس قد طاش الذعر بأبوابهم وطار الرعب بقلوبهم - اكنت مطيقاً أن

تسترد عازب ذهنك وتربط نافر جأشك ثم تستلم مقاليد بيانك  
وعنان لسانك فتصرفهما بحزم وحكمة في طمأنة افئدة اولئك  
الجازعين الهالعين وتسكين خاطرهم توسلا الى النجاة من ذلك  
الخطر؟ واذا رمى بك الخطأ السيء في أيدي لصوص أو جمهور  
ثائر أو اغوال من اكلة اللحم الآدمي فإذا تصبغ وكيف تلتمس  
الخروج والمنفذ؟ واذا وقعك القدر في يد فاتك من قطاع الطريق  
فهم أن يسلبك مالك وروحك، فإذا أنت صانع؟ اراك تعرف  
كيف تخرج من هذا المأزق الضنك بفضل قوة الذهن وشدة  
العارضة وذلافة اللسان وخلافة المنطق؟ مثلما كان يفعل رجل  
كعاوية أو ابن العاص أو طاهر بن الحسين أو صلاح الدين أو مثل  
الاسكندر أو يولوس قيصر أو القائد « مابرة » أو البرنس  
دى كوندية أو محمد على أو نابليون؟ (ايس من شأنى ان اتصدى  
لالحاق ثروت باشا بهؤلاء الابطال فان ذلك موكول الى حكم  
التاريخ فى قادم الاجيال وان كان لا يسعنى الا الاعتراف والافرار  
بانى أنس فى شخصية الوزير الجليل عنصراً من تلك الفجولة  
وجذوة من لهيب هاتيك البطولة). لاشك انه متى طاع اللص  
قاطع الطريق على احد من سمينامى اوائك الابطال احس فى الحال  
انه قد لقي من هو اشد منه بأساً وصولة وقال فى نفسه « ان

كنت ربحاً فقد لاقيت اعصاراً» ولا عجب فما اعظم الفرق والتفاوت بين الرجل والرجل في قوة الوجه؛ الست ترى الرجل يتغلب على الآخر بتفوق الاول على الثاني في قوة العين وحدة الاحتفظ فيبهره بذلك حتى يحير دوير بكة. او ما سمعت بالرجل كيف يستطيع برباطة الجأش وجرأة الجنان وبالنفقة بالنفس واستشعار سيما العزة والعظمة - أن يخضع الرجال ذرى المنزلة والمكانة والصلوة والنفوذ والجاه فيقودهم ويسودهم ويرأس ماشاء من الشيع والاحزاب فربما عزل المارك والني الدساتير وقاب الدول والممالك. وانى لا أشك في أن مثل نابليون بونابرت أينما وضعتة وفي أيما زمان أو مكان القيمة فلا بد أن يسود ويقود وينفذ كل ماشاء وأراد. وقد كان يولوس قيصر في أيام صباه وقع في أسر جماعة من القرصان. فاذا كان منه؛ لقد التي بنفسه في سفيتهم ثم ما لبث أن أكد بينه وبينهم أمثن روابط الصحبة والالفة. وكان يحدتهم القصص والنوادر تارة ويأني عليهم الخطاب تارة أخرى. فاذا رآهم لا يملون اعجاباً ولا يصفقون طرباً هددهم بالاعدام شنقاً (وقد نفذ فيهم هذا الوعيد فيما بعد حينما صار قيصراً). ولم تك الا مدة قصيرة حتى أصبح زعيمهم وعميدهم. مثل هذا الرجل معصوم في جميع أوقاته وحالاته من آفة الاضطراب والارتباك والدهش والخيرة.

فهو لا تنفذ من يديه أوراق اللعب الفائزة فاذا التى الورقة فكسب  
« الطابق » لم تستطع أن تقول هذه آخر ورفاته اذ لا يزال لديه  
عتاداً من السلاح وذخيرة من القوة . مثل هذا الرجل يستطيع  
كما قلنا أن يقلب كيان الدولة ثم تصبح أحاديته ضرباً من المعجزات  
والخوارق وأجل معجزاتها أنها تؤثر في سامعيها فتنة و— حراً حتى  
يولونه على مجرد السماع به اعظم الثقة واكملها وبذلك يتأتى له أن يغير  
وجه العالم وحينئذ يكسب في خدمته ويقوم بتريده صدى مساعيه  
الشعر والنثر والتاريخ وتناشأ المذاهب الفلسفية الجديدة لتغليل سبب  
وجوده وحكمة حياته واعماله . ان ميزة هذا الرجل هي تمام مقدرته  
على امتلاك عواطفه ووجداناته . وان كان سر غلبه وسيطرته أدق  
وأعمق من هذا — ذلك هو سر يان قوة الطبيعة بلا عائق وجريانها  
وانطلاقها بلا عقبة او حائل من ذهنه و ارادته الى يديه . فالرجال  
والنساء لعباء والآلة وحيثما وجدوا فتمت له مصدر حيل الى مراميه  
وذرائع الى اغراضه . وما أحسن قول لوتر حيث يقول « انما  
الرجل من اجاد الكلام » . فامثال هذا الرجل كانت ولايات اليونان  
تستهدى وتستورد من ولاية « اسبرطة » (أوفر الولايات  
نصيبياً من الفحول ) حينما كانت تحتاج الى قائد .

وإذا ضربنا صنفجاً عن فحول الرجال من الملوك والقواد وأهل

الحرب والقتال أفينا في ساحات السلام ومناذج الامن والسكينة  
فخولا أيضا لا يقولون عن اوائك جزالة وقوة وسلطانا على الانفس  
وسيطرة على العقول. فهو لاء وان لم يعتلوا مسرح الحرب والسياسة  
أو يتصدروا الزعامة أو قيادة وكانت صناعاتهم عادية ومناهج عيشهم  
سامية مدنية تراهم مع ذلك يؤثرون أينما حلوا تأثير الشعاع المنعش.  
أو الزمهرير المرعش. واذا نطقوا أصيخ لهم وان لم يكن نطقهم  
الاهمسا ونبسا. واذا خطوا قصدوا وسددوا. واذا فعلوا  
أحسنوا وأجادوا. ثم يكون عمالهم قدوة تنتجى ومثالا يحتذى.  
وهؤلاء الفحول يلفون في أخفض منازل المجتمع مثما يلقون في  
أرفعها وأسمها.

فأساس الملكة الخطابية في جميع الحالات وعلى اختلاف  
شؤون أربابها وأعمالهم وحرفهم ومرا كزهم - هو قوة الشخصية  
وشرف النفس وسمو الهمة. ولذلك ترى الامم والشعوب اذا  
احتاجت الى من يمثلها أمام الخصوم ويمثل أمانيتها وأغراضها  
ويطالب برد حقوقها عمدت الى من كان من بين أفرادها أقواهم  
شخصية واطمهم روحا وأجز لهم حظا من صفات الرجولة وخلال  
الفحولة كالخزم والرزانة والحلم والارب والحصافة والجرأة  
والشجاعة مع سمو المركز الاجتماعي - جاعة اهتمامها بهذه المزايا

الاخلاقية النبيلة . والسجايا الرجولية الجليلة . أشد من اهتمامها  
بالكفاءات الفنية كالخبرة القضائية مثلاً أو غزارة العلم بالقانون  
الدولى والتجارى أو التفقه فى العلوم الاقتصادية والسياسية . ثم لى  
النوع الاول من الصفات والمزايا - أعنى صفات الرجولة والإزحولة  
كانت ترمى الامة المصرية - أعنى ذوى الرأى والمكانة واولى  
المنزل والكفاءة والوزن والجاد منها - حينما عمدت الى اختيار  
الرئيس الجليل ثروت باشا ليمثلها لدى الخصوم ويكون النائب  
والوكيل عنها فى المطالبة بحقوقها وتحقيق أمانيتها . وافقد صدق  
ظننا وصحت فراستها وأصبحت محمد مذهبها فى اختيار ذلك  
البطل حينما حقق شطرا أمانيتها وبات ساهر الجفن فانى الضلوع  
متوقدا الاحشاء فى تحقيق سائى من آمالها . فطوبى الامة المصرية  
ومرحى ! لقد علمت وعلم العالم اجمع انها حينما اختارت ثروت باشا  
للدفاع عن قضيتها والمطالبة بحقوقها قد اختارت الرجل الذى اذا ندى  
بالخصوم اسمع . واذا ناظر أفتع . واذا ناصم أضم . واذا ناوأ ارغم .  
من يساجلنى يساجل ماجداً

علاً الدلو الى عقد السكرب

كادوا وكدت فأزهقت مادبروا

احدى هنالك ايما ازهاق

ان السر في نجاح خطة ثروت بفضل قوة تأثيره واقناعه في

خطبه وأحاديثه هو ارتكاز كلامه على أساس الحقائق الثابتة

ولا مرأ في انه ما كان للرئيس الجليل ولا لأى خطيب او مناظر

كائناً من كان أن يبلغ ما يريد من التأثير في معارضيه واقنابهم

بمجرد الملكات الكلامية ما لم تستقر في جوف كلامه حقيقة صلبة

مادية . وقياساً على هذا نقول ان ثروت باشا خطيب عظيم لأنه

يرمي في اثناء خطبه بالحقيقة تلو الحقيقة أو كما يقول أهل المجاز

لأنه يصيب المحز ويطبق المفضل ويقرطس الفرض ويصمى

كبد الحقيقة وله بعد ذلك ما يسمونه ما كة التعميم اى استخلاص

الكليات من الجزئيات والقواعد من المفردات فهو يستنتج اثناء

كلامه المنسجم الفياض القاعدة والقانون ينير به جو المناقشة

ويجلى به ظامة الشك والشبهة في أوجز اختصار واسرع ايماء

كأنه لمحة البرق في غاشيات الضباب

كم حومة للجدال فرجها

والقوم عجم في مثابها خرس -

شك حشاها بخطبة عنن

كأنها منه طعنة خاس

روت باشا هو الرجل الذي يشتمل على الحقائق الخطيرة ويعرف كيف يلقي بها في روع المخاطب ويقذفها في جنانه - يعرف كيف ينقلها الى وجدان المخاطب سواء اشاء المخاطب أم لم يشأ ويحملة على الاقتناع بصحتها والاعتقاد بها بالكره منه وعلى رغم أنفه . وكم من رجل يشتمل من الحقائق الخطيرة على مثل ما يشتمل عليه ثروت باشا ولكنه يعجز عن نقلها الى قلوب معارضيه وعن حملهم على الاعتقاد بها . وانما ميزة الرئيس الجليل انه يعرف كيف يهتدى الى ذلك المسلك السرى والمنفذ الخفي الذي يوصله الى كل قاب مغلق وجنان موصد من افئدة معارضيه ومناوئيه . وكل معارض في حقيقة من الخفائي مكذب بهامغلق دونها باب قلبه مهما حاول الفصحاء والبالغاء ايلاجها في ذهنه واقرارها في ضميره بمختلف اساليب البيان وشتى وسائل الفصاحة - فاعلم انه يوجد في أسرار البلاغة اسلوب اذا وضعت فيه تلك الحقيقة كان كفيلا أن ينفذ بها الى فؤاد ذلك المنكر المكذب مهما تحصن دونها باكتف مجان الجحرد واصفق دروغ المعارضة . نعم قد يتاح لهذا المنكر المعارض ذلك البايغ المقدر فيصبله تلك

الحقيقة المكذبة المرفوضة في قالب عجيب غريب مخالف لآلاف الصيغ والقوالب التي اعتاد ان يسمعها عليها - فيكون لهذا القالب من القوة والنفوذ ما يخترق به حجاب سمعه وقلبه ويفضي الى اعماق جنانه فيضع ثمت تلك الحفيفة ويضرب هناك او تادها وأطنابها فترسو وتستقر على عرش فؤاده عقيدة راسخة مكيمة عظيمة النفوذ والسلمتان . فاذا ارتاح ضميره الى الخضوع لسلبطان هذه الحفيفة سلم وعاش . واذا كره بعد كل ذلك ان يخضع لسلبطانها لم يغنه ذلك ولم ينفقه بن ستره بموت . من دون ذلك كدأ فان حكم هذه الحقيقة بعد تمكنها من عقيدته سيكون نافذاً قاهراً محترماً - فاما ان يخضع لها فتكون حاكمتها ومالكتها . واما ان يأبى الخضوع فيموت بها - داءه القتال ومنيته العاجلة . - فهذا بلا شك ادوع اساليب البلاغة وامضى أسلحتها . والذي يعالج بمنل هذا الاسلوب ويكافح بمنل هذا السلاح لا يملك ان يؤمن بدولة البيان وسلمان البلاغة ويردد قول نبينا عليه السلام « ان من البيان لسحرا »

ولا تنس ما امتاز به اريدمس من حميا الاخلاص ولهيب الحمية الذي هو اصل الحياة ومنبع الروح والنفوة في احاديثه وخطبه

- وهذا مستمد من مصدرين : (١) غيرته ووطنيته الغريزية (٢) الظروف الراهنة الاستثنائية . فان الظروف - كما لا يخفى - تكون أحياناً بمثابة منبع قوة جديد يضاعف ما بالإنسان من قدرة وهمة . ومتى اجتمعت قوة الظروف وكفاءة المرء فذلك اجتماع العقل البشرى والقضاء الالهي . وقد أرى إخلاص ثروت باشا لفرط حميته اشبه شىء بالنشوة قد تملكته شعوره واشتملت على لبه : فهو يكاد يترنح ووطنية ، غيرة . واذا اراد الكلام ازدحمت سيول البلاغة في صدره ثم انطلقت تتدفق دفماً فدفماً . وتراه قد تملكه موضوع الخطابة أو الحديث أعنى موضوع القضية المقدسة تملكاً يترك الافكار والمعاني تنسجم في نظام هو نظام الطبيعة ذاتها - اقوى النظم البيانية وأروع الاساليب التعبيرية وأجل وأعظم من أن يجارى أو يبارى . فلا جرم اذا قلنا ان ثروت باشا اذا خطب فانما الطبيعة تخطب بلسانه . واذا فاضت احاديثه فانما هي الحقيقة تفيض من معيز قلبه ووجدانه . فلاعجب اذا كان تأثيرها فى النفوس تاماً وساطانها على الاذهان والارواح كاملاً شأن الطبيعة فى كل حركاتها وآثارها وعلى اختلاف صورها ومظاهرها . وانى لأرى بعد فى هذا الاخلاص الرائع الشديد وفى عظيم ما ينتج عنه من خطاب الرئيس الجليل وأحاديثه

الباهرة - مصداقاً على تلك الخرافة القديمة وهي « انما يصيب الغرض من السهام ما يغمس أولاً في دم الرامي »  
من حق النظر في احاديث ثروت باشا وفي خطبه وفي خطب واحاديث سائر ائمة الخطابة والمناظرة في العالم امثال ديموسطين واسكينيذ وديماديس وبيريكليس ولوثر وفوكس وشانام وباتريك هنرى وادمز وميرابو وايسوقراطو بيرك وچون بابتست وهرميت بطرس وچون نوكس - وجد أن ما صدق تعريف للخطابة أو الحديث البليغ هو انه « افضل كلام صادر عن افضل روح » وانه « عنوان كل ما يحتوى الذهن من آيات الجلال والجمال » فاذا خرج الخطاب أو الحديث عن كونه مجرد آلة وأداة لتأدية ما يجيش بالصدر من عقائل الافكار وكرائم المعاني وأريد به أن يكون غاية في ذاته وأن يتباهى به ويفتخر كبعض الزخارف والحلى صار أ كذوبة وخدعة .. وليس هكذا حديث ثروت باشا ولا خطابه - وما كانت قط هكذا احاديث الفحول بمن ذكرنا آنفاً ولا خطاباتهم. اجل ليس هذا شأن الفحول في كلامهم وليس بهذا يأمر الاخلاص والصدق والغيرة والايمان والوطنية . وما زال رجال الجد والاخلاص امثال ثروت باشا يؤثرون النرض الشريف والعمل الصالح على مجرد المباهاة برنين

نغمت البلاغة والمفاخرة بطنين مطربات البيان والخطابة - اعنى يؤثرون الجواهر على العرض والروح على الزى والملبس . وتلك شيمة الاخلاص النزاهة .

شتان بين كلام المخلص الجاد الفيور صادراً عن أعمق اعماق نفسه وبين كلام المزخرف المتأنق العابث صادراً عن أغلفة قلبه وقشوره الظاهرية - فهذا الاخير ليس سوى سحابة صيف . وعجالة ضيف . وشيء يولد مع الصباح ويزول وقت الزوال . وشبح يذهب كالظلال . بذهاب الالهواء والاميال . وأما الاول فآية تنقش على صحيفة الزمان . وتبقى على الدهر ماتي الانسان . وتنتج أعظم النتائج من آثار المدنية ومظاهر العمران . وهل هذه المدنية الحاضرة وآتى المدنيات وماضيها وكل مايعمرها سالفاً وحاضراً ومستقبلاً من آثار الانسان في هذه الحياة ومصنوعاته ومبدعاته ومخترعاته من دول وممالك ونظم وديانات وقوانين وشرائع وآداب وأخلاق وعلوم وصناعات وفنون ومعاملات تجارية واقتصادية وسياسية وقصور ومدائن وفلاع وكنائس وهياكل ومتاحف ومقاصف وكل مايقوم عليه صرح هذه الحياة الهائلة من دعائم البقاء وأساطين العمران - وكل مايساعد الانسان الشقي المسكين على تخفيف عبء الحياة وتلطيف آلامها

ومعالجة آفاتهما ومحنهما واساعة جرعتها المضيضة ومضغتها المرة  
وتلين عجالاتها العسرة المستعصية تسهيلات سيرها بقافلة الانسانية  
التعسة في اوعار هذه الحياة الشاقة الالمية الى مثوى الانسان  
الاخير في سكينته القبر وهدوئه - أقول هل ترى كل هذه  
الاشياء المكوف منها صرح المدنية ونظام الحياة الا نتيجة كلمة  
حق تعبر عن فكرة صالحة ؟

أجل ليس ثروت باشا بالعبث في أحاديثه وخطبه يتوخى  
التأثير السطحي في الجماهير بطنين الكلام الاجوف الرنان ويخضع  
العقول بزبرج الكلام وتزاويقه يبتغى بذلك المفاخرة باللسن  
والذلافة . والمباهاة بالحدق واللباقة . ويريف الشهرة والذكر والجاه  
والسلطان - ولكنه رجل الجد والاخلاص والصدق قولاً وعملاً  
كثير الاطراق والتفكير فاذا نطق فاشدت من لب وفضل  
وحكمة . لا يتصدى بالكلام لغرض من الاغراض أو مسألة من  
المسائل الا أنار شبهتها وكشف غامضها واستنار دفينتها وهكذا  
يجب أن يكون الكلام والا فلا . ان ثروت باشا ذلك الرجل  
المحبول بفطرته على الجد والاخلاص والحمية ليرى في قضية البلاد  
المقدسة أمراً جلالاً أعظم من أن يحتمل العبث والتظاهر والمباهاة  
والادلال برنات طنان الكلام وسجعاته . لقد كان الامر عنده

— كما قال توماس كارليل — « أمر حياة أمة أو مملكتها — أمر فلاح أو خسران ومسألة بقاء أو فناء . فلم يك منه ازاء ذلك الا الجدل المر والاخلاص العميق . فأما التلاعب بالكلمات والعبث بالحقائق فليس من شأنه البتة . والعبث والتلاعب في المسائل الحيوية الجلى جريمة من أفظع الجرائم اذ ليس هو الا رقدة القلب وهجعة العين عن الحقائق وتقلب المرء في مظاهر كاذبة خداعة . فمثل هذا الانسان لا يقتصر أمره على كونه أقواله وأعماله كلها أ كاذب بل انه هو نفسه أ كذوبة . فأنت اذا تأملته في صميم كيانه الفيت نور الله — أعني الشرف والمروءة — قد انطأ فيه سراجة . وخبا وقاده ووجهه . فهو على الرغم من ذرابة لسانه وخلابة بيانه . أفك كاذب . اذ لا يزال مثل هذا الرجل سم الحياة وآفة الانسانية . فان غرك برخامة صوته وجرسه . وحلاوة جهره ونبسه . ورفة مسه ولمسه . لم يك في ذلك الا كحامض الكربون تراه على لطف مسراه . ولين مجراه . سما نقيعاً . وموتاً ذريعاً . »

والآن بعد الذى أوردناه من ذلك الفصل المسهب والمطلب المستفيض فى وصف الركن الاول من منقبة ثروت باشا أعني الملكة الخطائية البيانية باصولها وفروعها وعددها وآلاتها ودقائقها وأسرارها ننتقل الى الركن الثانى من صرح أخلافه الوطيد الرفيع

أعنى دمثة الطبع وعدوبة الشئائل .

لقد جاء في حكمة الافدمين انه ان يستطيع مسرة الجلساء  
واطراهم بفنون الاحاديث من كانت روحه خالية من عنصر  
السرور والطرب . فان الحديث المشتمل على تحف المعاني وبدائع  
الافكار اذا صدر عن روح ساخطة أو غضبي أو متضجرة أو  
مشمزة أعنى عن روح متنافرة مع أرواح الجلساء والعشراء كان  
جديراً أن يدهش الازهان ويبهرها ولكنه ليس جديراً أن ينعش  
الارواح ويدخل على النفوس عوامل الانس والصفو والجبور  
نخلة اجتذاب القلوب واستمالة الاهواء محال أن تتوافر لمن كان  
موحش الناحية مقفر الجنب خشن الجانب . فان الازهان خلاف  
الارواح وليس من اللازم المحتوم أن الرجل القادر على النفاذالى  
اذهان الناس بروائع كفه أن يستطيع بهذه الوسطة وحدها أن  
ينفذ أيضاً الى قلوبهم وأرواحهم - إذ كيف يتأتى له ذلك اذا  
كان جامد الروح مظلم الهواء راكد النسيم . والرجل الخالية  
نفسه من عوامل الفرح كيف يستطيع ادخال الفرح على  
نفوس غيره .

ولذا قيل ان فن استمالة الغير بأسباب المسرة انما أساسه  
أن تكون قبل كل شيء مسروراً في أعماق نفسك . ومن ثم

رأينا ان أعظم كتاب الفكاهة في العالم الذين قدموا للعالمين أوفر ذخائر السرور والانس وأشهى الوان الطرب والحبور على مائدة الفنون والآداب - امثال مولير وشاكسبير وسرفانيتس واديسون وجولدسمث وفيلدان وستيرن وديكنز وثكرى ورايليه ومباريشوه وصاحب الف ليلة - كانوا جميعاً من ذوى الطبائع الفرحة الجذلى والامزجة الرطبة الخضلة والصدور المثلوجة القريرة والنفوس الطيبة الراضية المطمئنة المملوءة بروح الصفاء والاستبشار والتفاؤل - على عكس المتشائمين المتبرمين الغاضبين الثائرين من كتاب الفكاهة امنال سويفت وبوب وفولتير وبيرون الذين قد مزجوا مزاحهم بانكر الهجاء والنهك وخلطوا مجونهم بأرض القذع والسخط والنقمة فجاءت مؤلفاتهم ادعى الى الايلام منها الى الاطراب . وادنى الى الايجاع منها الى الاعجاب واجدر بالايحاش منها بالايناس . وانكى شيا من ابرة العقرب في الشعور والاحساس . - ذلك الى الجمل الكثير من آفات تلك الكتب التشاؤمية في المجتمع ومساوىء آثارها في هيكل الانسانية مما يصغر ويضؤل بجانبه ما قد حوت من الفوائد والمنافع حتى ذهب فريق كبير من ادباء العالم وتقاده الى اعتبار مؤلفيها الفحول الفطاحل من ضمن عوامل الفساد ومصادر الشر والبلاء على

العالم فقال لنا الفيلسوف الالماني الطائر الصيدت « فريدريك  
نيتشه » اغلقوا « بيرون » وافتحوا « جيتا » . واصل هذه  
السوآت والآفات في الخالدات العبقريات من تآليف اوائك  
النوابع هو كما اسلفت مرارة السجية وحموضة الطبع وحرافة  
المزاج وما يتبع ذلك من جفوة الروح وقسوة القلب وغلظة الكبد  
وليس ثروت باشا بالجاني النفس ولا القاسي القاب ولا الغليظ  
الكبد ولا هو بالحامض الطباع الحريف المزاج ولا بالموحش  
الجناب المظلم الناحية الراكذ النسماآ . ولكنه مع متانة اخلاقه  
وصرامة عزمه وانه لا يجمد في الحق ولا يتدفق في الباطل - تراه  
ذلك الرجل اللين الجانب الأوس الجناب المشرق الناحية هيناً  
ليناً طلق الجبين براق الاسارير

بشر ابو مروان ان عاسرته عسر وعند يساره ميسور

\*\*\*

وكاسيل ان قاومته انقدت طوعه  
وتقتاده من جانبه فيتبع

\*\*\*

فاذا جالسته صدرته وتنحيت له في الحاشية  
واذا سايرته قدمته وتأخرت مع المستأنيه

وإذا ياسرته صادفته سلس الخلق سليم الناحية  
وإذا عاسرته صادفته شرس الرأي أيبا داهية  
فاحمد الله على صحبته واسأل الرحمن منه العافية

وطبيعة ثروت باشا بدهى الدمثة واللاطف والرقوة والظرف  
وان كان فيه عند مقتضيات الاحوال شدة وصلابة وبأس وصرامة  
له سورة مكتنة في سكينته كما اکتن في الغمد الحسام المهند  
وتلك شيمة الرجل الفاضل في كل زمان ومكان . وتلك  
كانت شيمة أبطال العرب في ذروة عزهم وعلواء مجدهم - قلوب  
تذوب رحمة وعطفاً . في جوانح تلتهب حمية وأنفا . وأرواحاً تندفق  
براً وكرماً . تحت عزمات تنور عزاً وشما . كاليدبوع الثر الغزير .  
العذب النмир . يكتنفه أمنع سور من الصفوان . وأمتن حاجز  
من الجلمد الصوان .

ولا خير في حلم اذا لم تكن له

بوادر تحمي صفوه أن يكدرها

وتلك كانت شيمة فرسان المسيحية في عهد الفروسية الامجد  
الاشرف الذى هو نخر المدينة الغريبة في القرون الوسطى - يوم  
كان ائمة الدين هم أيضاً ائمة الحرب والجهاد . وكان أعلام التقى .  
أعلام الوغى . يوم كان أبطالهم يحملون الانجيل على اسلات

الرماح . ويقرونون السيف الى الصليب في نطاق ووشاح . هنالك كنت ترى أقصى غاية البر والرأفة والحنان . مع أقصى غاية الثبات والشجاعة وقوة الجنان . هنالك كنت ترى التواضع والحياء والخشوع والانكسار . مع البأس والشدة وصولاً العزيز القهار .

خاشع تارة وجبار أخرى فتراه أرضاً وطورا سماءً . وهكذا اذا طلبت منتهى العروة والدماثة والحنان والرحمة وجدتها في الرجل الصارم الشجاع القوي المتين . وكذلك أعذب الماء وأصفاه هو ما صادفته في النقر والاصاب في الصخرة السماء والصفاء الصلدة .

ومن ثم كان ثروت باشا ذلك البطل القوي الأيد الصاب العود والمعجم رجلا سمحاً سجعاً غزير الأنس والحفاوة جم الظرف والفكاهة تكاد ابتسامته تضيء ماحوله بنور البشر والطلاقة ويكاد الهواء يتأرجح بطيب أنفاسه اذ كانت صادرة عن روضة الحسب الأغر . والكرم الاوفر الابر .

ولا شك عندي في أن تلك المادة الغزيرة من الفرح والابتهاج الغريزي في ثروت باشا هي من أعظم أسباب نجاحه في كل ما يحاول من الخلط والتدابير وكل ما يباشر من المعاملات

والمفاوضات . لأن ذلك الفرح والابتهاج يظل له كمنشوة طبيعية تحرك همته وتبعث عزيمته وتترك سيف جده مسلولاً يسرداع ومقتضى وتغنيه عن كل منشط خارجي وحافز صناعي . وأكبر ظنى ان هذا الابتهاج والصفاء الغريزي النفساني في ثروت باشا هو بعض مصادر تلك الجاذبية والخلابة التي استبطاع بها أن يؤثر في كبار رجالات البريطانيين من فاضوه في قضية البلاد المقدسة ويستميلهم الى مذهبه وبقنعهم بصحة رأيه ونسوع حجته . وأراني خليقاً أن أشبهه في ذلك بالقائد الانكليزي العظيم الدوق اوف « مالبره » ذلك البطال التاريخي المشهور الذي بفضل حذقه ولباقته انتصرت انكلترا وحلفاؤها على فرنسا في عهد لويز الرابع عشر يوم كانت فرنسا أقوى دول اوروبا جيوشاً وأمهرها قواداً وأشدّها بأساً ووصولاً وأقهرها سطوة وسلطاناً . لقد كانت جيوش حلفاء بريطانيا اثناء حروبها الطويلة المتوالية مع فرنسا في ذلك العهد عرضة لحوامل النزاع والشقاق لا يزال يقع بينها النفور والمشاحنة فلو كانت استمرت على تلك الحال لما كانت ظفرت من فرنسا بطائل بل كان من المؤكد هزيمتها وانحطارها باسياف تلك الدولة . ولكن القدر الذي اراد غير ذلك جعل من خلافة القائد « مالبره » ومن جاذبيته

ومن رقة شيمته وحلاوة انسه وعذوبة شمائله اباغ وسيلة وأحسن  
واسطة لضم شوارد القلوب بين الحلفاء وتأليف نوافر النفوس  
وجمع بدائد الاهواء والاميال ونظم تلك العناصر المتشاحنة في  
سلك واحد من الوثام والالفة وقياد الجميع بمجمل التوفيق والهداية  
الى غرضهم الاوحد الفرد من تلك الحرب الشعواء - على الرغم  
من متباين مذاهبهم وآرائهم ومما كان متفشيًا بينهم من عوامل  
التحاقد والتحاسد ونزوات التمسف والتهور ونزغات الطيش  
والضلال . فايما بلاط من بلاطات تلك الدول المتحالفة كان يذهب  
اليه القائد المبررة ويغشاه كان لا يلبث بفضل سجاخة خلته وحلاوة  
سجاياه وعذوبة طبعه أن يستميل اهله ويستدرجهم مهما بلغ من  
عنادهم وشكستهم حتى يحاهم على قبول شروطه واتباع رأيه .

لقد امتاز ثروت باشا بنوع من صفاء النفس وهدوء الروح  
وسكينة الجأش لها في نفوس مخاطبيه ومجالسيه من الاثر العميق  
ما يشبه تأثير النغم الرخيم والالخان الشجية ولا عجب فان الصفاء  
والهدوء من النظام وكل نظام فانما يكون نظاماً بفضل ما ينطوى  
في جوفه من الموسيقى الصامت أي من روح الموسيقى او بعبارة  
أخرى كل نظام موسيقي في عنصره وجوهره . فهذا الهدوء  
والسكينة والصفاء في ثروت ناشاتة في مخاطبه ومجالسه

تأثيراً يسببهم من نفوسهم ويحتذبهم اليه بنوع من الكهرباء  
الخفي . فلا جرم اذا قلنا ان مثل هذا الخلاب تكون روحه  
منهلاً للانس ومستراداً للنعيم والمسرة وسنا بشره يفيض على  
جوانب الجو كمثل رونق الضحى . وحديثه ينفث في الهواء  
كأفناس النعامى . تنفح باربع الخزامى .  
أو كالتسيم الغض غب الحيا يخال في أودية الفجر

\*\*\*

واذ ما اشار هبت صبا المسك وخت الايوان من كافور  
هذه السكينة والهدوء والصفاء الغريزية الفطرية (مع حدة  
الذهن الهائلة) هى التي بفضلها بلغ نابليون - أعظم رجل في  
التاريخ الحديث - من ذروة المجد والملاء وقمة الحسب والفخر  
ماراع الملاء وبهر العالم - وهى التي بفضلها أيضاً استطاع ذلك  
الرجل المدهش أن يحتمل ارزاء الدهر ومحن الزمان فى عظمة  
وجلال يشوبهما شيء من اللهو والعبث وأن يستسلم لخسارة  
ملك العالم استسلام من خسر دوراً فى لعبة النرد أو الشطرنج  
وكذلك ترى ثروت باشا على صرامته وبأسه فى مواضع  
الجد والحزم اغرأ بلج بساما وصناع الجبين جم البشر والحفاوة  
عذب الايناس حاو الفكاهة تتالق فى صفحة وجهه الكريم

ابتسامه صادقة من فؤاد صادق— لأن من الابتسامات ماتكون  
كاذبة منبعثة عن فؤاد كاذب كسائر الكاذب صاحبها من أعمال  
وأقوال . وما زال الابتسام الصادق والضحك الخالص الصريح  
ينبعث من القلب الطاهر النقي الرقيق الحاشية . الامين الناحية .  
الغزير مادة الحنان والرحمة . فمثل ذلك الضحك يكون عنوان  
الكرم والخير . وشاهد المروءة والبر . اذا كان كاذب الضحك  
آية الشر والنكر وأمانة الخبث والغدر . وما زال الحر الشريف  
يمزح في الاحايين وبهزل . والبر الكريم يطرب ويجذل .  
وما زلنا نرى الاريب الحصيف يفصل نظام حكمته الثمين بشذور  
الامازيح والفكاهات . ويرصع ديباجة كلامه الجدى الرزين بفصوص  
المعابيات والمداعبات . ومن ثم ما قاله نوماس كارايل في وصف  
افراط الفكاهة والضحك في سيد شعراء العالم قاطبة . « وليم  
شا كسبير » « لا ارى دليلاً أصدق على ما يمتاز به ذلك الشاعر  
الخالد من كرم النفس ورقة الطبع ونقاء الضمير وصفاء السريرة  
من غلواء الضحك وافراط المزاح في رواياته . ألا ترى ان  
مضحكاته تنحط عليك كشأيب الغيث التثر . ودوافع السيل  
الهمر . ألا ترى انه اذا نصب احد أشخاص رواياته غرضاً لمرامى  
المزح والدعابة انبرى مهيل على رأسه ما لا يخص من افانين

الهزل والمجون وينقله من المواقف والاشكال المضحكة فيما فيه  
أقصى عجب العاجبين . وضحك الضاحكين . فيخيل اليك ان  
شاكسبير يضحك من ذلك الشخص الذي هو سليل وهمه وصنع  
خياله ضحكا مفرطا بملء صدره واضلاعه . وهو بعد ضحك  
طيب صالح لا يراد به السخرية من البؤساء والمساكين والضعفاء -  
التي هي الأم انواع الضحك لما تنطوي عليه من السفالة والخبث  
والندالة . وانى أرى ضحك شاكسبير وغيره من ذوي الكرم والبر  
والرأفة ليس من قبيل معمة الحريق تحت القدر - يقهقه لهيبه  
وضرامه والقدر تغلي وتفور . ولكنه ضحك شوب بالرحمة  
والعطف حتى على الاغبياء والادعياء . فشر ذلك الضحك لاشبهه  
إلا بساط نور الشمس على صدر البحر الرحيب . »

وكذلك ثروت باشار حل الجد والحد والقررة والمتانة . والوقار  
والرزانة والعزم والصرامة . لا ينخلو مع ذلك من رقة الظرف  
وحلاوة الايناس وطرف الفكاهة والدعابة . فياله من جوهرة  
كريمة « ابدي الله صفتها . وجلابهاها وهمجتها على حين قد  
افقر العصر من الجواهر النوالى . وصفرت الايدي من كرائم  
اللالى . فبذا تلك من جوهرة جمعت بين الرواق والمتانة .  
والسنا الوهاج والرصانة . كالصخرة لمنطوية على ينباع الكرم

والسخاء . وأشعة الفطنة والذكاء . وجرات العزم والمضاء  
ومن أركان مناقب ثروت أيضاً الثقة بالنفس والاعتزاز  
بالرأي والنفاذ والصرامة . فهو يمضى فى تنفيذ ارادته مضاء النجم  
الثاقب متمملاً مسؤولاً عما له وتبعها مقتحماً ما يعترضه مما  
يراه هو اعتراضاً باطلاً واعتباراً كاذباً . غير مبال بما يسوب إليه  
من سهام الملامم والتنفيذ وقوارص العذل والتقريع اغتباطاً بما  
يعتمد انه سيكون من صالح النتائج ومحمود العواقب . مما يراه  
هو يبصره الناقد ورويته البصيرة وان خفي على غيره من  
الاشخاص المعتادين ممن لم تمنحهم الطبيعة ما ميزته هو به من  
الذكاء والفطنة والدهاء . فلا عجب اذا كان ثروت بشاك غيره  
من الابطال والفحول يتبين فيما يأتى وينذر وفيما يحل ويعقد من  
سر الحكمة ووجه الصواب ما ليس يظهر لسواه من الناس  
اذ كان كل قائد يظل أعرف بخطته من سائر الجنود وأبصر بما  
ينتهج لهم من مناهج السعي والعمل وسبل الغزو والجهاد . فبرنامج  
العمل المرقوم فى ذهنه وخريطة الزحف المرسومة على صفحات  
قلبه إنما يقرؤها ويفهمها هو وحده من دونهم . وهو وحده  
المسؤول عن العاقبة والنتيجة . فلينتقدوا وليعارضوا ماشؤوا فما

اعتراضهم وتقديم إلا سحابة صيف إن تلبث أن تزول متى طلعت  
من وراءها شمس نتائج أعماله مشرقة بلجاء واذ ذاك يعلم اقوام  
أن مذهب الوزير كان الحق الصراح وخطته الصدق المبين وكان  
عمله منزها عن الاغراض والاهواء بريئاً من شوائب الانانية .  
بل هادماً لعوامل الانانية ماحقاً لعناصرها مشبعاً بعواطف  
الوطنية والاخلاص والتضحية .

ونحن اذا آسنا في أخلاق ثروت باشا خلة الثقة بالنفس  
والاعتزاز بالرأى فقد ما آنس الناس ذلك في كل بطل وقائد .  
وهل كان الاعتزاز بالنفس الاشيمة النفس الثائرة على الاكاذيب  
والباطيل المترفعة عن مراعاة الكاذب التقاليد والاصطلاحات .  
واباطيل السنن والاستبارات . الآخذة بالجد والاقدام والاصرار  
والمتابرة بعزيمة لا تهين ولا تكمل . وصريته لا تثلم ولا تفل .  
المستهرثة باكاذيب الاراء والعقائد . فصاحب مثل هذه النفس  
الكبيرة السماء ينطاق الى غاية انطلاق الكوكب المشبوب  
مسترسلا في سننه طرباً على نغمات موسيقى روحه العظيمة الجياشة  
الصداحة ولو ثارت من حوله الزواج . وضجت المعامع . وصخب  
الزعازع . وهبت العواصف . وزجرت القواصف . وكاد الكون  
أن يتحطم فيتهم . هذه وايدك البطولة في انصع مجالها . وابعده

مرامياها . وهى وان راعت بعض القوم واخافهم - لعجزهم عن  
سبر أغوارها . وادراك أسرارها . - فالواجب على الجميع أن  
يوقوها حقها من الاجلال والا كبار . اذا كانت قد حفت  
من شواهد الجلال وآيات السمو والمظمة بما ينبغي أن يشير عواطف  
الاعجاب والا كبار فى نفس كل شريف بل فى نفس كل من عاق  
بنفسه أدنى أثر من عناصر الشرف والكرم والمروءة - فيملؤه  
عجباً وطرباً من جلال أعمال ذلك البطل ( وان قصر ذهنه عن  
تمام إدراكها ) ثم ياهمه شيئاً من الصبر والتأنى انتظاراً وتروياً لما  
سيكون من نتائج فعاله وعواقب أعماله . - وحسبه أثناء ذلك  
أن يحمل نفسه على الاعتقاد بأن أعمال مثل هذا الرجل القوى  
انما هي أفعال المولى جل شأنه يأتها على يد عبد من عاده . فقبيح  
بأي مخلوق أن يتسرع إليها باللوم والظعن والهجاء وذم أن  
يعجل الى منفذها بالشر والشغب والمناوأة أو يعترضه فى سبيله  
الخشن الصعب بالعرفلة والتعطيل والمقاومة - فحسبه بخشونة مر كبه  
ووعورة مسلكه . وإنه يبيت ساهر العين من أجل عيون مراء  
أجفانها الرقاد . وينصب متعب الجسد من أجل أحساد . تنقلب  
على الين مهاد . ويتجرع غصص الالم . فى سبيل أقوام برشفون  
أقداح المسرات والنعم . ويختلط أشواق المفض من شجر الكد

والعناء . لمصاحبة من يقضون ثمار الراحة من أفنان الدعة والصفاء .  
ان الرجل العظيم يعمل عمله مدفوعاً اليه بدافع وجداني  
مستسر في خفايا نفسه العميقة العظيمة - فحكمة هذا الدافع  
الوجداني لا يمكن أن تكون بادية لعيون العامة والجاهلير مثلما  
تبدو وتظهر لصاحبه - بدليل ان كل امرئ يكون أعرف بسريرة  
وجدانه من غيره ويكون أبعد نظراً وأقصى مربي فيما يتعلق  
بمذهبه الخاص به دون غيره وبخطته التي هو اتهمها دون سواه .  
ولكننا نرى الذين لا يريدون أن يعترفوا للرجل العظيم  
بشرف مسعاه . وسمو غايته ومرماه - إما تقصر عن إدراك  
مراميه أو لآفة في نفوسهم - ينكرون عليه بعد همته وحسن  
نيتته . فيتهمونه بالسعي وراء حاجة في نفسه وبغية شخصية أنانية .  
ومن ثم يحكمون عليه بما لا يليق أن ينسب الى الفحول والابطال .  
أمثال هؤلاء الظالمين الجائرين لا يرون في أبطال العالم الذين هم بناءة  
مافي العالم من مجد وعظمة ومشيدو ما فيه من صروح الحضارة  
والمدينة العالية - والذين هم في الحقيقة اعلام التاريخ وفرائد عقده  
النظيم المؤلفة منهم سلسلة المدنيات الذهبية - الا اشراً آثمين  
لا فضل لهم ولا خير فيهم . وانهم لم يأتوا من أعمالهم العظام ما أتوا  
الا ارضاء لشهوات أنانية واشباعاً لمطامع شخصية . والواقع ان

اولئك الافا كين المعتمدين بالكذب والزور على مقامات العظماء في كل زمان ومكان هم الجناة الآثمون الذين لم يسلم من السنهم بطل ما أيا كان في حاضر الزمن وغابره فهم زعموا أن الاسكندر الاكبر كان مجنوناً مصاباً بجنون الغزو والفتح بعلة انه دوخ بلاد اليونان . واصتقاع آسيا - وزعموا أن حب الشهرة والولوع بالصيت كان باعته الوحيد على فتوحاته العظيمة بدليل ان هذه الفتوحات قد ادت في النهاية الى الصيت والشهرة . ومثل هذا قوله اولئك الافا كون عن يولوس قيصر وهانibal والسفاح وتيمور لئك ومحمد الفاتح وشارلمان وشارل الثاني عشر ملك السويد ( الذين سموه « مجنون الشمال - اشارة الى موقع مملكته من انحاء المعمور ) ونابليون بونابرت وكذلك خيل اليهم انهم قد استطاعوا أن يثبتوا الجنون على ائمة العالم وقادته وأقطابه . وكأني بهم قد استنتجوا من ذلك ( وان لم يصرحوا بهذا الاستنتاج ) انهم هم الاكبر والفحول والعظماء - لانابليون ولا محمد الفاتح ولا عمرو ولا أمناهم - وأنهم هم أجل وأعظم من هؤلاء الاعلام والاقطاب بدليل أنهم لم يغزوا آسيا كالاسكندر ولم يفتحوا روما كهانيبال ولم يدوخوا اوربا كما فعل نابليون وانما حصروا كل مجهودهم وهمتهم في أن يأكلوا ويشربوا ويتركوا غيرهم يأكل ويشرب وبذلك عاشوا وماتوا سالمين مسالماً

منهم آمنين مأمونا من شرهم  
فهؤلاء النقاد الاصاغر أشبه شيء بالبعوض الذى يحاول أن  
يلدغ بأبرته الضئيلة الواهية للمناكب العراض والاعناق الضخمة  
من أسود المجتمع وضياعه فتكلى ابرتهم وتبرى دون أن تنال  
تلك الليوث بأذنى ضائر. أو هم كما قال الاعشى

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
هذا البعوض النقاد مازال يظهر فى العالم منذ كان العالم لم  
يخل منه عصر من العصور ولا مصر من الامصار. فنحن نتلو  
نباه فى اليازة هو ميروس تحت اسم « ترسيثيس » ذلك المخلوق  
الحقير الذى لم يكن له هم ولا دأب الا سب الامراء والملوك -  
فيكن جزاؤه على الدوام الضرب بالعصى والجلد بالسياط. وأشد  
عذاباً عليه من ذلك شوكة الحسد المضيض وابرة الحقد الأليم  
التي قضى عليه أن لا يزال يحملها فى جلده. وجمرة الغيظ والحقد  
التي قيض له أن لا تنفك مدفونة فى صميم كبده. وحسبه فشلا  
وخيبة مع كل ذلك أن تصبح آراؤه الوجيزة الرشيدة. وانتقاداته  
السليمة السديدة - يوماً ما ان عاجلا أو آجلا - قد ذهبت به -  
كل مجهوداته الجسيمة ومحاولاته العظيمة هباء منثورا. « وقل جاء  
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا : »

\* \* \*

والآن بعد ما اجلت قامى الضعيف جولة فى هذا الميدان  
الفسيح - مجال البطولة والفجولة - وسمته خوضة فى ذلك الخضم  
العميق - عباب العظمة والهمة والرجولة - التي به فى اكناف  
الراحة نضواً متعباً حسيراً من طول ما اصطك أثناء جولاته  
بهضاب تلك العبقرية الباذخة . وجبال تلك البطولة الشاخمة .  
وأطرح صحيفتى فى يم التأليف ذلك الهاج المائج النائر المضطرب  
لتلقى نصيبها من الطفو أو الرسوب . وجزاءها من العطب أو  
السلامة .

اقد أمضيت برهة على هضاب جبل « أوليب » مجال  
الابطال وملعب الالهة ( فى أساطير اليونان ) أتأمل روائع آياتها  
وبدائع معجزاتها . حتى أفعم قلبي جلالاً وجمالاً . وبهرني ذلك  
المشهد المهيب فأنحدرت نازلاً وأنا أسبح بحمد الله عجباً وطرباً واحمد  
الصانع البديع الذى يابى كرمه وفضله أن يترك مقابح هذه الحياة  
وشوهاتها فى أى عصر وبقعة خالية من محاسن الرجولة . مقفرة  
من مفاخر العظمة والبطولة .



# مشروع ملنر مذكرة

١ - لكي يبني استقلال مصر على أساس متين دائم يلزم تحديد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تحديداً دقيقاً ويجب تعديل ما تمتع به الدول ذوات الامتيازات في مصر من المزايا وأحوال الاعفاء وجعلها أقل ضرراً بمصالح البلاد

٢ - ولا يمكن تحقيق هذين الغرضين بغير مفاوضات جديدة تحصل للغرض الاول بين ممثلين معتمدين من الحكومة البريطانية وآخرين معتمدين من الحكومة المصرية ومفاوضات تحصل للغرض الثاني بين الحكومة البريطانية وحكومات الدول ذوات الامتيازات وجميع هذه المفاوضات ترمي الى الوصول الى اتفاقات معينة على القواعد الآتية :-

٣ - اولاً - تعقد معاهدة بين مصر وبريطانيا العظمى تعترف بريطانيا العظمى بموجبها باستقلال مصر كدولة ملكية دستورية ذات هيئات نيابية وتمنح مصر بريطانيا العظمى الحقوق التي تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ولتمكينها من تقديم الضمانات التي يجب أن تعطى للدول الاجنبية لتحقيق تحلى تلك الدول عن تلك الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات

ثانياً - تبرم بموجب هذه المعاهدة نفسها مخالفة بين بريطانيا العظمى

ومصر تتعهد بمقتضاها بريطانيا العظمى أن تمضد مصر في الدفاع عن سلامة أرضها وتتعهد مصر أنها في حالة الحرب حتى ولو لم يكن هناك مساس بسلامة أرضها تقدم داخل حدود بلادها كل المساعدة التي في وسعها الى بريطانيا العظمى ومن ضمنها استعمال ما لها من الموانئ وميادين الطيران ووسائل المواصلات للاغراض الحربية .

٤ - تشمل هذه المعاهدة احكاما للاغراض الآتية :-

اولاً - تتمتع مصر بحق التمثيل في البلاد الاجنبية وعند عدم وجود ممثل مصري معتمد من حكومته تعهد الحكومة المصرية بمصالحها الى الممثل البريطاني وتتعهد مصر بان لا تنخذ في البلاد الاجنبية خطة لا تتفق مع المحالفة أو توجد صعوبات لبريطانيا العظمى وتتعهد كذلك بان لا تعقد مع دولة اجنبية أي اتفاق ضار بالمصالح البريطانية .

ثانياً - تمنح مصر بريطانيا العظمى حق ابقاء قوة عسكرية في الاراضي المصرية لحماية مواصلاتها الامبراطورية وتعين المعاهدة المكان الذي تعسكر فيه هذه القوة وتسوي ما استتبعه من المسائل التي تحتاج الى التسوية ولا يعتبر وجود هذه القوة بأي وجه من الوجوه احتلالاً عسكرياً للبلاد كما انه لا يمس حقوق حكومة مصر .

ثالثاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية مستشاراً يعهد اليه في الوقت عينه بالاختصاصات التي لصندوق الدين الآن ويكون تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في جميع المسائل الاخرى التي قد ترغب في استشارته فيها .

رابعاً - تعين مصر بالاتفاق مع الحكومة البريطانية موظفاً في وزارة الحفانية يتمتع بحق الدخول على الوزير ويجب احاطته علماً على

الدوام بجميع المسائل المتعلقة بإدارة القضاء فيما له مساس بالأجانب ويكون أيضاً تحت تصرف الحكومة المصرية لاستشارته في أي أمر مرتبط بحفظ الأمن العام

خامساً - نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الآن الحكومات الأجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات إلى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثليها في مصر ليمنع أن يطبق على الأجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الأجنبية وتمتع بريطانيا العظمى من جانبها أن لا تستعمل هذا الحق الا حيث يكون مفعول القانون جائراً على الأجانب .  
صيغة أخرى لهذه المادة

نظراً لما في النية من نقل الحقوق التي تستعملها الآن الحكومات الأجنبية المختلفة بموجب نظام الامتيازات إلى الحكومة البريطانية تعترف مصر بحق بريطانيا العظمى في التداخل بواسطة ممثليها ليمنع أن ينفذ على الأجانب أي قانون مصري يستدعي الآن موافقة الدول الأجنبية وتمتع بريطانيا العظمى من جانبها بأن لا تستعمل هذا الحق الا في حالة القوانين التي تتضمن تمييزاً جائراً على الأجانب في مادة فرض الضرائب اولا توافق مبادئ التشريع المشتركة بين جميع الدول ذوات الامتيازات .

سادساً - نظراً للعلاقات الخاصة التي تنشأ عن المحالمة بين بريطانيا العظمى ومصر يمنح الممثل البريطاني مركزاً استثنائياً في مصر ويحول حق التقدم على جميع الممثلين الآخرين .

سابعاً - الضباط والموظفون الاداريون من بريطانيين وغيرهم

من الاجانب الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انتهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية في أي وقت خلال سنتين بمد العمل بالمعاهدة وتحدد المعاهدة المعاش أو التعويض الذي يمنح للموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة عما هو مخول لهم بمقتضى القانون الحالي .

وفي حالة عدم استعمال الحق المخول بهذا الاتفاق تبقى احكام التوظيف الحالية بغير مساس .

٥٠- تعرض هذه المعاهدة على جمعية تنظيم ولكن لا يعمل بها الا بعد انفاذ الاتفاقات بين الدول الأجنبية على ابطال محاكمها القنصلية وانفاذ الأوامر العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة .

٦- يعهد الى جمعية التنظيم وضع قانون نظامى جديد تسير حكومة مصر فى المستقبل بمقتضى أحكامه ويتضمن هذا النظام أحكاماً تقضى بجعل الوزراء مسئولين امام الهيئة التشريعية وتقضى أيضاً باطلاق الحرية الدينية لجميع الأشخاص والحماية الواجبة لحقوق الأجانب .

٧- تحصل التعديلات اللازم ادخالها على نظام الامتيازات باتفاقات تعقد بين بريطانيا العظمى والدول المختلفة ذوات الامتيازات وتقضى هذه الاتفاقات بابطال المحاكم القنصلية الأجنبية لكي يتيسر تعديل نظام المحاكم المختلطة وتوسيع اختصاصها وسريان التشريع الذى تسنه الهيئة التشريعية المصرية ( ومنه التشريع الذى يفرض الضرائب ) على جميع الاجانب فى مصر .

٨- تنص هذه الاتفاقات على أن تنتقل الى الحكومة البريطانية الحقوق التى كانت تستعملها الحكومات الأجنبية المختلفة بمقتضى نظام

الامتيازات وتشتمل أيضاً أحكاماً تقضي بما يأتي . -  
أولاً - لا يسوغ العمل على التمييز الجائر على رعايا أى دولة وافقت  
على ابطال محاكمها القنصلية ويتمتع هؤلاء الرعايا في مصر بنفس المعاملة  
التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون .

ثانياً - يؤسس قانون الجنسية المصرية على قاعدة النسب فيتمتع  
الاولاد الذين يولدون في مصر لأجنبي بجنسية أبيهم ولا يحق اعتبارهم  
رعايا مصريين .

ثالثاً - تخول مصر موظفي قنصليات الدول الأجنبية نفس النظام  
الذي يتمتع به القناصل الأجانب في إنجلترا .

رابعاً - المعاهدات والاتفاقات الحالية التي اشتركت مصر في  
التعاقد عليها في مسائل التجارة والملاحة ومنها اتفاقات البريد والتلغراف  
تبقى نافذة المفعول أما في المسائل التي ينالها مساس ما جراء ابطال المحاكم  
القنصلية فتعمل مصر بالمعاهدات النافذة المفعول بين بريطانيا العظمى  
والدول الأجنبية صاحبة الشأن مثل معاهدات تسليم المجرمين وتسليم  
البحارة الفارين وكذلك المعاهدات التي لها صفة سياسية سواء كانت  
معقودة بين أطراف عدة أو بين طرفين مثال ذلك اتفاقات تحكيم  
والاتفاقات المختلفة المتعلقة بسير الحروب وذلك كله ريثما تعقد اتفاقات  
خاصة تكون مصر طرفاً فيها .

خامساً - تضمن حرية ابقاء المدارس وتعليم لغة الدولة الاجنبية  
صاحبة الشأن على شرط أن تخضع هذه المدارس من جميع الوجوه  
للقوانين السارية بوجه عام على المدارس الأوروبية بمصر .

سادساً - تضمن أيضاً حرية ابقاء أو انشاء معاهد دينية وخيرية

كالمستشفيات الخ وتنص المعاهدات أيضا على التغييرات اللازمة في صندوق الدين وعلى ابعاد العنصر الدولي عن مجلس الصحة في الاسكندرية .

٩ - التشريع الذي تستلزمه الاتفاقات السالفة الذكر بين بريطانيا والدول الأجنبية يعمل به بمقتضى مراسيم تصدرها الحكومة المصرية وفي الوقت عينه يصدر مرسوم يقضى باعتبار جميع الاجراءات التشريعية والإدارية والقضائية التي اتخذت بمقتضى الاحكام العرفية صحيحة .

١٠ - تقضى المراسيم العالية المعدلة لنظام المحاكم المختلطة بتحويل هذه المحاكم كل الاختصاص الذي كان مخولا الى الآن للمحاكم القنصلية والأجنبية ويترك اختصاص المحاكم الأهلية غير ممسوس

١١ - بعد العمل بالمعاهدة المشار اليها في البند الثالث تلتف بريطانيا العظمى نصها الى الدول الأوروبية الأجنبية وتمضد الطاب الذي تقدمه مصر للدخول عضواً في جمعية الأمم .

# مشروع كرزون

بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولاً - انتهاء الحماية

١ - في مقابل إبرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنه على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متممة بحقوق السيادة ( Sovereign State ) تحت امرة ملوكية دستورية . فبمقتضى هذا قد اُبرمت وتستمر ناقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبه من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصرى من الجهة الأخرى معاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف .

ثانياً - العلاقات الأجنبية

٢ - تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تحت ادارة وزير معين لذلك .

٣ - يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قوهيسير عال يكون له في جميع الأوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائى ويكون له حق التقدم على ممثلى الدول الأخرى .

٤ - يمثل الحكومة المصرية في لوندرد وفي أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعى هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير .

٥ - بالنظر للتعهدات التى أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في

مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول الأجنبية يجب أن توجد أوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالى البريطانى الذى يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية .

٦ - لا تدخل الحكومة المصرية في أي اتفاق سياسى مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالى البريطانى .

٧ - تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصلين في الخارج حسب مقتضيات مصالحها .

٨ - لأجل تولى الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التى لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضع ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى أنفسهم تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لها كل مساعدة في قدرتهم .

٩ - تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولى المفاوضات لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المشرعة للاجانب في مصر وتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً .

ثالثاً - النصوص العسكرية

١٠ - تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها الحيوية وعن سلامة أراضيها .

لأجل القيام بهذه التعهدات والحماية الواصلة الامبراطورية البريطانية الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر

ولها أن تستقر في أي مكان في مصر ولاية مدة يحددان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً كل وقت مالها الآن من التسهيلات لاحتراز واستعمال الذكوات وميايين التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية .

#### رابعاً - استخدام الموظفين الأجانب

١١ - بالنظر للمسؤوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر للحالة القائمة في الجيش المصرى والمصالح العمومية بتعهد الحكومة المصرية بالأمان ضباطاً أو موظفين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسير العالى البريطانى .

#### خامساً - الادارة المالية

١٢ - تعين الحكومة المصرية بعد استشارة In consultation with حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب الختموق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسير المالى مسؤولاً بوجهه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها :

- (١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة .
- (٢) جميع المعاشات والسنوات الأخرى المستحقة للموظفين الاجانب المحليين على المعاش وورثتهم .
- (٣) ميزانيتى القوميسيرين المالى والقضائى والموظفين التابعين

١٣ - لأجل أن يؤدي القوميسير المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الأمور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية .

١٤ - ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص ايرادات مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسير العالي

### سادساً - الإدارة القضائية

١٥ - تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام بمراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب .

١٦ - لأجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحفانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول على وزيرى الحفانية والداخلية .

### سابعاً - السودان

١٧ - حيث ان رقي السودان السلمي هو من الضروريات لأمن مصر ولدوام مورد المياه لها تتمهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التي كانت تقوم بها في الماضي أو أن تقدم بدلاً من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية محددة قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين

تكون كل القوات المصرية في السودان تحت امر الحاكم العام وغير ذلك تتمتع بويطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام اعمال ري جديدة على النيل أو روافده جنوبي وادي حلفا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أمناء يمثل أحدهم مصر والثاني السودان والثالث أوغندا .

### ثامناً - قروض الجزية

١٨ - المبالغ التي تعهد خديويو مصر في أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضي لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضي سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ إلى أن يتم استهلاك هذين القرضين.

تستمر الحكومة المصرية ايضاً في دفع المبالغ التي كان جارياً بدفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عند ما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسؤولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشئ عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً .

### تاسماً - اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

١٩ - للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمة الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد تقاذه هذه المعاهدة بشرط أن يمنح هؤلاء تمويلاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشروط في الاستعانة من الخدمة في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسرى جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضاً على موظفي البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الاخرى .

٢٠ - الموظفون المرفوتوز أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التمويض اعانة اياب لبلادهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومآناه المنزلي الى لندره .

٢١ - تدفع التعويضات والمعاشات بالجنهيات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ قرشاً صاعاً ونصف قرش صاعاً للجنهيه الانجليزي

٢٢ - يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين (Society of Actuaries)

### عاشراً - حماية الاقليات

٢٣ - تتعهد مصر بان النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية وألا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي وألا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي

٢٤ - تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لأرواحهم وحريةهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الاولية أو لغتهم او جنسهم أو دينهم .

يكوز لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بحرية تامة علانية  
وغير علانية بشعائر أية ملة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر  
تتأفي النظام العام أو الاداب العمومية.

٢٥ - جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام  
القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق  
لمدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .  
اختلاف الأديان والعقائد والمذهب لا يؤثر على أي شخص  
حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية  
والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على  
ألقاب الشرف أو مزاولة المهنة أو الصناعات .

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعوية المصرية في  
حرية استعماله لأية لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين  
أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو في الاجتماعات  
العمومية .

٢٦ - الأشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للأقليات  
القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع  
في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية  
المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لآخرين في أن يندشعوا  
أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية  
ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يتعملوا  
فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها ما

# المذكرة التفسيرية

تبليغ من نائب جلالة الملك

الى حضرة صاحب العظمة ساطان مصر

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بمرجب النعميات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف  
أن أرفع الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالاته  
فيما يتعلق بالمفاوضات التي جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل  
عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي يكن باشا أن حكومة جلالاته  
قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفق لعقد معاهدة بين الامبراطوريه  
البريطانية ومصر كانت حكومة جلالاته على استعداد لأن توصي جلالة  
الملك ومجاس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف أن ذلك  
المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه  
سخية في جوهرها واسعة النطاق في نتائجها فإنها لا يمكنها أن تبقى محلا  
لأى أمل في إعادة النظر في المبدأ لدى بنيت عليه تلك الاقتراحات  
لذلك كان من المستحسن أن نحيط حكومة جلالاته علم عظمتكم احاطة  
وافية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها وبالروح التي صدرت  
عنها تلك الاقتراحات .

ان هناك حقيقة جليلة سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر

مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها بكلاهما عظيم الاهمية للمبراطورية البريطانية . ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسى بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضى المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصر لا يمكن فصلها عن سلامة منطقة قناة السويس . لذلك فان حفظ مصر بسلامة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الأهمية للهند وأستراليا ونيوزيلانده ولجميع مستعمرات وولايات جلالته في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مايونا من رعايا جلالته ثم ان نجاح مصر بهم هذه البلاد ايس لان كلا من بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل عملية للاخري فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجاريه أو المالىه يدعو الى مداخلة الدول الاخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسيه للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة في العام الماضى .

لقد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء الحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون فريسة الاحتلال المالى والفوضى الاداريه وكانوا تحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تسلب من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيويه فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات

كرامة فانها مدينة لهذه النهضة علي الخصوص لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها ان المصريين سلموا من المداخلة الأجنبية واعينوا على انشاء نظام ادارى وانه وقد تدرب عدد كبير منهم على ادارة الأمور والحكم واطرد نمو مقدرتهم ونجحت ماليتهم نجاحاً فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستغلال أن بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربحاً مالياً أو امتيازاً تجارياً والأمة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها . أن نشوب نار الحرب بين الدول الأوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف ثوثيقاً بين الأمبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً فكان اعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة وهي أنه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان تساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند و استراليا ونيوزيلاند ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليبولى وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الأمبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا . قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسه ضرر بفضل جهود من بمث بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طفيفه ولم يزد دينها و ثروتها لأن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أدالكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الاخرى . فليس من الحكمة أن

الشعب المصرى يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله. ولولا القوة التى أبدتها الأمبراطورية البريطانية في الحرب لاصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتجاربه ولوطئت هذه القوات حقوق مصر بأقدامها وأفنت ثروتها. ولولا نصر الحلفاء لم تكن في مصر أمة الآن تطالب بحقوق السيادة الوطنيه بدلا عن حمايه أجنبييه فالحرية التى تتمتع بها مصر الآن وما تتمتع اليه من حرية أوسع انما هي مدينة بهما لاسياسة البريطانية والقوة البريطانیه .

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتحاق الزام فى المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذى جعل ائتلافاً نافعاً لكليهما فى الماضى هو دعامة العلاقة التى يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها وعلى الأمبراطورية البريطانیه الآن كما كان فى الماضى أن تحمل على عاتقها فى آخر الأمر مسئولية الدفاع من أراضى عظمتكم ضد أي تهديد خارجي. وكذلك عليها تقديم الممونه التى قد تطالبها فى أى وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم فى البلاد. ثم أن حكومة جلالة الملك تطالب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق فى تقديم ما قد تحتاج حكومة عظمتكم من المشورة فى ادارة البلاد وتدير ماليتها وترقية نظامها القضائى ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبييه. على أن حكومة جلالاته لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها فى حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الأجنبييه الأخرى. وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي أن استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسماحتها ركن أساسى لسلامة الأمبراطورية البريطانیه فحكومة جلالة الملك تأسف على أن

مذوبى عظمتمكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدماً يذكر في سبيل الاعتراف بما للأمبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة للتمسك بهذه الحقوق والمسئوليات .

از شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفاله هذه المسئوليات قد أدرجت في مواد المشروع الذي سيرفعه الى عظمتمكم صاحب الدولة عدلى باشا . وأهم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانيين . فأن حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية ببحث الادلة التي قدرها الوفد المصرى في هذا الشأن ولكنهم لم تستطع أن تقبلها . لأن حالة العالم الحاضرة ومجري الأحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر ومن الواجب اعادة القول بأن مصر هي جزء من مواصلات الأمبراطورية البريطانية . ولم يكدهمضى جبل على مصر منذ انقذت من العوضى وهناك علامات على أنه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التي لم يطل العهد على انتقاذها منها . وقد زاد اهتمام جلالة الملك بهذا الشأن لما رأته من عدم رغبة وفد عظمتمكم في الاعتراف بأن الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوى ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات التي تعطيها يكون من الواجب على الأمبراطورية البريطانية نفسها أن تستبقى ماتراه كافيأ من الضمانات . وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتخلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه .

على انها تعيد القول وتأكده بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد  
بها استمرار حماية لا فعلا ولا حكما بل بالعكس أن أمنيته القلبية الخاصة  
هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الأمم مقام دولة  
متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالامبراطورية  
البريطانية بمعااهدة تكفل للفريقين مصالحهما وأغراضهما المشتركة .  
ولهذه الغاية التي جعلتها حكومة جلالتهم نصب عيניה اقترحت رفع  
الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت أمرة  
ملوكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين  
الامبراطورية البريطانية ومصر « بمعااهدة دائمة رابطة سلام ووداد  
وتحالف » وكانت حكومة جلالتهم تأمل أن مصر باعادة وزارة الخارجية  
ترسل ممثلها في الحال الى الممالك الاجنبية كما انها كانت على استعداد  
لنعضيد مصر في انضمامها الى جمعية الأمم اذا طلبت ذلك وبذلك كان  
يتحقق لمصر في الحال ما لدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات  
ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه لاقتراحات او جدالات  
جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة  
تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن ولذلك فان حكومة جلالتهم  
الملك ترغب أن تبدي بوضوح حالة موقفها الآن .

ففيما يتعاق بالحاضر لا يمكن لحكومة جلالتهم تنفيذ اقتراحاتها بدون  
رضاء الامة المصرية واشترائها ولكن حكومة جلالتهم تحافظ على  
الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين  
بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية  
العالمية التي كثير فمما عدد الموظفين الاوربيين وحكومة جلالتهم مستعدة

لان تواصل بمشاورة حكومة عظمتمكم المفاوضات مع الدول الاجنبية  
لاجل الغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جلياً عند ما يحين  
وقت اصدار التشريع المصري الذي سيجل محل تلك الامتيازات. وكذلك  
ترجو حكومة جلالته ان السلطة التي يباشرها الآن الفائد العام تحت  
القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين  
المدنيه المصريه وهي تسر برفع الاحكام العسكريه جالما يصدر « قانون  
التضمنينات » ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر  
وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصريه وحماية السلطة  
البريطانيه في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالته الملك ترغب أن توضح  
بعبارة جلية السياسة التي تنوى اتباعها. فقد علمت أن المشروع الذي  
قدمته الى وفد عظمتمكم قد رفض بحجة أن الضمانات التي تضمنها  
المشروع لصيانة المصالح البريطانيه والاجنبية تقضي على التمتع  
بالحكومة الذاتية متمماً صحيحاً وعي تأسف غاية الاسف على أن  
استبقاء الجنود البريطانيه في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع  
وزارتى الحقانيه والماليه يساء فهم المراد منهما الى هذا الحد. اذا  
كان الشعب المصري يستسلم الى امانيه الوطنيه مهما كانت هذه الاماني  
صحيحة ومشروعه في ذاتها دون أن يكثرث اكثرثاً كايماً بالحقائق  
التي تستحكم في الحياة الدوليه فان تقدمه في سبيل تحقيق مطمح  
الاممي لا يصيبه التأخير فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً. اذ ليس  
من فائدة ترجي من وراء التصغير من شأن ما على الامه من الواجبات  
وتعظيم مالها من الحقوق وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا

لا يعملون على هوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الاثر في مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الاجنبية في مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في الاسابيع الاخيرة على التأثير على مصير المفاوضات بنداآت مهيجة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم . وان حكومته "جلالة" الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة مصر بتساهلها ازاء تهيج من هذا القبيل ولن يمكنوا مصر . أن تسير في سبيل الرقي الامتى اظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قمع مثل هذا التهيج فان العالم الآن تألم من جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتصبه المضطربة وحكومة "جلالة" الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر او في غيرها . وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها اشد لزوماً وبذلك يطيلون أجلها . واذ كان الامر كذلك بان حكومة جلالة الملك مراعاة لمصلحة مصر ومصالحها الخاصة أيضاً تستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كمرشدة لمصر وأمينه على مصالحها ولا يكفيها أن تعلم أن في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي . فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدى به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأه من جديد . وهي لاتنوى أن تبقى مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب في تقوية عناصر التعمير في الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقاً تاماً . ولكنها ترى من الواجب أن تصر على

الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعاله لأجل صيانة مصالح مصر ومصالحها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر للشعب المصرى انه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلى وما يترتب عليه حتما من تداخل الدول الاجنبية .

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصرى يقوم على تأزره مع الامبراطوريه البريطانيه لاعلى تنافرهما . وحكومة جلالته لرغبته فى هذا الناظر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث فى أية طريقة قد تعرض عليها لإجل تنفيذ اقتراحاتها فى جوهرها وذلك فى أى وقت ترده حكومة عظيمكم . على انها مع هذا لا يسمعها تعديل المبدأ الذى بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا اضعاف الضمانات الجوهريه التى تشتمل عليها . وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر فى أيدي الشعب المصرى بنفسه . فكلما زاد اعتراف شعبيكم بوحدة المصالح البريطانيه ومصالحه قلت الحاجة الى هذه الضمانات . وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم فى هذا العهد الثانى من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطنى المعروض عليهم الآن وبالتزام جانب الحكمة فى العمل به ان المصالح الحيويه للامبراطوريه البريطانيه فى بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج .

# رد الوفد الن سمي

على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه البورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ .  
ولقد رأي أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ أربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم نقبلها حينئذ .

فمن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة . ولم يقتصر على ذلك بل توسع في مرماه بما جعله أشد وطأة . على ان حماية المواصلات الامبراطورية ، وهي التي قبل في مفاوضات العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري ، لا تبرر هذا الحل .

ففي حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القنال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تخويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية ووضع أيضاً تحت تصرفها كل مالدي القطر من وسائل المواصلات وطرقها . وهذا انما هو الاحتلال بذاته ، الاحتلال الذي يهدم كل معنى الاستقلال بل ويذهب

الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على ان الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقرير لأية سلطه .

أما مسألة العلاقات الخارجية ، وهي المسألة الوحيدة التي عدت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعها وزارة خارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل ، فان المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي ، اذ لا يتصور أن تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام بأعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزماً بنص صريح بأن يبقى على اتصال ويثق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع لاتفاقات السياسيه ، حتى مالا يتناقض منها مع روح التحالف ، فيه اخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي . وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة ، لهر أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السياسي المقترح لمصر .

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دعانا الى الاعتقاد بأنه لم تبقى حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضات بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبها الشأن الاول مع معاونتها في ذلك سياسياً من جانب حايقتها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية

المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشر وحدها عند الاقتضاء المفاوضات بشأن الغاء الامتيازات .

أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسيرين) المالى والقضائى وتبداخلهما فى ادارة الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الاجنبية تداخلا قد يصل فى بعض الاحوال فيما يختص بالمندوب ( القوميسير ) المالى الى شل سلطة الحكومة والبرلمان فاننا لانريد هنا أن نكرر ماسبق لنا ابدائه من الاعتراضات فى مذكراتنا .

على انه يتحتم علينا القول بأن المناقشات التى تلت تأجيل مسألة الامتيازات بمتى فى نفوسنا الشعوب بأن الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الاجنبية سيقوم على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية أما مسألة السودان التى لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه النظر الى ان النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذى لانزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل .

\*\*\*

ان الملاحظات المنقمة لا تجعل نمت حاجة الى مناقشة المشروع تفصيلا اذ فيها ما يكفى للدلالة على روحه ومرماه . وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسئوليات الخصوصية » الواقعة على المندوب السامى وكذلك الغرض الجديد . وهو قصد صيانة المصالح الحيويه لمصر . الذى اتخذ سبباً لوجود القوة العسكرية وبهذا تم للمشروع صبغة الوصاية الفعلية .

انالما تبيلنا المهمة التي عهد بها اليها عظمة السلطان كينا نؤمل  
الوصول الى ابرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييداً حقيقياً  
وكفيلة في الوقت نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فان مصر  
حليفة بريطانيا العظمي كانت تعد من واجبات كرامتها الوفاء باخلاص  
بما تقطعه على نفسها من العهود . ولكن التحالف بين أمتين لا يمكن  
أن يتحقق الا على شريطة أن لا يقضى علي احدهما بالخضوع الدائم .  
وان روح المسالمة التي سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاوض  
بنجاح المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الامل .  
فهو بحالته لا يجعل محالا الامل في الوصول الى اتفاق يحقق آماني  
مصر الوطنية ما

لوندره في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١

# الوثيقتان الجديدتان

كتاب الاورد اللنبى الى عظمة السلطان

ياصاحب العظمة

(١) أتشرف بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أشد الأسف

(٢) ولقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة أن كثيراً من المصريين التي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع في نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمانى المصرية وانها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسى ادارى لايتفق والحريات التي وعدت بها

(٣) غير انه ليس شئ أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة . بل ان الاساس الذي بذبت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطالبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكماً . وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميزات أعلىة ومن مركز دولى

(٤) واذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات انها تجاوزت الحد الذى يلتزم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان إنجلترا انما

الجأها الى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية . على أن الاحوال التي يمر بها العالم الآن لن تدوم . ولا يلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة . والامل وطيد في أن الاحوال العالمية صائرة الى التحسن . هذا من جانب . ومن جانب آخر فكما قيل في المذكرة سيجيء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

(٥) اما أن تكون إنجلترا راغبة في التداخل في ادارة مصر الداخية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان اصدق رغباتها وأخلصها هو أن تترك للعصرين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى . واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتي المالية والحقانية فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما للتداخل في شؤون مصر . وكل ما قصدته هو أن تستبقي اداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الاجنبية .

(٦) هذا هو كل مرمى الضمانات . ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة في الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية .

(٧) فاذا كانت هذه هي نوايا انكلترا فلا يمكن لأحد أن ينكر أن إنجلترا يعز عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يبلغون فيه مطمئناً ترغب فيها انكلترا كما تتوق اليه مصر . أو أن ينكر انها تكره أن ترى نفسها مضطرة الى التداخل لرد الامن الى

نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر . وانه ليكون مما يؤسف له أن يرى المصريون في التدابير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمطمحهم الاسمي أو أية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التي سبق بيانها . فان الحكومة البريطانية لم يمد غرضها أن تضع حداً لتهميش ضار قد يكون لتوجيهه الى اهواء العامة نتأجج تذهب بشمرة الجهود القومية المصرية . ولذلك كان الذي روعي بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية التي تستفيد من أن البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص .

(٨) والآن وقد بدت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكمة التي هي قوام الخلق المصري والتي تتغلب في الساعات الحاسمة فاني لسعيد أن أنهى الى عظمتكم أن حكومة جلالة الملك تنوى أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا . واننى على يقين بأن هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلانها مرضيا .

(٩) وليس ثمت ما يمنع منذ الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسى والفنصلى لمصر .

(١٠) أما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسؤولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصري .

وإذا ابطأ لأى سبب من الاسباب نفاذ قانون التضمينات ( اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم الساطة العسكرية ) السارى على جميع

ساكنى مصر والذي أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فانى أود أن  
أحيط عظمةكم بأني الى أن يتم الغاء الاعلان الصادر فى ٢ نوفمبر سنة  
١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية فى جميع  
الامور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية .

فالكلمة الآن لمصر . وانه ليرجى انها وقد عرفت مبلغ حسن  
استعداد الحكومة البريطانية ونواياها تسترشد فى أمرها بالعقل  
والروية لا بعامل الاهواء .

ولى مزيد الشرف الخ

القاهرة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

( اللبنى فيلد ماريشال )

# تصريح لمصر

بما ان حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التي جاهدت بها ترغب في  
الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة  
وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين أهمية جوهرية  
للامبراطورية البريطانية  
— فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

(١) انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة  
مستقلة ذات سيادة .

(٢) حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار  
الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية ) نافذ المعمل على جميع  
ساكني مصر تلغي الاحكام العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر ١٩١٤

(٣) الى أن يحين الوقت الذي يتسني فيه ابرام اتفاقات بين  
حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور  
الآتى بيانها وذلك بمفاوضات وديه غير مقيدة بين الفريقين تحتفظ  
حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الامور وهي :

« ا » تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر

« ب » الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل أجنبي بالذات

أو بالواسطة

« ج » حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات

« د » السودان

وحتى تبرم هذه الانفاقات تبقى الحالة فيما يتعاق بهذه الامور

على ماهي عليه الآن .

# تأليف الوزاراة الجديدة

امر كريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢

صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا

ان القرار الذي ابلاغنا اياه صاحب المقام الجليل المندوب السامي لدولة بريطانيا العظمي فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر بالاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة يحقق أعز امنية لما ولشعبنا العزيز وهو ثمرة الجهاد القومي الذي تعهدناه على الدوام بالتشجيع والتأييد ولا ريب عندنا في أن استمسالك الامة بروابط الوثام والائحاد والتزامها جانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كفيل بتحقيق كامل امانها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نعهد فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور - قد اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة لعهدتكم . وقد أصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجنايبنا لصدور مرسومنا العالي به . ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاذ نظام دستوري يحقق التعاون بين الامة

والحكومة لذلك يكون من أول ما تمنى به الوزارة اعداد مشروع ذلك النظام .

وانا نسأل الله العلي القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورعايانا بالخير والسعادة وهو المستعان .

صدر بسرأي طابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ - أول مارس ١٩٢٢  
الامضاء - (فؤاد)

## برنامج الوزارة

يا صاحب العظمة :

أتقدم الى سدة عظمتكم بفائق الشكر على ما تفضلت فأوليتني من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة ووجهت الي رتبة الرئاسة الجايلة .

واني لأشرف بأن أعرض على عظمتكم اسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلو مشاركتي في العمل وهم :

لوزارة المالية	اسماعيل صدقي باشا
» الحربية والبحرية	وابراهيم فتحي باشا
» الاوقاف	وجعفر ولى باشا
» المعارف العمومية	ومصطفى ماهر باشا
» الزراعة	ومحمد شكري باشا
» الحقانية	ومصطفى فتحي باشا
» الاشغال العمومية	وحسين واصف باشا
» المواصلات	وواصل سميكه بك

وقد احتفظت بوزارتي الداخليه والخارجيه  
فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر  
المرسوم العالى بالتصديق عليه  
ياصاحب العظمه :

لم يكن لزملائى ولى ونحن نشاطر الأمة أمانها في الاستقلال الا  
أن نقر الوفد الرسمى الذي تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا  
العظمي على ما فعل . فلم يكن يسعنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت  
المبادئ التي تسترشد بها الحكومة البريطانيه في سياستها نحو مصر  
هي تلك التي كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام الماضى ومن  
المذكوره التفسيريه التي تلتها . فان تولى الحكم في ظل مثل هذه المبادئ  
قد يكون فيه معنى القبول بها .

غير أن الكتاب الذي رفعه فخامة المندوب السامى البريطانى الى  
عظمتكم وتصريح الحكومة البريطانيه في البرلمان قد أحدثا في الحالة  
تغييراً كبيراً فأصبح من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذ أنها ترى  
أن الشعور القومى أصاب ترضية من هاتين الوثيقتين إلا من ناحية  
الاعتراف باستقلال مصر حالا وقبل أي اتفاق محسب بل ولان  
المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي تعهد سابق

أما وقد جزنا هذا الدور بخير فلم يبق على مصر الا أن تثبت  
لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة للتشدد  
في طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات  
في هذا الصدد وأجلها أثراً هي حسن نية مصر ومصالحها في حفظ  
العهود .

على أن الوزارة ترى أنه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق كامل أمانها بحيث تؤتي جميع ثمرها يجب أن يؤلف بين عمل الحكومة وبين عمل هيئة تنوب عن الأمة وأن تسعى الهيئتين متساندتين لأغراض متحدة ولذلك فإن الوزارة عملاً بأوامر عظمتكم ستأخذ في الحال في اعداد مشروع دستور طبقاً لمبادئ القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسى المقبل .

توفى عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضى الغاء الاحكام العرفيه هذا وان اعاده منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر في الخارج

ونظراً لأن النظام الادارى الحالى لا تتفق مع النظام السياسى الجديد ومع الانظمة الديموقراطية التى ستمنحها البلاد فان الوزارة قد اعترمت أن تتولى الأمر بنفسها وبلا شريك في الحكم الذى ستتحمّل كل مسؤوليته أمام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها فى ادارة شؤون الأمة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها والوزارة موقنه بأن أكبر عامل لنجاح مصر فى تسوية المسائل التى بقى حلها وأقوي حجة تستعين بها فى تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد متحدة الكلمة مؤلفة القلوب وأن تأخذ بدواعي النظام وتلتزم جانب الحكم

والوزارة تحيى العصر الجديد الذى كان لعظمتكم أجل أثر في طلوعه على الأمة بفضل ما بذلته عظمتكم من المساعي الوطنية العالية وهي واثقة أن ستلقى من لدن عظمتكم كل تأييد في عمل الغد وانها

لترجو أن يجيء مكالمالجهود البلاد.  
وانى لا أزال لعظمتكم المبد الخاضع المطيع والخادم المخلص  
الامين ما

( ثروت )

القاهرة فى ٢ رجب سنة ١٣٤٠ ( أول مارس سنة ١٩٢٢ )

# خطب ثروت باشا

في وفود المهنتيين

ماخضة في مقطم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

خلاصة خطب ثروت باشا

في وفود الاعيان

يوم ٢١ مارس سنة ١٩٢٢

ان مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل الاستقلال وذلك بفضل  
أهلها - كل على قدر اشتراكه في الاتحاد والتضامن في سبيل  
الاستقلال . فهم أى الوفود يهنئون دولته به ويشكرونه عليه ولكن  
دولته يرد ثناءهم اليهم ويشكر الأمة وأبناءها الذين جدوا وجاهدوا  
لنيل هذا الاستقلال بتضامنهم واتحاد كلمتهم حتي حصلوا على هذه  
النعمة العظمي من نعم الله التي يجب عليهم التحدث بها على الدوام . قال  
فلقد حضر هذا الصباح معتمدوا الدول الاجنبيه الى سراى طابدين  
العامرة لجلالة الملك فقدمهم دولته الى جلالته واحدا واحدا ثم خطب  
أقدمهم عهداً فهناً لجلالته باستقلال مصر مجاهرا على رؤوس الاشهاد  
ثانياً انه اذا قلنا أن مصر خطت الخطوة العظمي في سبيل  
الاستقلال فليس المراد من ذلك ان مصر لم تحصل على استقلالها لأنها  
حصلت عليه من الوجهة الوطنية المصرية وانما المراد أنه لا يزال أمام

مصر مفاوضات يلزمها أن تفاوضها من الوجهة البريطانية لأن انكلترا  
تطلب من مصر ضمانات . فقد كانت انكلترا قابضة على استقلال مصر  
وهي تقول لنا انه وديعة بيدي اسلمكم اياه متى أعطيتموني الضمانات  
التي أطلبها منكم . وكان دولته ينتقل من هذا الكلام الى الكلام  
عن الوفد المصري الرسمي ويطرى ماثر صاحب الدولة عدلى باشا فيه  
وامتناعه عن أن يقيد الامة باعطاء الضمانات المطلوبة حتي عاد دولته  
ورفاقه من ذون أن يتم الاتفاق على الاستقلال المطلوب . وأنحاز  
ثروت باشا وغيره من الوزراء الباقين في هذا القطر الى دولة عدلى باشا  
وقالوا قوله ورفضوا مافرضه وهكذا فضل أعضاء الوزارة الحالية  
معتمدين في ذلك كله على اتحاد الامة وحسن تضامنها وصدق غيرها  
وعزيمتها حتي قدر الله ان رضيت انكلترا بتسليم وديعة الاستقلال الى  
مصر . وأن لاتطالب الوزارة المصرية أية كانت بالضمانات التي تريدها  
بل تطالب الامة المصرية ذاتها . فذالت مصر استقلالها وفازت بحريتها  
وهي لم تقيد بشيء ولا أخذ عليها عهد ما . والآن تسعي الوزارة في  
انشاء برلمان مصرى يكون له القول النصل في مسألة الضمانات  
الانكليزية . قال دولته فاذا بحث نواب أمتكم في تلك الضمانات  
ووجدوها مطابقة لاستقلالهم ومصالحة بلادهم قبلوها واذا لم يجدوها  
كذلك رفضوها وهم أسياد في بلادهم . ثم كان دولته يتخلص من ذلك .  
ثالثاً ان الفوز التام في سبيل هذا الاستقلال انما ينال اذا سلكت  
الامة سبيل العقل والروية وحافظت على السكون وتما النظام واظهرت  
للاوربيين جميعاً انها أمة تحسن السير وتستطيع التقدم في مراتب  
الكمال بمدتها بنعمة الاستقلال . قال دولته وهذا يتوقف أمره

عليكم ويطلب منكم . والحكومة تـرجو انكم تضافرونها عليه وتكونون لها عوناً فيه فهي مستعدة لأن تضع بيدكم ما يلزم لحفظ السكون والنظام من وسيلة وعدة من الوسائل المشروعة وعاقدة النية على أن لا تدخر وسعاً في تأييد النظام وشد أزر المحافظين عليه والضرب على كل يد تعبت به وتعيث فساداً في البلاد . وهي مصممة أيضاً على أن تفرغ جهدها في عمل كل ما تقتضيه مصلحة البلاد من الاعمال وما يقتضيه السكون والنظام وتقدم البلاد والعباد في الراحة والرفاهة وترجو أن الامة تتأني في حكمها على عملها ولا تتسرع بالاصغاء الى الاقوال التي لا تطابق الواقع حتى يتضح لها الغث من الثمين والصدق من المين فتحكم حكمها بعد ذلك . وكانت الوفود تقابل أقوال دولته بالهتاف والدعاء . وخصوصاً عند ذكر دولة عدلى باشا وكانت تهتف طويلاً وتصفق كثيراً .

## خطبة

### صاحب الدولة ثروت باشا

في مأدبة الكورننتال

حضرات السادة الاجلاء

انى اغتبط الاغتباط بموقفي بينكم في هذا اليوم السعيد الميمون الذي هو اول عيد لميلاد مولانا المعظم بعد اعلان استقلال البلاد ارى أيها السادة من واجبي قبل كل شيء أن انخني بكل احترام واجلال تحية لصاحب عرش مصر على ما أبداه من التفانى في شد أزر أمته والاختذ بناصرها في هذا الدور العظيم من أدوار تاريخها الطويل المجيد

لقد كان من بواعث سعادتي أن رأيت بنفسي عن كذب ما قام به مليكنا النبيل من الجهاد في القضية المصرية، فأثبت بهذا أن الدم لا يكذب وكتب لنفسه في تاريخ المجد صحيفة خالدة جديرة بابن اسماعيل وحسيند ابراهيم ومحمد علي فليحي سيد مصر المستقلة ولنهتف جميعاً من قلب مفعم بالاخلاص والولاء ليحي جلالة الملك فؤاد الاول

ثم نحني بعد ذلك هذه الامة الكريمة التي عرفت قدر نفسها واستمسكت بحقها وأبت أن تنازل، عما يوجبه عليها تاريخها الخلق، بالعظائم وبمجتمعه عليها ماضيها العظيم وأظهرت من الحكم وسداد الرأي

ما اكسبها احترام الامم وجعلها جديرة بما تطمح اليه من المستقبل الزاهر فانه اذا كان لأحد فضل فيما وصلنا اليه وفي ما سنصل اليه يعون الله وتأييد مليك البلاد فان الفضل في الواقع الامة بأجمعها ولما أبداه كل فرد منها كبيراً أو صغيراً في صدق الوطنية وروح التضحية أيها السادة : أنتم من صفوة ابناء الامة ومن خيرة أهل الفضل والحجى فيها ولكم اكبر مصلحة في نجاحها ويسرها فانا انتهز هذا الظرف السعيد لكي اكشفكم بما يجول في نفسى وأخاطبكم اليوم لكي أستمدّ العون والتمتعزيد منكم على ما أنا ماض فيه مع زملائي فانما نحن لكم نعمل وبكم نعتز وليس لنا من الحول الابدتدار ما نرى منكم من الاخذ بناصرنا وما تولونا من ثقة

لنرجع اذن أيها السادة قليلا الى الوراء لننتعرف الحالة على حقيقتها ولتبين منها أهمية الخطوة التي خطوناها أخيراً

بسطت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ على أثر دخول تركيا الحرب العامة وانضمامها الى دولتي الوسط وأعلنت في تبليغها للمغفور له السلطان حسين كامل ان جميع الحقوق التي كانت لتركيا قد سقطت عنها وآت الى الحكومة البريطانية ولكنها أعلنت في الوقت نفسه انها تعتبر هذه الحقوق وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري

كانت نيران الحرب مشتعلة والنفوس نائرة وقد أوشكت أركان الحضارة أن تنهار وأصبح مصير الشعوب معلقاً في ميزان القدر فلم يكن في وسع مصر الا أن تصبر حتى تنجلي هذه الكارثة ويتبين وجه الحق وأقبلت على بريطانيا تنجدها نجدة الكريم لا الكريم ولم تدخر جهداً

في سبيل مدنها بالمعونة حتى بسم ثغر النصر فلما امضيت الهدنة بادرت مصر تقاضي انجلترا ما وعدت به في اعلانها من أن حقوق تركيا وديعة تحت يدها لسكان مصر وتطالبها برد الوديعة لاصحابها

ولا أرى داعياً الى الاسباب في بيان ما وضع في هذه السنوات من الجهاد الطويل وما حدث فيه من التطور في الافكار فكلكم اشترك فيه وكلكم كابن من المجاهدين ولكنني اذكركم اني كنت في ذلك العهد عضواً في الوزارة متشرفاً فيها برياسة ذلك الوطى الجميل حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا وزميله الصديق الوفي الامين دولة عدلى باشا فأبّت الوزارة أن تسكت على حق مصر أو تقبل في هذا الحق هوادة أو تسويةً فلما حالت الحكومة البريطانية بيننا وبين ابداء ما نريد كانت الاستقالة المعروفة ولا ينكر أحداً ما كان لهذه الاستقالة من الأثر في تاريخ الحركة المصرية كان المذهب الذي تدعّب اليه الحكومة البريطانية في بادىء الأمر ان مصر قد دخلت في دائرة الحماية فلن تخرج منها وقد أوفدت اللورد ماير الى مصر لكي ينظر في خير الانظمة لهذه البلاد في دائرة الحماية فلما تبين لها انه ما من مصري يرضى بتلك الحماية التي فرضت على مصر فرضاً لضرورات خاصة تحولت عن موافقتها الاولى وانتهى بها الامر الى الاعتراف بأن الحماية لم تعد علاقة مرضية وطلبت الى مصر المفاوضة في ابدال هذه العلاقة بغيرها يتبين لكم من هذا ان السياسة البريطانية تجاه مصر كانت قائمة على أن الغاء الحماية لا يمكن أن يتم الا في مقابل علاقة جديدة تحل محلها وعلى أن لبريطانيا العظمى في هذا القطر مصالح جوهرية لا بد لها من تأمينها وضمانها فلن تعترف باستقلالنا الا متى اعطيناها هذه الضمانات

وانا أيها السادة نعتقد ان خير ضمانه لمصالح انجلترا ومصالح جميع الدول الاجانب على السواء هو حرص مصر نفسها على حسن سمعتها كدولة متمدنه راقية ومصالحها في حفظ عهودها فلقد أخذنا باسباب الرقي من عهد بعيد وأدخلنا الى بلادنا الانظمة الحديثه ونشرنا فيها رايه العرفان وأوفدنا البعثات العلميه الى البلاد الغربيه وبالاجال نهضنا من عهد محمد علي نهضة عظمي حتى صح أن يقال ان مصر قطعه من اوربا ومع هذا فان الامه المصريه لاجل اثبات حسن قصدها وشهيد رغبتها في الاتفاق مع بريطانيا العظمى وتبديد مخاوفها سلمت مبدئياً بفكرة الضمانات وانما بشرط اساسي لا يحيص عنه وهو ان لا تتعارض هذه الضمانات مع الاستقلال وعلى أمل ان لا تلبث الحال قليلا حتى ترى انجلترا ذاتها ان لا حاجة بها الى هذه الضمانات

تشكلت الوزارة العدليه لتتولى المفاوضه في القضيه المصريه بعد أن أعلنت الحكومه الانجليزيه رأيها ولا يمكنني أن أترك ذكر هذا الحادث يمر دون أن أقوم بواجب أشعر به نحو ذلك الذي كان مثلا في الوطيه ونكران الذات واعني به دوله رشدي باشا لقد تولى دولته رياسه الوزارة قبل ذلك مرات عدة وبلغ اسمي مقام يمكن أن يطمح اليه انسان ومع ذلك فانه قبل أن يدخل عضواً في الوزارة الجديدة لان البلاد كانت في تلك الساعة في حاجة الى مواهبه وعلمه فا تردد في اجابة نداء الواجب ولم يقمده عن ذلك اعتبار من الاعتبارات

سافر الوفد الرسمي الى انجلترا وعلى رأسه ذلك الرجل الكبير القلب الكبير النفس عدلي يكن باشا للمنازعة في عقد اتفاق وقد اخذ على نفسه ان يعمل على تحقيق الاستقلال وطاهد امته بل طاهد قبل ذلك ضميره

وربه على أن لا يقبل اتفاقاً يخل بهذا الاستقلال بأي وجه من الوجوه  
طالت المهاموضات شهوراً بين الرجا والياس الى ان تكشفت عن  
المشروع الذي قدمته بريطانيا العظمى الى الوفد في ١٠ نوفمبر من العام  
الماضي وهو المشروع الذي عرف بين الناس باسم مشروع كرزون  
نظر عدلي باشا الى المشروع فرأى أن بريطانيا العظمى غالت فيما طلبته  
من الضمانات وإن هذه الضمانات لا تتفق وما عاهد به امته من استقلال  
لا تحوطه رية فما تردد لحظة في رفض برد اقترنت فيه الحكمة بالشمم  
والبراءة السياسية بعزة النفس كان في وسعه أن يعرض المشروع على  
امته وان ياتي على عاتقها مسؤولية قبوله أو رفضه ولكن عدلي عرض  
المشروع على ضميره أولاً فكان نصيبه الرفض

أيها السادة : سينشر يومامن الايام ما طوي من الصحائف وما خفي  
من أمرار المفاوضات حينئذ يعلم بنو مصر جميعاً أنه مامن رجل دافع  
عن بلده كما دافع عدلي باشا عن مصر أثناء المفاوضات الرسمية وان  
الموقف الشريف الذي وقفه ذلك الوزير الكبير والوطني الصميم كان  
في ذاته أعظم تأكيد لشخصية مصر التي صممت على نيل استقلالها والتي  
تأبى أن توقع على صك يضعف هذه الشخصية . انما الوطنية الصحيحة .  
الوطنية الصادقة تعمل ولا تتكلم وكل ههما موجه الى جلب النفع للوطن .  
فلزم عدلي باشا الصمت . كان خصومه يرمونه بأشنع ما يرمي به انسان  
من نقص في الوطنية وضعف في العقيدة القومية فكان جوابه الوحيد  
على هذه الاتهام العمل على اثبات حق مصر وأما ما عدا ذلك فلم يكن له  
عنده من شأن فكان وطنياً عظيماً في صمته كما كان وطنياً عظيماً في حسن  
دفاعه ولقد أعلننا تضامننا مع الوفد في رفضه للمشروع وفي رده عليه .

نعم أيها السادة كنا ومازلنا ولن نزال نقر الوعد على ما فعل في هذا الرفض  
لأننا نأبى كل الآباء أن نقر أى اتفاق أو تعاقـد ينقض استقلال  
بلادنا

ولكن بريطانيا العظمى أمسكت بالمشروع في يدها ولوحت  
؛ بالاستقلال التام أمام عيوننا وقالت ها أنا ذا على استعداد للاعتراف  
لكم بالاستقلال ولإلغاء الحماية المفروضة عليكم ولكن بشرط أن  
أتقاضى منكم ثمنه . فلما وما هو الثمن ؟ قالت أن تعطوني ما أطلبه من  
الضمانات المبينه في المشروع فان فعلتم كان لكم ما تريدون وان أبيتهم  
فالحماية باقية في أعناقكم

قال الوفد الرسمي كلا وقتنا نحن كلا وقالت البلاد كلها بصوت واحد  
كلا لأننا نريد استقلالاً صحيحاً ولأن ما تعترف به إنجلترا في المشروع  
تهدمه هاتيك الضمانات

أما اليوم فقد تغيرت الحال فأن بريطانيا العظمى قد ألغت الحماية  
على مصر . ألغتها ولم تنقـض ذلك الثمن الذى جمعت تقاضيه منا شرطاً  
لإلغائها ونادى جلاله ملكنا المعظم بان بلادنا دولة مستقلة تامة السيادة  
وأبلغنا هذا النطق الملكي من وزارة خارجيتنا الى وكلاء الدول الاجنبية  
في مصر كما أبلغهم اياه جناب الارشال اللبني فجاءنا رد هؤلاء الوكلاء  
بوصول البلاغ الى دولهم وبادرت الوزارات الاجنبية بتقديم تهانئها الى  
حكومتنا على هذا العهد الجديد وأرسل الملوك ورؤساء الجمهوريات  
الى جلاله الملك فؤاد الأول تهانئهم بالاستقلال

أيها السادة لقد كنا لغاية سنة ١٩١٤ مستقايين استقلالاً داخلياً  
نحت سيادة الدولة العثمانية فلما نشبت الحرب العامة وسقطت سيادة

تركيا عنا أصبحنا مستقلين حكماً ولكن تمسك بريطانيا العظمى بانتقال حقوق تركيا إليها بحكم اعلان الحماية حال بنينا وبين استقلالنا أما اليوم فقد سقطت الحماية أيضاً دولياً بصورة نهائية فأصبحت مصر دولة مستقلة في نظر الدول جمعاء

وهما كان مدأى الناس في أمر الحماية واختلاف نظرهم إليها من جهة صحتها أو بطلانها فما لا نزاع فيه أن بعض الدول وافقت عليها وانه من الوجهة الدولية أصبحت هذه الحماية صحيحة على الإقل في نظر هذه الدول أما اليوم فقد انتهى الأمر وسواء كانت هذه الحماية صحيحة أو باطلة فقد عنت آثارها

يقولون ولكن بريطانيا قد احتفظت بأمر معينة كانت مبينة في المشروع الذي رفضته البلاد . وجوابي . أن هذه الامور احتفظت بها بريطانيا من تلقاء نفسها وبمحض ارادتها ومن غير أن توقع لها صكا باقرارها . ولكن مشروع المعاهدة كان يجعل قبول هذه الضمانات شرطاً أساسياً لالغاء الحماية وهناك على ما أظن فرق كبير بين أن تكون الضمانات صادرة عن ارادة إنجلترا وبين أن تكون إنجلترا حاصلة عليها بصفة شرعية برضي مصر

وفضلاً عن هذا فإن إنجلترا قد احتفظت بهذه الضمانات بصفة عامة دون تعرض للتفاصيل وقد سبق أن بينا أن مبدأ الضمانات في ذاته سلمت به غالبية الامة وانما كان الاختلاف يقع عند التفصيل - والتصريح الأخير اكتفي بالاجمال واجتنب التفصيل . ثم أن الحكومة البريطانية في تبليغها الى جلالة الملك لم يسمعها الا الاعتراف بان الامور المحتفظ بها تكون محلاً لمفاوضة مقابلة جهة غير مقيدة فبقي حق مصر

كاملاً حتى لو رجعنا الى هذا التبليغ  
وفوق هذا كله فأنا ابيدنا أن ترتبط أي ارتباط بأى أمر من هذه  
الامور وقلنا أن الكلمة الاخيرة في ذلك تكون للبلاد ممثلة في  
برلمانها

وبالاجمال فإن مصر خرجت من هذه المعركة السجاعية فائزة بالازايا  
التي كانت تسمي الى تحقيقها دون أن ترتبط بأى ارتباط أو تلتزم بعهد  
يقيد حريتها في العمل فيما بقي وان استقلها أصبح معتمداً به من  
الدول

ترك هذا الموضوع وانتقل الى نظام الحكم في بلادنا  
لقد جعلنا أساس برنامجنا فيما يتعلق بالحكم أن تكون لبلادنا هيئة  
نيابية وأن تكون الوزارة مسؤولة أمامها عن كل أعمالها فما تستطيع  
البقاء في منح الحكم الا اذا أولاها البرلمان ثقته فحققنا بذلك دفعة  
واحدة ما يح صوت البلاد في المطالبة به سنوات عديدة فلم تظهر بطائل  
ومالم يحصل عليه كثير من البلاد الا بعد أن بذلت في سبيله جهداً  
كبيراً

ويترب علي هذا النظام بطبيعية الحال أن يكون للوزارة تمام الحرية  
في تولى ادارة البلاد وسياستها دون أن يشاركها في ذلك أحد لان تحمل  
المسئولية يفترض في ذاته حتماً هذه الحرية اذ مما لا يمكن تصوره أن  
يكون للبرلمان الكلمة العليا في شئون البلاد والاشراف عليها وتكون  
الوزارة مسؤولة أمامه عن هذه الشئون فلا تبت في مساندها الا بسيرها  
على ارادته وتوخيها انفاذ مقاصده ثم تكون في الوقت ذاته خاضعة  
لأية سلطة أخرى فيما يتعلق بالشئون عينها

على اننا أيها السادة لم ننتظر انفاذ النظام البرلماني حتى نأخذ المسؤولية على عاتقنا بل نحن قد اخذناها على عاتقنا من أول لحظة وأصبحت ادارة شؤون البلاد في يدنا بتمام الحرية فلم يبق للمستشارين هذا الأثر الذي كلكم كنتم تعرفونه وتحسونه وأصبحت كلنهم لا تخرج عن حد المشورة ولا اريد الحوادث فاخبركم بما سيكون في القريب العاجل والخلاصة في هذا الباب أن مصر الآن من الوجهة لداخلية اصبحت أمورها بيد ابنائها وانها استصعب في القريب العاجل ذات نظام دستوري على أحدث النظم العصرية

ولم يبق علينا الا أن نقنع انجلترا أن ليس بها من حاجة الى التمسك بالضمانات التي تريد الاحتفاظ بها فتخطو بريطانيا العظمى خطوة أخرى بالاكتفاء بما لا يتنافى منها مع استقلالنا الشرعي

أيها السادة : ليس لدينا وسيلة لتأييد ما نذهب اليه اكبر من تعلقنا باهداب السكينة والتزامنا الهدوء وأخذنا باسباب النظام فان حججهم الكبرى في ما يبدو من رغبة في الضمانات هي شدة حذرهم على مصالحهم وخوفهم عليها وعدم اطمئنانهم في تركها لعهدتنا فاذا قضينا على عوامل الفتنة والاضطراب وجعلنا التزام السكينة رائدنا فأننا نعلم هذا السلاح بايديهم وندفع حججهم علينا ولا مشاحة في أن كل من يعمل على تمكين السلام أو ائارة الاضطراب مجرم في حق وطنه عامل على هدم كيانه

علي أن خصومنا السياسيين لا يرون اننا فعلنا شيئاً أو أن الوثائق الجديدة تحوي أمراً جديداً وأزفاء الحماية واعلان الاستقلال وتبليغه للدول واعتراف هذه الدول به وادخال النظام النيابي الكامل وتقرير

مبدأ مسؤولية الوزارة أمام البرلمان كل هذا لا يعد شيئاً مذكوراً في  
في نظر بعض الناس متي جاء على يد خصومهم  
لاغرابة في ذلك فان للاعتبارات الشخصية عند البعض مقاما فوق  
كل مقام . تقولوا علينا الاقاويل وأذاعوا عنا ما أذاعوا في طول البلاد  
وعرضها وزعموا أن الوزارة ستعرض لحرية الانتخابات وان البرلمان  
سيكون العوبة في يدها . من أين أنائم علم الغيب ومن أين جاءهم أنها  
ستعمل ذلك وأية مصلحة لها في أن لا نتعرف من الامة الا رأياً فاسداً  
لا يتفق ورأيها الصحيح

لقد نسوا انهم بهذا يرمون أختهم بأقبح التهم وينسبون اليها أنها  
تفقد كالا نعام وتستسلم استلاماً أعمى للحكام حتي فيما يعود على الوطن  
بالتلف والمذلة

لقد نسوا أو تناسوا أيها السادة أننا أشخاص زائلون واننا لن  
نبقى متربعين في دست الاحكام الابرهة من الزمن ثم نخلي السبيل لغيرنا  
أما النظام الدستوري فهو نظام ثابت دائم وهو أتم ما وصل اليه الناس  
الي اليوم لتمثيل الامة أحسن تمثيل وللإشراف على الحكم باسمها . سنذهب  
نحن أما النظام فسببتي وعجيب ان رجالا يتولون الحكم زمناً قصيراً  
يعملون على تحقيق مثل هذا النظام الصالح لكي يجعلوه أداة في يدهم  
وسلاحاً يشهرونه في وجه خصومهم

أيها السادة لن تكون الانتخابات سرّاً مكتوماً فستشتركون جميعكم  
فيها بل يشترك فيها كل مصري له حق الانتخاب وستذيع أخبارها  
وتتناقلها الافواه وسترون بأنفسكم أن الحكومة بريئة مما يتهمونها به  
وان هذه التهم وليدة الظن الاثيم

انني أعتقد أن تحقيق النظام البرلماني صحيفة فخاراً - ولو أن  
الفخر كله في الامة واليهما - فلن يبلغ بنا سوء الرأي الى تسويد هذه  
الصحيفة بمثل ما ينسبون اليها من التداخل المعيب فلا تصغوا أيها  
السادة الى ما يقولون ويعيدون واحكمرا بما سترون لا بما تسمعون  
واني أجاهر لكم وهل وأنتم في حاجة الى مثل هذه المجاهرة بأن  
الانتخابات ستكون حرة بعيدة عن عوامل التأثير وافساد للضمائر  
كذلك أخذ خصومنا علينا عدم الغاء الاحكام العرفية حالاً .

نعم ان الغاء الاحكام العرفية لم يصبح أمراً مرهوناً بآراة السلطة  
العسكرية وهر اليوم بيد الحكومة المصرية من حيث المبدأ ولكن  
الشروط التي لا يشك أحد في وجوبها لالغاء تلك الاحكام لا تتحقق  
بين غمضة عين وانتباهتها ، يعامون ذلك ولكنهم يغالطون ويشوهون  
الواقع في أمر قانون التضمينات للتذرع بذلك في اتهام الوزارة في  
اخلاصها وصدق نواياها

تعلمون حضراتكم انه في سنوات الحرب وبعدها صدرت تشريعات  
مهمة استمدت فيها سلطة القائد العام لجعلها سارية على الاجانب حينما  
كان الالتجاء الى الطرق العادية في اصدار القوانين غير ميسوراً ومقروناً  
بالصعوبات أو محتمل البطء في أمور تقضى بالاستعجال كضريبة الخفر  
وقانون أجور المباني وايقاف سريان المدد والمواعيد القانونية وكالمنظومات  
المتعلقة بأشخاص الاعداء وأمواهم وتنفيذ معاهدات الصلح

كذلك منعت المحاكم الالهية والمختلطة لاسباب مختلفة من نظر  
مسائل داخلية في اختصاصها أو يجوز اعتبارها كذلك لتتولاها محاكم  
عسكرية أو لجان أو غير ذلك من الهيئات وصدرت في هذه المسائل

أحكام وقرارات وبنى على أساسها حقوق وتمهيدات ثم صدرت أيضاً  
أوامر إدارية وتدابير تتعلق بالأمن أو النظام العام

وتعلمون حضراتكم أن كل ذلك حصل وان السلطة العسكرية  
اشتركت في أعمال التشريع والقضاء والإدارة العادية للبلاد بسبب  
الامتيازات الأجنبية وبسبب الحرب هذا فضلاً عن المركز الخاص الذى  
تهياً لها بسبب معاهدات الصلح فأصبحت أشبه بنظام عادى بالرغم من  
أن الأحكام العرفية بطبيعتها أداة استثنائية

تتمتعون ذلك حضراتكم ولا تجهلون أن كل ما بنى على هذا النظام  
يجب أن ينهار اذا زال أساسه وانه اذا ألغيت الأحكام العرفية سقطت  
كل التشريعات التى اتخذت بمقتضاها وأصبح من الممكن أن تنقض كل  
الحقوق المدنية التى بنيت على أحكام السلطة وأوامرها بل أن يفتح  
على السلطة أبواب مسؤولية واسعة

ليس منا من لا يرغب في إلغاء الأحكام العرفية وبلا تأخير ولكن  
كل انسان يشعر بأننا لا يمكننا إلغائها دون اقرار التصرفات الماضية  
ولا عبرة بما يراه غير المسؤولين الذين يرون أنه يكفي أن نطلب فنجاب  
عرف الناس ذلك وسمعوا أنه يجب اصدار قانون لاقرار التصرفات  
الماضية فقال بعضهم انما أريد به تقرير الحماية وتنظيم أحكامها وهم  
يعلمون أن ذلك القانون لا يخرج أمره عن أن يكون تصفية للماضى  
ولا علاقة له مطلقاً بالنظام المستقبل فلفظة التضمينات هي التى أفسحت  
المجال للمضللين أن يذهبوا الى التأويل ما شاءوا وحقيقة الامر ان  
ذلك القانون يسمى بالانجليزية Bill of Indemnity ومعناه الصحيح  
القانون الذى يقيل من المسؤولية ويرفعها

على ان بعض من يشكون من وجود الاحكام العرفية ويطالبون بالغائها يعملون في الوقت نفسه على عرقلة مساعي الحكومة في ذلك وقد وعدت هذه الوزارة بأنها اعتماداً على حسن موقف الامة ستسعي في الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية طبقاً للاحكام العرفية ولكن للذين لا يرعون حرمة يجرضون على الفتنة ويشجعون الرطاع على الاخلال بالنظام وأعمال التهميش والارهاب (أترون في ذلك شيئاً من الخير للبلاد) ولكن هذه الحكومة لن تري مانعاً من القيام بواجبها وستمضى أعمالها بما تلميه عليها ذمتها وضميرها ولا تلتقي بالا لهذه الحركات التي لم يقصد بها وجه الله ومصالحة الوطن حتي اذا فرغت من عملها وتقدمت به الى الامة أدرك كل باغ أن صفحتها بيضاء وان اخلاصها عظيم

هذا ما أردت أن أقوله لكم في هذا المقام ولكنني قبل الختام وبمناسبة ما ذكره حضرة صديقنا شيخ المحامين وكبيرهم ابراهيم بك الهلباوى (وكأني به قد خشني أن تنثنى عزائنا لما نلقاه من المعارضة) لا أرى بدأ من أن أطمئنه وأن أوجه أنظاركم أيها السادة الى انني لا أكره المعارضة بل اذا انعدمت هذه المعارضة فأنى أعمل على خلقها لما لها من نفع وفائدة في الوصول الى الحقيقة وتمحيص كل أمر على أكمل وجه ولكنني أربد المعارضة الشريفة التي تترفع عن الاعتبارات الشخصية ولا تنزل الى اختلاق الاكاذيب والعمل على النيل من الخصم بكل وسيلة والنظر الى كل عمل من أعماله بمنظار البغضاء والعداوة اني أريد الخصومة الشريفة التي لا تنظر الا لمصلحة الوطن وخير البلد وتدرس كل أمر لذاته مجرداً عن كل اعتبار شخصي هذه الخصومة الشريفة

أتمني وجرحها وأمد يدي لمصاحفتها أما تلك الخوصومة الحمقاء التي تأخذ على الناس سبيل آرائهم وتزري بأقذارهم وترجمهم في الطرقات وتعمل على اضطهادهم مادياً وأدبياً عقاباً لهم على رأى أو قول تلك الخوصومة الحمقاء المجرمة التي تزعم أنها تعمل هذا باسم الحرية ودفاعاً عن الحرية فتحقق بذلك القول المشهور ( أيتها الحرية كم من الجرائم ترتكب باسمك ) تلك المعارضة المجرمة يجب علينا جميعاً مكافئتها الى النهاية لانها نكبة

على بلد ناهض وسأجد من عونكم ما يعينني على الوقوف في وجهها  
أيها السادة متى فتح البرلمان المصرى أبوابه فسنقوم منا أحزاب  
وشيع تبعاً لاختلاف الآراء وتعدد وجهات النظر وسيعمل كل حزب  
علي خدمة الوطن بالسبيل التي يراها أقوم السبيل أما اليوم فاننا جميعاً  
سواء أمام المطلب الاسمي للامة واذا كنا في وقت من أوقات تاريخنا  
في حاجة الى الاتحاد فانما هو هذا الوقت الذي نرجو فيه أن نسعي في  
ازالة ما يحول بيننا وبين التمتع الكامل باستقلالنا

فأنا أنادي الامة باسم الوطن ومصالحته بضم صفوفنا وتناسى  
الماضي وليكن كلنا حزباً واحداً في خدمة بلادنا  
والله المسئول أن يقرب اليوم الذي تتحقق فيه جميع آمالنا في ظل  
حضرة صاحب الجلالة ملك مصر أطل الله ملكه وأدام عزه

# حديث ثروت باشا

## عن السودان

مع مكاتب الاهرام

في ٢٢ مايو سنة ١٩٢٢

تفضل صاحب الدولة رئيس الوزارة بالجواب على الاسئلة التي  
لقيناها بخصوص السودان وهذا نص الحديث :

(س) لغط الناس كثيراً في مسألة السودان في العهد الأخير  
وتساءلوا لم لم تبد الحكومة بياناً عن خطتها ورأيها في مركز السودان  
بالنسبة لمصر؟

(ج) تذكرون ان مسألة السودان من المسائل المحتفظ بها  
للمفاوضات المقبلة كما ورد ذلك في كتاب المندوب السامي البريطاني الى  
جلالة الملك في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ولكن ليس معنى الاحتفاظ  
بمسألة لزم من مقبل ألا يكون للحكومة المصرية رأى فيها ومذهب  
تدافع عنه وتسعي لتحقيقه وغير صحيح ان الحكومة لم تبد رأيها  
في مركز السودان بالنسبة لمصر فان برنامج الوزارة كان بهذه العبارة  
« لم يكن لزملائي ولى » ونحن نشاطر الامة أمانها في الاستقلال الا  
أن نقر الوفد الرسمي على ما فعل « ولم ينب عن ذهن أحد أن الوفد  
أشار في الرد الذي أرسله الى اللورد كرزون الى مذهب في علاقة مصر

بالسودان وقال في ذلك « أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولاها  
البحث فلا بد لما فيها من توجيه النظر الى أن النصوص الخاصة بها  
لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فان هذه النصوص لا تكفل لمصر المتمتع  
بما لها على تلك البلاد من حق السيادة الذي لانزاع فيه وحق السيطرة  
على مياه النيل

وليس معنى اقرار الوفد الرسمي على ما فعل الا أن الوزارة أخذت  
بمذهبه في المسائل المختلفة التي تعرض لها في الرد ومنها مسألة السودان  
فزأى الحكومة في السودان رأى غير مكتوم . واذا لم يكن الذين  
ينتقدون على الحكومة عدم ابداء رأيها في السودان قد تهوا الى هذا  
الرأى فليس ذلك من ذنب الحكومة .

(س) ولكن ماهو رأى الحكومة ازاء ما يروونه من احتمال  
تغيير حالة السودان قبل الوصول الى المفاوضات . وهل هي تنوى  
السكوت على هذه الحالة الجديدة؟

(ج) احتفظت الحكومة الانجليزية بمسألة السودان كما احتفظت  
بغيرها من المسائل وأشارت الى أن معنى ذلك الاحتفاظ هو أن هذه  
المسائل تبقى على ما كانت عليه حتى يجيء دور المفاوضات فلا محل  
لتوقع أى تغيير في حالة السودان قبل ذلك الدور  
وما دامت المفاوضات ستجرى حرة خالية من كل قيد فكل ركن  
من أركان المسألة سيتناولها البحث والتمحيص .

ولقد جرى لى مع فخامة المندوب السامي البريطاني حديث في  
هذا الشأن وكنا على اتفاق انه مهما كانت نظرية كل فريق فانه لن  
مدت من أحد الجانبين أى تغيير في حالة السودان أو بت في شأنه .

بل يجب بقاء القديم على قدمه حتى يجيء دور المفاوضات بين الحكومتين المصرية والانكليزية . وقد صرحت الحكومة الانكليزية بذلك أخيراً في مجلس النواب البريطاني بلسان أحد وزرائها . وعلى ذلك فلا محل لأثارة البحث في هذا الموضوع الآن

وعندي ان مسألة السودان مسألة متشعبة الوجوه ومن مصلحة القضية المصرية أن يكون البحث فيها شاملاً لجميع أطرافها في وقت واحد . وهذا لا يتيسر الا وقت المفاوضات حيث تلتقى الوجهتان المصرية والانكليزية بصفة تامة واضحة . وأرجو أن لا يتعذر اذ ذاك الوصول الى حل مرض . ثم أن لهذه المسألة كما لغيرها من المسائل المحتفظ بها من الاهمية لكبرى والدقة ما يقضى بأشراف الهيئة النيابية على المفاوضات بشأنها .

# خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور

حضرة صاحب الدولة

وحضرات الاعضاء المحترمين

انى باسم حكومة جلالة الملك المعظم فؤاد الاول أحييكم في هذا الاجتماع الذي هو أول اجتماع للجنتم الموقرة كما أحيي فيكم الغيرة الوطنية والرغبة الصادقة في خدمة بلادكم العزيزة اذ قبلتم ان تشاركوا الحكومة في مهمة وضع مشروع الدستور للمملكة المصرية بعد اعلان استقلالها

ان الحكومة ايها السادة تقدر كل التقدير خطورة المهمة التي وكلت اليها من جانب ملك البلاد وتعلم حق العلم عظيم مسئوليتها عن حسن القيام بها امام ضميرها وأمام الامة والتاريخ كذلك تعلم ان مهمة وضع دستور للبلاد لا يكفي في ادائها على الوجه الصالح أن ينقل ما وضع لغيرها من البلاد بغير تمحيص وتدقيق بل يجب أن تلاحظ في تقرير احكام هذا الدستور تقاليد البلاد المحلية وطاداتها ومختلف الاعترافات الاجتماعية فيها وان يستفاد في وضع نصوصه من تجارب الامم الاخرى كذلك أيها السادة لم تتردد الحكومة منذ طلبت اليها القيام بهذه المهمة في أن لا تستأثر في ادائها برأيها وأن لا تنكتفي في ذلك بما لرجالها من الخبرة الخاصة بحالة البلد وبالانظمة العامة . بل صحت

عزيمتها على الاستعانة في ذلك بجزيرة ذوى الكفء آت من ابناء البلاد  
وقد كان من حسن حظها أن لبينتم دعوتها ورضيتم أن تشاركوها  
في مسؤوليتها وأن تضجوا من وقتكم وراحتكم شيئاً كثيراً في سبيل  
تحقيق التعاون بين الامة والحكومة ووضع الحجر الاساسى لحياة  
مصر المستقلة لذلك لا يسعني الا أن أهنيكم بهذا الشعور وأن أسديكم  
خالص الشكر على العون الجليل الذى لاشك في أن الحكومة ستنااله  
من اشترى ككم معها وان شكرى لكم ليزداد اذا ذكرت الضجة التى  
أقيمت حول مسألة وضع الدستور وانها لم تصرفكم عن سماع نداء  
الضمير والواجب

ان الحكومة لم تقتصر في الدعوة الى معاونتها على فريق دون آخر  
بل وجهتها أيضاً الى من قضت عليهم الظروف بأن يعتبروا أنفسهم  
خصوصاً سياسيين لها غير أنهم للأسف لم يريدوا أن يصاخوا اليدائى  
مدت اليهم وأبوا أن يتقدموا الى المشاركة في هذا العمل الوطنى الخطير  
ولم يرى أن في تصرفهم ما يقضى بالعجب فأن مصير الدستور أن يطبق  
على الأمة جميعها لا على طائفة دون غيرها وكنت استبعد أن تدخل  
الشخصيات فى شأن يجب بطبيعته أن يعلو على كل تلك المنافسات . .  
ولقد أعجب أكثر من ذلك أن أراهم يخطئون النظر حتى من وجهة  
مصلحتهم الخصوصية . فلقد كان اشترائهم فى عمل اللجنة يسمح لهم  
بالاطلاع على كل ما يجرى فيها ويمكنهم من الوقوف على حقيقة ماجرت  
به السنة السوء وليتبينوا أن ليس هناك أمور مقررة من قبل تعرض  
على اللجنة المجرى الشكل ولقد فاتتهم برفضهم الدخول فى اللجنة فرصة  
ما كان احقهم بالحرص عليها فرصة عرض آرائهم والادلاء بحججهم واللجنة

بين أن تأخذها فيمتضح لهم أنها لم تكن متحيزة أو صادرة عن غرض أو هوى أو أن ترفضها فيكونوا قد أراحوا ضمائرهم والحساب بمد ذلك بيد الأمة لأدرى مقدار ارتباط هذا الرفض بالحركة التي روجت منذ أيام للدعوة الى عقد جمعية وطنية وما اذا كانت سبباً أو نتيجة على أن ذلك لا يعنيني الآن وإنما يفنيني تحييص هذه الآراء خصوصاً وان تلك الدعوة كان ينطوى فيها شيء ليس بالقليل من سوء الظن بالحكومة وتهمتها في اخلاصها انى أترك جانباً ذلك الفريق الذي يدأب على تحدى الحكومة ومناوأتها واقامة المراقيل في وجهها مهما جر ذلك على البلاد من الشر والوبال

أما الفريق الثانى فإنه يحكم على الاشياء حكماً نظرياً صرفاً ويخطىء تطبيق النظريات على الواقع اولئك هم الذين يزعمون أنه لم يوضع دستور الا على يد جمعية وطنية وانه لا يصح دستور الا اذا كان كذلك علمنا أن القوانين الدستورية وتوارىخها ومبادئها معروفة ومنتشرة بين جميع الناس وفي وسع كل انسان أن يرجع اليها ليعرف مقدار نصيب تلك النظريات من الصحة ويمكنني أن أقول لحضراتكم أن الأمر في وضع القوانين الدستورية ليس على ما يذكرون فأن كثيراً من البلاد الاوروبية وغير الاوربية لم تكن قوانينها الدستورية وليدة جمعية وطنية وأذكر على سبيل الاستدلال تلك الأمة العظيمة التي قطعت شوطاً كبيراً في سبيل الحضارة والمدنية وأهني بها الأمة اليابانية وهي تلك البلاد التي أصبحت في مركز لا أريد أن أغلى فأقول أن أمم أوروبا تحسدها عليه ولكن مركزها على كل حال مما تقبض عليه أما أمم أوروبا فأن بعضها كان الدستور فيها من عمل جمعية وطنية ولكنها الاقل عدداً

والسبب في تولى الجمعية الوطنية هذا العمل يرجع الى ظروف استثنائية خاصة كالثورة أو زوال السلطة الشرعية فيها وحلول سلطة مؤقتة عليها أما الأمم الاخرى فقد سادت في وضع دساتيرها على الطريق العادى وصدرت دساتيرها من ملوكها وأذكر على سبيل المثال ايطاليا والنمسا والبرتغال وتركيا.

فيجب أن لا يغيب عن أذهان أولئك القائلين بنظرية الجمعية الوطنية تلك الفروق بيننا وبين من اضطرتهم أحوالهم الاستثنائية الى الالتجاء لجمعية وطنية لوضع نظام حكمومتهم اذ اننا والله الحمد نسنا في حالة من تلك الاحوال

على انه فيما يتعلق بمصر يجب لأجل تعيين السلطة التي تتولى وضع الدستور الرجوع الى قانوننا العام وقد جرى الأمر فيه على أن تصدر القوانين النظامية من ولى الأمر سواء كان ذلك في انشاء مجلس الوزراء وهو أول حجر وضع في بنيان النظام الديموقراطى في مصر أو ما في تلا ذلك من النظم النيابية التي أوجدت نوعاً من الاشتراك بين الامة والحكومة وهي قانون مجلس شورى النواب وقانون مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية والقانون الذي انشأ الجمعية التشريعية واذا كان قانون سنة ١٨٨٢ قد شد عن هذا القياس فان ذلك يرجع الى أنه في ذلك العهد كانت ثورة على العرش دعت الى اعتصاب وضع الدستور من صاحب السلطة في وضعه وهذا ما يؤيد ما نذهب اليه من أن وضع الدستور بطريق ولى الأمر ليس فيه افتيات على حقوق الامة أو خروج عن القواعد المألوفة

قد يقول قائل اذالم يكن الدستور من وضع جمعية وطنية فان في وسع

ولى الامر أن يسترده في أي يوم من الايام وهو قول لا يقول به الا كل رجل يجهل مبادئ القانون الحديث وتطوراته لأنه مهما يكن من طريقة وضع الدستور واصداره فان استرداده بعد ذلك محال اذا أنه بمجرد صدوره يصبح حقاً مكتسباً للأمة

انهم يقولون ان الجمعية الوطنية هي الوسيلة الوحيدة للوقوف على رغبات الامة وحاجاتها . وأخشى أن أقول في هذا أنه حق يراد به باطل ذلك لانه حتي مع التسليم جدلاً بأن المبادئ العامة في مصر تسمح بأن مثل هذا العمل تتولاه جمعية وطنية فان هناك أشخاص يعملون منذ زمن على ترويح سوء الظن بالحكومة وعلى التقليل من أهمية ماوصلت اليه البلاد وعلى الشكك في مانحن قادمون عليه بحيث اذا اجتمعت جمعية وطنية سادت فيها تلك الآراء والنزعات وانقلب العمل فيها الى معارضة وتهوئش وتعطيل تمتنع معه كل نتيجة صالحة بل يخشى أن ينقلب وبالا على البلاد ذلك انه بالرغم من أن البلاد نالت فوزاً عظيماً باعلان استقلالها واعتراف الدول به الا أن المسألة المصرية لم تسو بعد تسوية تامة نهائية اذ لا يزال أمامنا مفاوضات يجب أن تمكن مصر من الوصول الى دورها موفورة القوة تامة النظام لم تفسد عليها عوامل الشر والفوضى آمال النجاح فيها

يدعون اننا بعماننا هذا نرمى الامة بالعجز والقصور عن تقدير مصلحتها فالله يعلم اننا نجمل أمتنا كل الاجلال ونضعها فوق كل اعتبار وان هذا نفسه هو الذي يدعوننا أن نقيها في هذه الآونة الدقيقة من عوامل الفساد ودواعي التضليل . ولعمري لأن نتهم تهمة سيتجلى وجه الحق فيها بعد قليل خير لنا من أن نترك البلاد تسود فيها الفوضى

ويجري الشغب فيها مجراه فأن التهمة اذا اصطدمت بالواقع المحسوس  
زائلة ولكن اضرار الشغب والفوضى هائلة وآثارها باقية  
وأريد هنا أن أتساءل عن قيمة المخاوف والشكوك التي يريد  
بعضهم أن ينشرها بين الناس ويحيط بها عمل الحكومة واللجنة  
يزعمون اننا نخشى الجمعية الوطنية لأنها لو دعيت للاجتماع لاتخذت  
من القرارات مالا يتفق مع ميول الحكومة نريد بالاقتنصار على تأليف  
لجنة أن نتحكم في النظام الدستوري وأن تحول بين الامة وبين ابداء  
رغباتها وأقول ان بيننا وبين الامة عهداً يحدد جوهر ما يختلف فيه  
الآن لنا برنامج قطعنا فيه على أنفسنا اننا سنراعى في الدستور الذي  
نضعه أحدث مبادئ القانون العام وعلى الاخص المسؤولية الوزارية  
أمام البرلمان أترى يشكون في مبادئ القانون العام الحديث نفسها أم  
يجهلون أن مبدأ المسؤولية الوزارية هو محور النظام الدستوري  
وجوهره ولبابه والأمان الكافي ضد خروج السلطات عن حدودها  
والاساس الصالح للتعاون بين الامة والحكومة أو يجهلون أن ما خلا  
هذا المبدأ لا يبلغ أهميته ان هذا المبدأ ضابط لاحكام الدستور نفسه  
قالوا أن وضع الدستور بهذه الطريقة لن يجعل للامة سبيلا الى  
تغيير شيء من أحكامه على انى لا أدري مبلغ هذا التكهن من الصحة  
فأن ما أعلمه عن القواعد الدستورية وهي التي أشرت اليها في برنامج  
الوزارة أن الدستور يشتمل عادة على نص يحتفظ به بسبيل يكون من  
حق للامة مشخصة في ادخال ما يري ضرورة ادخاله من التعديلات ...  
سيرى الناس اذا انتظروا قليلا أن محاولة عرقلة الحكومة في أعمالها  
لم يكن من مصلحة البلاد في شيء وان الحكومة ماتوخت ولن تتوخى

شيئا غير مصلحة الوطن القائمة التي تتلشى أمامها الأعراض الرائلة  
والاوهام الباطلة

سيرى الناس يوم يصبح الدستور حقيقة واقعة بأن التهمة التي  
وجهت للحكومة غير صادقة أن يرون أنفسهم امام نظام يسمح للارادة  
العامة بأن يكون لها مظهر حقيقى وأثر فعلى فى تصرفها، لا أعمال العامة  
وفى كل شيء يتعلق بمستقبل البلاد

قالوا اننا خرجنا عن برنامج وزارة عدلى باشا الذي كنا متضامنين  
إبعه فيه . ولكنهم نسوا أو تناسوا أن مهمة الجمعية الوطنية بحسب  
ذلك البرنامج لم تكن فى الاصل وضع دستور للبلاد وانما كانت مهمتها  
النظر فى الاتفاق الذي تألفت، وزارة عدلى باشا للمفاوضات فيه ثم وضع  
الدستور المبني على نصوص هذا الاتفاق بعد ذلك

فالمهمتان لا تقبلان التجزئة وكان يجب على الجمعية اذا هي أقرت  
الاتفاق أن تراعى فى وضع الدستور ما يكون قد تضمنه من الشروط  
والقيود أما اليوم فان وضع الدستور متقدم على الاتفاق واذا كان  
لا يبنى عليه فانه يجب على أي حال أن لا يسد الطريق للوصول اليه

هذه هي الحقائق التي أردت أن أبسطها امام حضراتكم وان  
ماتعرفه الحكومة فى حضراتكم من الكفاءة والكفاية لهذا العمل  
أحسن ضمان لان يكون عملكم خير مرشد وهاد الى رغبات البلاد  
وحاجاتها

ولا أريد أن أختم كلامى بغير اشارة الى التضحية الكبيرة التي  
قدمها حضرة صاحب الدولة رشدى باشا بقبول الاشتراك فى عمل  
هذه اللجنة ولا أخفى على حضراتكم أن فكرة اسناد الرئاسة لدولته

قد خطرت مراراً على بالي من أول يوم فكرت فيه الحكومة في  
تأليف اللجنة

ولكن علمنا بمقدار ما يبذله من نفسه وصحته في اداء الواجب  
الذي يدعوه اليه الوطن ومصالحته وحبنا لشخصه ورغبتنا في تمتعه  
بالصحة التامة لكل ذلك جعلنا نتردد عن مخاطبته في الامر

غير اني لما خاطبت بعد ذلك أحدا من حضراتكم الا وسألني عما  
اذا كان رشدي بأشأ مشتركا في عمل اللجنة وأظهر رغبته في أن يراه  
على رأسها فلم أجد بداً أمام هذا الاجماع من ايصال هذه الرغبة  
الى علمه

فتقدم كماداته الى الخدمة الوطنية غير ملتفت الى ما يكلفه ذلك من  
تحميل صحته هذه المتاعب الجديدة ولكنه اشترط شرطاً لم يكن في  
وسعى قبوله وتركت لدولته الحرية في أن يقدمه بنفسه لحضراتكم  
لتتصرفوا فيه كما تريدون . . . . . وأختم القول بتكرار التحية لحضراتكم  
وتوجيه الرجاء الى المولى عز وجل أن يلهمكم السداد وأن يوفقنا جميعاً  
الى ما فيه الخير للبلاد

# شروط ثروت باشا لتأليف الوزارة

( نقلا عن مرقم ٣١ يناير سنة ١٩٢٢ )

أولاً - عدم قبول مشروع كرزون والمذكرة التفسيرية  
ثانياً - تصريح الحكومة البريطانية بالغاء الحماية والاعتراف  
باستقلال مصر قبل الدخول في كل مفاوضة

ثالثاً - إيجاد وزارة خارجية مصرية وتمثيل خارجي من تعيين  
سفراء وقناصل

رابعاً - إيجاد برلمان مشكل من هيئتين احدهما مجلس نواب  
والاخرى مجلس شيوخ ويكون للبرلمان المذكور السلطة التامة على  
أعمال الحكومة وتكون الوزارة مسؤولة أمامه

خامساً - اطلاق يد الوزارة بلا مشارك في جميع أعمال الحكومة  
تمكيناً للوزارة من تحمل مسؤولية الحكم أمام البرلمان

سادساً - ألا يكون للمستشارين في الوزارات الا رأى استشاري  
وأن يبطل مالمستشارين الاآن من الحق في حضور جلسات مجلس  
الوزراء

سابعاً - حذف وظائف المستشارين في القريب العاجل ماعدا  
وظيفتي مستشاري الحقانية والمالية فانهما تبقيان الى ما بعد ظهور  
نتيجة المفاوضات الجديدة

ثامناً - استبدال الموظفين الاجانب بموظفين مصريين وأخذ  
العدة لذلك من الآن وتعيين وكلاء مصريين على الفور لجميع الوزارات  
وهم وكيل للمالية ووكيل للخارجية ووكيل للمواصلات ووكيل للاشغال  
العمومية ووكيل للداخلية ووكيل آخر للداخلية في الصحة

تاسعاً - رفع الاحكام العسكرية ووعده الوزارة اعتماداً على حسن  
موقف الأمة بالسعي في سحب ما اتخذ من الاجراءات بمقتضى الاحكام  
العرفية ومن جملة ذلك فك اعتقال المعتقلين المصريين حينما كانوا

حاشراً - الدخول في مفاوضات جديدة - بعد تشكيل البرلمان  
المصرى - مع الحكومة البريطانية بواسطة هيئة مصرية يشرف البرلمان  
المصرى نفسه على تعيينها للنظر في مسألة السودان وفيما لا ينافي استقلال  
البلاد من الضمانات التي تطلبها الحكومة البريطانية تأميناً لمصالح  
الامبراطورية البريطانية ومصالح الاجانب في مصر وذلك كله على شرط  
أن تكون هذه المفاوضات غير مقيدة بشرط أو قيد من القيود  
والشروط المبينة في مشروع كرزون

وبعد الانتهاء من هذه المفاوضات يكون القول الفصل في نتائجها  
للأمة المصرية المشخصة في برلمانها .

# الفهرست

صفحة	
٣	المقدمة
	الفصل الأول
٧	مشروع كرزون والمذكرة الايضاحية
	الفصل الثاني
٤٨	التصريح لمصر
	الفصل الثالث
١٣٠	الحالة الحاضرة — واجب الامة في موقفها الحالى
	الفصل الرابع
١٨٠	مناقب ثروت باشا
٢٣٣	مشروع ملنر
٢٣٩	مشروع كرزون
٢٤٦	المذكرة التفسيرية
٢٥٥	رد الوفد الرسمى
٢٥٩	الوثيقتان الجديدتان
٢٦٣	تصريح لمصر
٢٦٥	تأليف الوزارة الجديدة
٢٦٦	برنامج الوزارة

تابع الفهرست

صفحة

٢٧٠	...	...	...	...	خطيب ثروت باشا في وفود المهتمين
٢٧٣	...	...	...	...	خطبة صلاح الدولة ثروت باشا في مآدبة الكونتنتال
٢٨٧	...	...	...	...	حديث ثروت باشا عن السودان
٢٩٠	...	...	...	...	خطبة ثروت باشا في لجنة الدستور
٢٩٨	...	...	...	...	شروط ثروت باشا لتأليف الوزارة









